جامعة نزوى
كلية العلوم والآداب
قســـــم اللغـة العربية

سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة

رسالة تقدم بها الطالب:

بدر بن نصير بن عبدالله الصَّلتي

استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد هاشم أحمد السامرائي

التخصص الدقيق: الدراسات اللغوية.

الرقم الجامعي: ٠٩٨٣٥٧٥٣

العام الجامعي: ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

(لجنة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالب: بدر بن نصير بن عبدالله الصلتي الرقم الجامعي: 09835753

عنوان الرسالة : سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة.

لجنة المشروع البحثي/ الرسالة:

1- المشرف الرئيس: أ.د.أحمد هاشم السامرائي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم : قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ:..١٧/٥/٢٠١٧م.....

2- عضو لجنة الإشراف: د.إيهاب أبوستة .

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم : قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ: ..١٧/٥/٢٠١٧.....

3-عضو لجنة الإشراف: د.عبدالرحمن السفاسفة.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم : قسم التربية والدراسات الإنسانية- كلية العلوم والآداب.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ: ..١٧/٥/٢٠١٧.....

(لجنة مناقشة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالب: بدر بن نصير بن عبدالله الصلتي الرقم الجامعي: 09835753

عنوان الرسالة: سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة.

رئيس اللجنة: أ.د.محمد كراكبي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ: 2017/05/17

1- المشرف الرئيس: أ.د.أحمد هاشم السامرائي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ: ٢٠١٧/٥/١٧

2- العضو (ممثل رئيس القسم): د.زينب الجميلي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع:..... التاريخ: 17 MAY 2017

3- الاسم: د.محمد جمال صقر.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

الكلية/ المؤسسة: جامعة السلطان قابوس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

التوقيع:..... التاريخ: ١٧/٥/٢٠١٧

إهـــــــــداء

إلى أمي الغالية التي ما فتئت تدعو لي على الدوام بالتوفيق.

***

إلى أبي العزيز الذي لم يبخل عليَّ يومًا بشيء.

***

إلى خالي العزيز داود العدوي، وجميع إخواني، وأخواتي.

***

إلى زوجي (أم محمد)، التي كابدت معي مشقة هذا البحث، ووفرت لي جوًّا أسريًّا أعانني على كتابته، وتحمَّلت اشتغالي عن أسرتي، وتقصيري تجاه متطلباتهم.

***

إلى أبنائي فلذات كبدي (محمد، وإبراهيم، وموسى، وبيان).

***

إليكم جميعًا أهدي هذا البحث، وأسأل الله ﷻ أن يعمَّ بنفعه الجميع.

الباحث

شكرٌ وامتنان

بعد رحلة بحثٍ، وجدٍّ، واجتهادٍ، أحمد الله ﷻ أن منَّ علي بإنجاز هذا البحث، ونشكر جامعتنا الغرَّاء، ممثلةً بأساتذتنا في قسم اللغة العربية، على ما قدَّموه لنا من معارف، وعلوم قيِّمة، وما غرسوه فينا من حبِّ العمل، والتَّضحية، والانتماء لهذا الوطن الغالي في ظل الرعاية السَّامية لمولانا جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم، حفظه الله، وأمدَّ في عمره.

وأتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لمن غمرني بالفضل، واختصني بالنصح، وتفضَّل علي بقبول الإشراف على رسالتي، الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السَّامرائي، فله كل الامتنان، والاحترام على ما بذله من جهدٍ طيلة العمل في إنجاز هذا البحث، فكان نعم الناصح الأمين، والمربِّي الوقور، والأخ الحليم، أفاض عليَّ بعلمه، وشملني بفضله، وسماحته.

والشكر موصول لزملائي الذين ساندوني في إتمام البحث بالشكل الذي يليق، وأخُصُّ بالذكر الإخوة الأعزاء (فهد بن خميس العبري، وفهد بن ناصر العلوي، وماجد بن عبدالله الجهضمي، وسيف بن نبهان الحرملي)، وبقية الزملاء الذين ساعدوني في إتمامه (عادل الحمادي، وحمد الذهلي، وسيف المحفوظي، وسلطان الحسني، وراشد الحسني، وعلي الحراصي، ويعقوب النصيبي، وصالح القرني، وسيف العبري).

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى مدير مدرسة الإمام سعيد بن عبدالله للتعليم الأساسي، الأستاذ العزيز/ أحمد بن ناصر الغافري؛ الذي سهَّل مهمتي في العمل، وذلَّل جميع الصعاب، والعقبات، وبمساندته استطعت التوفيق بين العمل، والدراسة، وأسأل الله أن يجعل صنيعه في ميزان حسناته إلى يوم الدِّين.

وأخيرًا، تقف كلمات الشكر عاجزة أن تفي بما في النفس من الامتنان، والتقدير لكل من ساندني لإكمال رسالتي، وأَبتهلُ إلى الله ﷻ أن يجزي كل من نصحني، وأرشدني، ولو بجزءٍ يسير لإنجاز هذا العمل، خير الجزاء، وأدعو الله ﷻ لهم بالتوفيق جميعًا لما يحبه، ويرضاه، وأن يجعلنا ممن قال فيهم ﷻ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

الباحث

ملخص البحث

عنوان البحث: سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة.
اسم الباحث: بدر بن نصير بن عبدالله الصَّلتي.

ثمَّة إعجازٌ بلاغي في دقَّة التَّناسب بين آيات القرآن الكريم، وسوره، فجاءت هذه الدراسة لإثبات صورة من صور هذا الإعجاز، فكان البحث في التَّناسب، ومعايشته عظيم الفوائد؛ وهو ما دفعني لاختيار موضوع يخصُّ (علم المناسبة)، إذ يُعَدُّ هذا العلم من أرفع العلوم، وأجلِّها؛ لأنَّه يدرس كلام الله ﷻ (القرآن الكريم)، وهو أبلغ الكلام بلا منازع.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة فصول، عُني **الفصل الأول** بدراسة المناسبات اللغوية الخارجيَّة ضمن ترتيب النُّزول، والتَّرتيب المصحفي، فتناولَ تناسب سورة (ص) مع ما قبلها، وما بعدها من حيث التَّناسب بين فواتح السُّور، وخواتيمها، والموضوعات المشتركة.

أما **الفصل الثاني** فتناول مناسبات النَّص، وقسَّمته على قسمين، هما:

أ- المناسبات الداخلية: التي تضمنت تناسب اسم السُّورة مع مقصودها، وتناسب مفتتحها مع مختتمها، والتناسب بين آياتها، ومقاطعها.

ب- مناسبات القصص: الذي أَبرَزَ أهمية القصص القرآني، وخصائصه، وأنواعه، ومدى تناسب وتسلسل القصص الواردة في سورة (ص) بالقصص الواردة في السُّور الأخرى من القرآن الكريم، علاوةً على تناسب القصص مع مقصود السُّورة.

وعُني **الفصل الثالث** بمناسبات اللغة، على النحو الآتي:

أ- تناسب التَّشكيل الصَّوتي: وتمثَّل في دراسة الظواهر الصَّوتية كالفاصلة، ودلالة الأصوات المفردة، والمركبة.

ب- تناسب البنية الصَّرفية: كبنية التَّضعيف، وبنية المشتقَّات.

ت- تناسب التَّركيب، والنَّظم: وتناول أربعة جوانب، هي: تناسب التركيب النحوي، والتَّتميم والبيان، والإجمال والتَّفصيل، والاستئناف البياني.

ث- تناسب المفردة اللغوية، وتمثَّل في ستِّ مفردات، هي: ﴿عِزَّةٍ، فَفَزِعَ، ٱلْوَهَّابِ، فَلْيَذُوقُوهُ

ٱلْقَهَّارُ، رَحِيمٌ).

ج- تناسب المتشابه اللفظي: وتضمَّن تعريفه لغةً، واصطلاحًا، وبيان أهميته، والفرق بينه وبين المشترك اللفظي، ومواضعه في سورة (ص).

وانتهى البحث بالخاتمة التي بها مجموعة من النتائج، منها:

١- تناسب سور (القمر، و(ص)، والأعراف) ضمن ترتيب النُّزول، و تناسب سور (الصَّافَّات، و(ص)، والزُّمَر) ضمن الترتيب المُصحفي، وذلك من خلال تناسب الوحدة الموضوعية في الفواتح، والموضوعات.

٢- مناسبة سورة (ص) لمقاصدها في التأكيد على: (وحدانية الله ﷻ، ونُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، ووقوع البعث، والجزاء).

٣- استعمال التَّشكيل الصَّوتي الدقيق الذي أَظْهَرَ مناسبة استعمال الحرف في موضعه.

٤- التنَّوع في استعمال أسلوب التَّوكيد، مثل (التَّوكيد بـ(إنَّ)، والتَّوكيد بـ(إنَّ) واللام، والتَّوكيد باللام الواقعة في جواب القسم، والتَّوكيد بالحال، والتَّوكيد اللفظي، والتَّوكيد المعنوي) ناسب مقام سورة (ص) التي كان مقصودها يتَّسم بالتأكيد، كما أسلفت، أي إنَّ جو السُّورة يتصف بذلك.

٥- يُعدُّ المتشابه اللَّفظي فنًّا دقيقًا، وهو من ركائز علم المناسبة، فلا يكون اختلاف الصِّيغ فيه جُزافًا، بل له مناسبات معينة.

Abstract

Research Title: A linguistic study on the Surat of Sad "ص" with regards to the science of harmony "Elm AlMonasabah".

Researcher's name: Bader Naseer Abdullah Al Salti

Linguistic miracles can be derived by the harmony between the verses and surrats in the Holly Quran. Therefore, this study aims to provide examples of these linguistic miracles which focus on the harmonious nature and its benefits and this has led me to give it a title as " Elm Al Monasabah". This type of science is considered as one of the important sciences as it illustrates the Holly Quran which is the speech of Allah and is with no doubts the most eloquent speech.

This study is divided into three chapters. The first chapter examines the external harmony of surrat of Sad (ص) based on what order it takes in the Book of Holly Quran and when it is sent down. Specifically a deep study is conducted on the harmony of surrat of Sad (ص) with the proceeding and following surrats in terms of their beginning and ending and their similar themes.

The second chapter examines the harmony of text. It is divided into two parts:

A. The internal harmony: This part explores the harmony between the name of the surrat and its purpose, the harmony between its beginning and ending and the harmony between its verses and parts.

B. The harmony between its stories: This part explains the importance of the stories in the Holly Quran, their features and types. Also, it clarifies how the stories in surrat of Sad (ص) are in harmony with the stories in other surrats in addition to their harmony with the purpose of surrat of Sad (ص) .

The third chapter investigates the harmony of language which takes the following forms:

A. The harmony of phonetic form: This kind of harmony is represented by sound indicators like commas, the significance of single and compound sounds.

B. The harmony of meaning patterns: like stress patterns and derivatives.

C. The harmony of structure patterns: this kind of harmony occurs in four areas: the harmony of linguistic structures, decelerated structures, comprehensive and detailed structures and decelerated appeal.

D. The harmony of words: this can be seen in six words: ﴿ عِزَّةٍ ﴾ "Izzah" ,﴿ فَفَزِعَ ﴾ "fa'fazah", ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ "alwahhab", ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ "fa'yathoqooh", ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ "AlQahhar",﴿ رَجِيمٌ ﴾ "Rajeem".

E. The harmony of similes: This kind of harmony is clearly defined with consideration to its importance. It is indicated in certain areas in surrat of Sad "ص".

This study ends a conclusion that includes the following findings:

1. The harmony between the surrat of (*Al Qamar, Sad* and *AL Araf*) in terms of sending down and the harmony between the surrat of (*Al Saffat, Sad* and *Al Zamr*) in terms of their order in the Holy Quran as well as the harmony between their themes at their beginings.

2. The harmony of the surrat (*Sad*) with its purposes that emphasize in (The Oneness of God, the prophecy of Mohammed – peace be Upon him – and the belief in resurrection, Judgment and punishment).

3. Using the phonetic forms in a precise way shows the compatibility of the letter and its position.

4. The variation of using the emphasis style, for example (the emphasis with "إنّ", the emphasis with "إنّ" and "ل", the emphasis

with "ل" in a conditional sentence, the emphasis of " *AlHal*" and the emphasis of word and meaning, could match with the purpose of the surrat of (*Sad*) which is featured with emphasis as mentioned.

5. The verbal similes are considered a precise technical style and it is one of the basics of harmony science "*Elm Al Monasabah*". In addition, the different structures have their equivalents.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء.	ت
شكرٌ وامتنان.	ث
ملخص البحث باللغة العربيَّة.	ج
ملخص البحث باللغة الإنجليزية.	خ
المقدِّمة	١
الفصل الأول: المناسبات اللغوية الخارجيَّة.	٥
المبحث الأول: المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النُّزول.	٦
أولًا: التناسب اللغوي بين سورة (ص) مع ما قبلها سورة القمر، وما بعدها سورة الأعراف.	٧
١- الطُّول، والقصر.	٧
٢- التَّفصيل، والإجمال.	٨
أ- التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث.	٨
١- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والقمر.	٨
٢- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والأعراف.	١٣
ب- التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث.	١٨
ت- التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث.	٢١
ث- التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها لما قبلها، وما بعدها.	٢٣
١- التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة القمر، وفاتحة سورة (ص).	٢٤
٢- التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الأعراف.	٢٦
ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث من حيث الموضوعات المشتركة.	٢٧
١- أحوال الأمم مع أنبيائهم.	٢٧

الموضوع	الصفحة
٢- قصص الأنبياء.	٢٩
٣- وصف الجنَّة.	٢٩
٤- جزاء المشركين، والمُكذِّبين.	٢٩
المبحث الثاني: المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن التَّرتيب المُصحفي.	٣١
أولًا: التَّناسب اللغوي بين سورة (ص)، وسورتي (الصَّافات، والزُّمَر).	٣١
أ- التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث.	٣٣
ب- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والصَّافَّات.	٣٦
ت- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والزُّمَر.	٤٠
ث- التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث.	٤٠
ج- التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث.	٤٤
ح- التناسب اللغوي بين فاتحة السُّور، وخاتمة ما قبلها.	٤٧
١- التَّناسب اللغوي بين فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات.	٤٧
٢- التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الزُّمَر.	٤٩
ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين السُّور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة.	٥١
١- وحدانية الله ﷻ.	٥١
٢- أحوال الأمم مع أنبيائهم.	٥١
٣- إثبات البعث يوم القيامة.	٥٢
٤- وصف الجنَّة.	٥٣
٥- جزاء المشركين، وتهديدهم.	٥٣
الفصل الثاني: مناسبات النَّص.	٥٥
المبحث الأول: المناسبات اللغوية الدَّاخلية.	٥٦

الموضوع	الصفحة
أولًا: تناسب اسم السُّورة مع مقصودها اللغوي.	٥٦
أ- الاسم المشهور.	٥٨
ب- الاسم الاجتهادي.	٥٨
مقصود السُّورة الأساسي.	٦٤
١- وحدانية الله ﷻ.	٦٤
٢- نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ.	٦٥
٣- البعث، ووقوع الجزاء.	٦٥
أ- تأكيد البعث.	٦٥
ب- ثواب المُتَّقين.	٦٥
ت- جزاء المشركين.	٦٦
ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها.	٦٧
أ- التَّناسب بتكرار اللفظ.	٦٧
ب- تناسب الإجمال، والتَّفصيل.	٦٨
ت- تناسب المرجعية السَّابقة الداخلية.	٦٩
ثالثًا: التَّناسب اللغوي بين الآيات.	٧٠
أ- التَّناسب اللغوي بين مقاطع الآيات.	٧٠
المقطع الأول: مقطع التمهيد.	٧٠
المقطع الثاني: أحوال الأمم السَّابقة.	٧٢
المقطع الثالث: قصَّة نبي الله داود عليه السلام.	٧٣
المقطع الرابع: إثبات البعث، والعدل يوم القيامة.	٧٤
المقطع الخامس: قصَّة نبي الله سليمان عليه السلام.	٧٦
المقطع السادس: قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام.	٧٧

الموضوع	الصفحة
المقطع السابع: قصَّة إبراهيم، وذريته (إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذي الكفل) عليهم السلام.	٧٨
المقطع الثامن: ثواب المتَّقين يوم القيامة.	٧٩
المقطع التاسع: جزاء الطَّاغين يوم القيامة.	٨٠
المقطع العاشر: تأكيد رسالة النبي ﷺ.	٨١
المقطع الحادي عشر: قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس.	٨٢
المقطع الثاني عشر: مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم.	٨٤
ب- التَّناسب اللغوي بين الآية، وما قبلها.	٨٥
المبحث الثاني: التَّناسب القصصي.	٩٥
أهمية القصص القرآني.	٩٥
خصائص أسلوب التعبير في القصص القرآني.	٩٧
أ- الإجمال، والتَّفصيل.	٩٧
ب- إصابة المعنى.	٩٨
ت- حسن التَّخلص.	٩٨
أنواع القصص القرآني.	٩٩
أولًا: التِّكرار في القصص القرآني.	١٠١
١- قصَّة نبي الله داود عليه السلام.	١٠١
٢- قصَّة نبي الله سليمان عليه السلام.	١٠٣
٣- قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام.	١٠٣
٤- قصَّة نبي الله آدم عليه السلام.	١٠٤
ثانيًا: تناسب التَّسلسل القصصي.	١٠٦
ثالثًا: تناسب القصَّة اللغوي مع مقصود السُّورة.	١٠٨

الموضوع	الصفحة
١- قصَّة داود عليه السلام.	١٠٨
٢- قصَّة سليمان عليه السلام.	١٠٩
٣- قصَّة أيوب عليه السلام.	١١٠
٤- قصَّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام.	١١١
٥- قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس.	١١٢
الفصل الثالث: مناسبات اللغة.	١١٤
المبحث الأول: تناسب التَّشكيل الصَّوتي.	١١٥
أولًا: الفاصلة.	١١٧
١- التَّمكين.	١١٨
٢- التَّصدير.	١٢٠
٣- التَّوشيح.	١٢١
٤- الإيغال.	١٢٣
ثانيًا: الدلالة الصَّوتية.	١٢٥
١- دلالة الصَّوت المفرد.	١٢٦
أ- دلالة صوت (الشِّين).	١٢٦
ب- دلالة صوت (الصَّاد).	١٢٧
ت- دلالة صوت (الكاف).	١٢٨
ث- دلالة صوت (النُّون).	١٣٠
٢- دلالة الصَّوت المركَّب.	١٣٢
أ- دلالة ﴿مَسَّ﴾.	١٣٢
ب- دلالة ﴿خَرَّ﴾.	١٣٣
المبحث الثاني: تناسب البنية الصَّرفيَّة.	١٣٦

الموضوع	الصفحة
أولًا: بنية التَّضعيف.	١٣٧
التَّكثير، والمبالغة.	١٣٧
١- التَّكثير في الفعل.	١٣٨
٢- التَّكثير في الفاعل.	١٣٨
٣- التَّكثير في المفعول.	١٣٨
ثانيًا: بنية المشتقَّات.	١٣٩
١- اسم الفاعل.	١٣٩
أ- ﴿ٱلۡفُجَّارِ﴾.	١٤٠
ب- ﴿ٱلصَّٰٓفِنَٰتُ﴾.	١٤٠
ت-﴿مُّقۡتَحِمُونَ﴾.	١٤١
٢- اسم المفعول، وله وزنان، هما:	١٤١
الأول: وزنه من الثُّلاثي.	١٤٢
أ-﴿مَهۡزُومٞ﴾.	١٤٢
ب- ﴿مَّحۡشُورَةً﴾.	١٤٢
الثاني: بناؤه من غير الثُّلاثي.	١٤٣
أ-﴿مُغۡتَسَلٞ﴾.	١٤٣
ب- ﴿ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾.	١٤٤
٣- الصِّفة المُشَبَّهة.	١٤٤
أ-﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾.	١٤٥
ب-﴿شَدِيدٞ﴾.	١٤٥
٤- صيغة المبالغة.	١٤٦

الموضوع	الصفحة
أ-(فُعَال)، كـ﴿ عُجَابٌ ﴾.	١٤٧
ب-(فَعَّال)، ومنه:	١٤٨
أ-﴿ كَذَّابٌ ﴾.	١٤٨
ب-﴿ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾.	١٥٠
المبحث الثالث: تناسب التَّركيب، والنَّظم.	١٥٢
أولًا: تناسب التَّركيب النَّحوي.	١٥٤
- تناسب الحذف.	١٥٤
- أنواع الحذف.	١٥٥
١- حذف الحرف.	١٥٥
حذف حرف الجر (من).	١٥٥
٢- حذف المفردة.	١٥٥
أ- حذف اسمين متتاليين.	١٥٦
ب- حذف المسند إليه.	١٥٦
ت- حذف أحد معمولي (لات).	١٥٧
ث- حذف الحال.	١٥٨
ج- حذف المفعول به.	١٥٨
ح- حذف ياء المتكلم.	١٥٩
٣- حذف الجملة.	١٦٠
أ- حذف جملة جواب القسم.	١٦٠
ب- حذف متعلَّق الوصف.	١٦١
- تناسب التَّوكيد.	١٦١
١- التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾.	١٦٢

الموضوع	الصفحة
٢- التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾، و(اللام).	١٦٣
٣- التَّوكيد بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم.	١٦٤
٤- التَّوكيد بـ(الحال - الحال المؤكدة).	١٦٧
٥- التَّوكيد اللَّفظي.	١٦٧
٦- التَّوكيد المعنوي.	١٦٨
ثانيًا: تناسب التَّتميم، والبيان.	١٦٩
ثالثًا: تناسب الإجمال، والتَّفصيل.	١٧٣
رابعًا: تناسب الاستئناف البياني.	١٧٦
أقسام الاستئناف البياني.	١٧٧
المبحث الرابع: تناسب المفردة اللغوية.	١٨٠
١-﴿ عِزَّةٍ ﴾.	١٨١
٢- ﴿ فَفَزِعَ ﴾.	١٨١
٣-﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾.	١٨٢
٤- ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾.	١٨٤
٥-﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾.	١٨٥
٦-﴿ رَحِيمٌ ﴾.	١٨٦
المبحث الخامس: تناسب المتشابه اللَّفظي.	١٨٧
المتشابه في اللُّغة.	١٨٧
المتشابه في الاصطلاح.	١٨٧
أهمية المتشابه اللَّفظي.	١٨٨
بين المتشابه اللَّفظي، والمشترك اللَّفظي.	١٨٩
المتشابه المختلف في التركيب.	١٩٠

الموضوع	الصفحة
المتشابه المختلف في الإبدال.	١٩٢
١- الإبدال بين اسمين مختلفين.	١٩٢
٢- الإبدال بين فعلين مختلفين.	١٩٥
٣- إبدال حرف من حرف.	١٩٨
٤- إبدال شبه الجملة.	٢٠٠
المتشابه المختلف في أحوال الاسم.	٢٠١
أ- المفرد، والجمع.	٢٠١
ب- التَّعريف بالإضافة، وبـ(أل).	٢٠٢
المتشابه المختلف في الذكر، والحذف.	٢٠٣
أ- الذكر، والحذف في الاسم.	٢٠٣
ب- الذكر، والحذف في الفعل.	٢٠٣
ت- الذكر، والحذف في الحرف.	٢٠٤
الخاتمة	٢٠٧
قائمة المصادر والمراجع	٢١٢

المقدِّمة

المقدِّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب؛ ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كانت اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم ذات مكانةٍ، وسيادةٍ؛ إذ يُنظم بها الشِّعر، ويؤلَّفُ بها الخطب، وتتفاخر القبائل بشعرائها، وخطبائها، وبعدها أنزل ﷻ القرآن الكريم بأفصح لسانٍ ادَّخر في آيه غُرر البلاغة والبيان، وتحدَّى به قومًا ملكوا ناصية الفصاحة، وفنِّ الكلام، فبهرهم بإحكام أساليبه، وسلاسة ألفاظه، واتِّساق إيجازه، وإطنابه، وعجزوا أن يأتوا بآيةٍ مثله، فقال ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، فنظمه ليس كنظم الشعر، والخُطب، نظمٌ كَمُلَت فيه خصائص اللغة في أعلى مراتبها في دقَّة اختيار المفردات، وبراعة تركيبها، وروعة ترتيبها.

جاء علم المناسبة ليكشف علل التركيب القرآني، وترتيبه، وينتهي به إلى أنَّ النَّص القرآني متماسك الأجزاء، ويَعُدُّ السُّورة القرآنية نصًّا فريدًا توافرت فيه جميع خصائص الدِّقة[١].

يحتوي تركيب الكلام في النص القرآني على خصائص لغوية وفنيَّة عالية في الدّقة كما أسلفت، فتراها في استعمال الأساليب، وكيفية تركيبها، ثم استعمال المفردة اللغوية داخل التركيب، والصوت داخل البنية، والمفردة، والدِّقة في ترتيب أجزاء الكلام، وجعله متناسقًا بعضه مع بعض، فتأتي السُّورة مناسبة للسُّورة التي قبلها أو التي بعدها، وتأتي الآيات متناسبةً مع بعضها، سواءٌ أكانت مقاطع من الآيات، أم آية واحدة، أم أجزاء الآية الواحدة، فضلًا عن تناسب القصص في السُّورة؛ ولأهمية ما ذكرت ثبت الاختيار على سورة (ص)، فكان موضوع رسالتي:

(سورة (ص)، دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة)

ووقع الاختيار على سورة (ص)؛ للأسباب الآتية:

---

(١) سورة النَّمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١.

- خلوها من آيات الأحكام؛ إذ إنَّ آيات الأحكام تخلو من الأسلوب البلاغي.
- تعدد موضوعاتها.
- تعدد مقاطعها.
- احتواؤها على عدَّة قصص للأنبياء.

الدّراسات السَّابقة:

اعتمدت في بحثي على عدة رسائل ماجستير في علم المناسبة، منها:

- أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، للباحثة مقبولة علي مسلم الحصيني.
- سورة النَّمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، للباحث هشام ستار مهدي السامرائي.
- سورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة للباحث ماجد بن عبدالله الجهضمي.

فأفدت منها، إلى جانب اعتمادي على الكتب الأخرى التي عُنيت بهذا الجانب، ككتاب (التعبير القرآني) للأستاذ الدكتور فاضل السَّامرائي، وكتاب (دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة) للدكتورة زهراء خالد سعد الله العبيدي.

الصُّعوبات التي واجهتها:

لا شك أنَّ أي عملٍ لا يخلو من مصاعب، وعقبات، كصعوبة توفر بعض الكتب ذات التحقيق الجيد، والتوفيق بين العمل والدراسة، وبعد المسافة بين مقر السكن والجامعة، وغيرها من الصعوبات، وهنا أكرر شكري، وامتناني لأستاذي الدكتور أحمد هاشم السامرائي المشرف على الرسالة، لتذليله كافة تلك العقبات؛ كما أنه لم يبخل عليَّ بإسداء النصح في القضايا التي تحتاج إلى نظر، والملاحظات الخاصَّة؛ التي من شأنها تقديم هذا الجهد على أفضل ما يكون.

مشكلة البحث وأسئلته:

انطلق هذا البحث في مشكلة بارزة تتمثل في عدة أسئلة هي:

- هل تتميز السورة القرآنية بخصائص لغوية من السُّور الأخرى؟

- ما علاقة مباحث علم المناسبة بالإعجاز اللغوي القرآني؟
- هل تترابط السُّورة القرآنية والآيات مع بعضها؟

منهج الدراسة:

اتبعت في رسالتي المنهج الوصفي القائم على عدة أدوات هي: التحليل، والتعليل، والموازنة بين الآراء والنصوص.

خطة الرسالة:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

الفصل الأول: خصَّصته لـ(المناسبات اللغوية الخارجية)، فكان على مبحثين، هما: (المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النُّزول)، و(المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن التَّرتيب المصحفي).

و**الفصل الثاني:** خصَّصته لـ(تناسب النَّص)، وقسمته على مبحثين، هما: (المناسبات الداخلية، والتَّناسب القصصي).

و**الفصل الثالث:** خصَّصته لـ(مناسبات اللغة)، فكان على خمسة مباحث هي: (تناسب التَّشكيل الصَّوتي، وتناسب البنية الصَّرفية، وتناسب التركيب والنظم، وتناسب المفردة اللغوية، وتناسب المتشابه اللفظي).

و**الخاتمة:** ذكرت فيها النتائج التي خرجت بها من هذه الرسالة.

ختامًا:

هذا جهدُ المقل، وأسأل الله ﷻ أن يُنتفع به، وأن يكون عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وصلِ اللهم، وسلم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، والتَّابعين، والحمد لله في أوله، وآخره.

الفصل الأول

المناسبات اللغوية الخارجية

المبحث الأول

المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النُّزول

مِن تَتَبُّع ترتيب السُّور في القرآن الكريم، وجدتُ أن ترتيب مجموعة من السُّور من حيث النُّزول يختلف عن ترتيبها المُصحفي، وهذا الاختلاف ناجمٌ عن عدة أسباب منها:

١- كان الرسول ﷺ، وبتوجيه من جبريل عليه السلام، ((يرتب الآيات، فيضع الآيات المدنيَّة في السُّور المكِّية، كما يضع الآيات المكِّية في السُّور المدنية، فكانت عملية النقل هذه تغيِّر من صورة السُّور، طولًا وقصرًا، فينقل من هذه السُّورة آياتٍ إلى تلك، ومن تلك إلى أخرى، وهكذا في اتصالٍ دائمٍ بدوام نزول القرآن))[١].

٢- بعد نزول القرآن الكريم كاملًا، كان الوحي يرشد الرسول ﷺ إلى ترتيب القرآن الذي نجده الآن بين دفتي المصحف الشريف.

٣- بعد وفاة الرسول ﷺ حفظ الصحابة، رضي الله عنهم، القرآن على وفق ما أرشدهم إليه الرسول ﷺ، فوضعوا كل آيةٍ وسورةٍ في موضعها الصحيح[٢].

لذا نجد ترتيب سورة (ص) مثلًا من حيث النُّزول يختلف عن ترتيبها في المصحف، فهي ((السُّورة الثامنة والثلاثون في عداد نزول السُّور، نزلت بعد سورة اقتربت الساعة، وقبل سورة الأعراف))[٣]، فترتيبها من حيث النُّزول تناسب مع وقوعها بين سورتي القمر، والأعراف.

أما ترتيبها في المصحف العثماني، فتأتي بعد سورة الصَّافَّات، وقبل سورة الزُّمَر[٤].

تتم دراسة مناسبة ترتيب أي سورة من سور القرآن الكريم لغويًّا من حيث النُّزول على وفق معايير وأطر، فيثبت تناسب ترتيب السُّورة محل الدراسة مع ما قبلها، وما بعدها من

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١ / ٦٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١١ / ٦٤٢.

(٣) التَّحرير والتَّنوير ٢٣ / ٢٠١، وينظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) ٦ / ٣١٠، والتحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١، وإعراب القرآن وبيانه ٧ / ٤٥٠، والتفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١ / ١٣.

(٤) ينظر: ترتيب السُّور في المصحف العثماني الشريف.

الجوانب الآتية:

١- تناسب ترتيب السُّور الثَّلاث: (السُّورة محل الدراسة، مع السُّورة التي قبلها، والسورة التي بعدها).

٢- التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث.

٣- التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث.

٤- التَّناسب بين فاتحة السُّورة محل الدراسة، وخاتمة السُّورة التي قبلها.

٥- التَّناسب بين خاتمة السُّورة محل الدراسة، وفاتحة السُّورة التي بعدها.

٦- التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث من حيث الموضوعات المشتركة.

ومن هذه المعايير، سأدرس سورة (ص) دراسة تطبيقيَّة على النحو الآتي:

أولًا: التناسب اللغوي بين سورة (ص) مع ما قبلها سورة القمر، وما بعدها سورة الأعراف:

وسأتناول هذا التَّناسب من عدة جوانب، هي:

١- الطول، والقصر:

قسَّم العلماء السُّور باعتبار الطول، والقصر على أربعة أقسام، هي:

أ- الطوال: وهي السُّور التي يكون عدد آياتها كبيرًا جدًّا، وعددها سبع سور هي: (البقرة، وآل عمران، والنِّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف)، والسابعة قيل: (الأنفال وبراءة)؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: (يونس).

ب- المئون: وهي التي تزيد آياتها على مئة.

ت- المثاني: وهي السُّور التي آياتها أقل من مئة.

ث- المفصَّل: وتأتي بعد المثاني، وهي قصار السُّور، وسميت بذلك؛ لكثرة الفواصل التي بين السُّور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه[١]، وتبدأ بسورة (ق) وتنتهي بسورة النَّاس[٢]، وذلك بتقييد ترتيب السُّور على المصحف العثماني.

من ذلك يتضح أنَّ سورة (ص) من المثاني؛ إذ إنَّ عدد آياتها [٨٨] آية، وهي تقع بين سورتي القمر المصَّنفة ضمن سور المفصَّل، ويبلغ عدد آياتها [٥٥] آية، والأعراف التي تعد

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ٣٢٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١ / ٤١.

من السُّور الطوال، وعدد آياتها [٢٠٦] آيات، وهذا يفسر تناسب توسط سورة (ص) بين سورتي القمر، والأعراف، فكأنَّ هناك تدرُّجًا في عدد الآيات، وهو تدرجٌ تصاعدي، بدأ بالسورة الأقل عددًا في الآيات، فالأكثر فالأكثر، وتناسب ذلك مع ترتيب السُّور الثَّلاث من حيث النُّزول، فأتت سورة القمر أولًا بـ[٥٥ آية]، تلتها سورة (ص) بـ[٨٨] آية، وبعدها سورة الأعراف بـ[٢٠٦] آيات.

٢- التَّفصيل، والإجمال:

وجد السيوطي من خلال استقراء مناسبات سور القرآن الكريم ارتباط كل سورة بالسورة التي تجاورها من حيث التَّفصيل والإجمال، والإطناب والإيجاز، وغيره، فقال: ((إنَّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها، وقصيرها))[١].

من ذلك سأبين العلاقات اللغوية بين السُّور الثَّلاث على النحو الآتي:

أ- التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث:

وسأدرسه من خلال بيان العلاقة بين سورة (ص)، وسورتي القمر، والأعراف وعلى النحو الآتي:

١- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والقمر:

من خلال تتبع الآيات في هاتين السُّورتين وجدت تناسبًا لغويًّا بينهما في عدة مواضع، هي:

- التناسب بين الآيات الأولى في سورة القمر، وبداية سورة (ص)، فكلتا السورتين تحدثت في البداية عن طبيعة المشركين، وموقفهم من دعوة التوحيد التي نادى بها الرسول محمد ﷺ، فوصفوا معجزاته بالسحر، قال ﷻ في سورة القمر: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾، فهم حينما يرون علامات جازمة بنبوة سيدنا محمد ﷺ يعرضون عنها، ويولون مكذِّبين منكرين لها، فوصفوا معجزة انشقاق القمر وانفلاقه بالسحر، وهذا ديدنهم، وطبيعتهم في التكذيب[٢].

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ٥٦.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٠.

وجاءت الآيتان [٤، ٧] من سورة (ص) مكمِّلتين، ومؤكِّدتين افتراء المشركين واتهامهم الرسول ﷺ، في إشارة إلى طبيعتهم التي لا يحيدون عنها، فوصفوه بأنه ساحرٌ كذَّاب، وأنَّ ما جاء به ما هو إلا اختلاق، فقال ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾، وقال أيضًا: ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾، وهما مؤكِّدتان أيضا للآية [٣] من سورة القمر في قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ... ﴾، ومبينتان طبيعة المشركين، وإمعانهم في التكذيب.

– ذكرت الآية [٤] من سورة القمر أن مشركي قريش لا يتعظون بالأخبار التي جاءتهم عن الأمم السَّابقة المكذبة، وما حلَّ بهم من عذاب(١)، واتَّضح هذا المعنى من خلال قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴾، وجاءت الآية [٣] من سورة (ص) مكمِّلة، ومفصِّلة ما أجملته هذه الآية التي ذكرت كلمة ﴿ ٱلۡأَنۢبَآءِ ﴾ دون تفصيل؛ إذ بيَّنت آية (ص) ماهية هذه الأنباء صراحة، وهي هلاك الأمم السَّابقة التي كذَّبت رسلها، في تناسب واضح بين الآيتين، فقال ﷻ: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ ﴾.

– من تَتَبُّع آيات سورتي القمر، و(ص)، وجدت تناسبًا لغويًّا بيِّنًا فيما يتعلق بقصص الأنبياء مع أقوامهم؛ إذ جاءت سورة (ص) متمِّمَة لذكر بعض قصص الأنبياء، والرسل الذين لم تذكرهم سورة القمر.

فوردت في سورة القمر قصص الأنبياء، والرسل، وأقوامهم بحسب التَّسلسل الزمني لبعثتهم على النحو الآتي:

قصَّة نوح عليه السلام:

تحدثت الآيات [٩ – ١٦] عن قصَّة نوح عليه السلام، فقال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٢.

فبينت هذه الآيات موقف قوم نوح عليه السلام مع نبيهم، وتكذيبهم، واتهامهم له بالجنون، ثم دعا نوح ربه أن يهلكهم بعد أن بلغ به الأذى مبلغًا عظيمًا، واستجاب ربَّه لدعائه فأرسل عليهم ماءً منهمرًا أغرق جميع المُكذِّبين حتى تكون هذه القصَّة عبرةً، وعظةً لكل معتبر(١).

قصَّة عاد قوم هود عليه السلام:

تحدثت الآيات [١٨ – ٢٢] عن قصَّة عاد قوم هود عليه السلام، فقال ﷻ واصفًا تكذيبهم وما حلَّ بهم من هلاك: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

فعذب الله ﷻ عادًا بالريح الصرصر وهي الرِّيح الشَّديدة التي تعصف في وقت البرد الشديد، ولها صوت عال وهو الصرير، واسمها مأخوذ من شدة صوت هبوبها، وهذا العذاب كان في يوم نحسٍ، ومشؤومٍ، إذ أخذت الريح المُكذِّبين من الأرض، ورمت بهم عاليًا حتى يتساقطوا، ودُقَّت أعناقهم، وذُكرت هذه القصَّة لأهل مكة لعلهم يتعظون بما حلَّ بقوم هود من هلاك(٢).

قصَّة ثمود قوم صالح عليه السلام:

وفي تسلسلٍ واضحٍ لقصص الأنبياء مع أقوامهم جاءت الآيات [٢٣ – ٣٢] تسرد علينا قصَّة قوم ثمود مع نبي الله صالح عليه السلام، فبينت تكذيبهم له، وذَكَرَت العذاب الذي حلَّ بهم جزاء معاملتهم نبيهم، فقال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

فمن أخبارهم أنهم استنكروا بعثة النبي صالح عليه السلام، وهو من عامَّة الناس بحسب زعمهم، فهم يرون أن النبي يجب أن يكون من عِلِيَة القوم، ووجهائها، أي: إنَّ هناك من هو أحق منه بالنبوة؛ لذا ليس بالمستغرب تكذيبهم له طالما هذا اعتقادهم.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٦ – ٥٨٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٢ / ٥٨٥ – ٥٨٩.

وتوعدهم الله ﷻ في الآيات السَّابقة بالعذاب الأليم؛ عقابًا لهم، فأرسل ﷻ الناقة حتى يستدرجهم بالعذاب، فقسَّم الماء بينهم، وبينها، فما كان لهم إلَّا أن عقروا الناقة؛ فحلَّ عليهم عذاب الله ﷻ، فجعلهم كالهشيم، أي: الشجر اليابس(١).

قصَّة لوط عليه السلام:

أما الآيات [٣٣ – ٤٠] فتحدَّثت عن قصَّة لوط عليه السلام مع قومه، ونجاة آل لوطٍ المؤمنين، وحلول العذاب على المُكذِّبين، فقال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

فقوم لوط من الأمم التي أبادها الله ﷻ، وجعلها عبرةً للأمم اللاحقة؛ لأنهم ((كذَّبوا رسولهم في دعوته، وكذَّبوا بالآيات التي أنذرهم بها، واقترفوا الفاحشة، وتكذيب رسول واحد كتكذيب جميع الرسل؛ لأن مهمتهم واحدة))(٢).

وقد أَنذر لوط عليه السلام قومه بعذاب الله ﷻ فلم يرتدعوا، فعاقبهم بأن أرسل عليهم ريحًا ترميهم بالحجارة، فدمرتهم جميعًا إلَّا لوطًا عليه السلام وآله الذين آمنوا به واتَّبعوه، ونجاة هؤلاء نعمةً من الله ﷻ عليهم، وتكريمًا لهم(٣).

قصَّة آل فرعون:

أوردت الآيتان [٤١ – ٤٢] قصَّة آل فرعون، وتكذيبهم نبي الله موسى عليه السلام؛ إذ أنذرهم الله ﷻ بالعقوبة؛ لكفرهم، وتكذيبهم نبيَّهم، وتسفيههم الأدلة التي جاء بها، فعاقبهم ﷻ عقاب المقتدر الذي لا يغلبه أحد(٤)، فقال: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾.

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية، للإبياري ١١ / ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي ٣ / ٢٥٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٣ / ٢٥٤٦.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٦٠٠.

إذًا ذكرت سورة القمر قصص خمسة أقوام مع أنبيائهم في تسلسلٍ وترتيبٍ زمني واضحين، وهذا يتناسب مع التَّسلسل الزمني لبعثة الأنبياء، فجاءت قصَّة نوح عليه السلام في البداية؛ لأنه بُعث قبل الأنبياء الآخرين الوارد ذكرهم في السُّورة، ثم قصَّة هود عليه السلام مع قومه، تلتها قصَّة صالح عليه السلام، وبعدها قصَّة لوط عليه السلام، وأخيرا قصَّة موسى عليه السلام.

وأتمَّت سورة (ص) ذكر قصص الأنبياء الآخرين الذين لم يرد ذكرهم في سورة القمر، فأوردت الآيات [١٧ – ٢٦] قصَّة داود عليه السلام، وبعدها قصَّة سليمان عليه السلام في الآيات [٣٠ – ٤٠]، تبعتها قصَّة أيوب عليه السلام في الآيات [٤١ – ٤٤]، وبعدها قصَّة إبراهيم عليه السلام وذريته في الآيات [٤٥ – ٤٨]، واختُتمت بقصة آدم عليه السلام، وَتَكَبُّرِ إبليس في الآيات [٧١ – ٨٥].

– ذكرت الآيتان [٤٧ – ٤٨] من سورة القمر مصير المُكذِّبين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾، فـ((المشركون في الدنيا في ضلالةٍ، وخطأٍ، وخلافٍ، وفي سعيرٍ في الآخرة، والسُعُر: جماعة السعير، ويقال: السعر يعني: في عناء))[١]، وأخبرهم ﷻ بمستقرهم حين قال: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾، أي: ((يُجرُّون في النَّار على وجوههم، ويقول لهم الخزنة: ذوقوا مسَّ سقر يعني: عذاب النَّار))[٢].

وأكملت الآيات [٥٥ – ٥٧] من سورة (ص) الآيتين السابقتين من سورة القمر، فذكرت مصير المُكذِّبين، والطاغين يوم القيامة، وبيَّنت صنوف العذاب الذي سيلاقونه في النَّار، فقال ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾.

– بينت الآيتان [٥٤ – ٥٥] من سورة القمر ثواب المتَّقين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾، فالله ﷻ سيجازيهم بالبساتين، وأنهارٍ من الماء، والخمر، والعسل، ويجلسون في مجالس حق، لا لغو فيها، ولا تأثيم، عند الملك القادر

---

(١) بحر العلوم ٣ / ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٣٥٦.

الذي لا يعجزه شيء[1].

وفي تناسب ظاهر بين سورتي القمر و(ص)، جاءت سورة (ص) مفصِّلة بشكل أوضح ثواب المتَّقين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾.

٢- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والأعراف:

من خلال تَتَبُّع آيات السورتين وجدت التَّناسب اللغوي بينهما يتمثَّل في الآتي:

- جاءت الآية [٣] من سورة (ص) مذكِّرةً بالأمم السَّابقة التي كذَّبت الرسل، والهلاك الذي حلَّ بهم، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾، وأكَّدت سورة الأعراف خبر هلاكهم في قوله ﷻ: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾، وزادت عليها تفصيلًا في الآية [٥]، فذكرت حالهم حينما حلَّ عليهم العذاب في قوله ﷻ: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

- من التَّناسب الملحوظ بين السورتين ما ورد من قصص الأنبياء، إذ ذكرت سورة (ص) قصص خمسة أنبياء مع أقوامهم، وهم على التَّرتيب: (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم، وآدم) عليهم السلام، وذكرت سورة الأعراف مجموعةً من قصص الأنبياء، كقصة آدم عليه السلام مع إبليس في الآيات [١٠ – ٢٥] التي تناسبت مع سورة (ص) حين تحدثت عن القصَّة نفسها في الآيات [٧١ – ٨٥]، وسأتناول هذا الجانب من التَّناسب مفصَّلًا على النحو الآتي:

أ- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾، ففي هاتين الآيتين توضيح أصل خلق الإنسان وهو الطين، وفيهما يأمر الله ﷻ الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ تكريمًا له، واستجابوا له جميعًا عدا إبليس، فقال ﷻ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وأوردت سورة الأعراف المعنى نفسه في الآية [١١]، فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٤٣٧.

ولحظت هنا أنَّ ما فصَّلته سورة (ص) في أربع آيات، أوجَزَتْهُ سورة الأعراف في آيةٍ واحدةٍ؛ لأنها جاءت لتؤكِّد المعنى الوارد في سورة (ص)، وحتى لا يكون هناك إسهاب في حديثٍ سبق التَّفصيل فيه.

ب- ونجد التَّناسب، والتناغم في هذا الموضوع يستمر في الآيات الآتية في السورتين، فقال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾، وقال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ ﴾.

فكان الحوار في سورة ص هادئًا بين الله ﷻ، وإبليس، حتى إنه ﷻ ناداه باسمه: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ ﴾، وفي مناداة المنادى باسمه نوع من التكريم، ثم أنه في سؤاله ﷻ لم يتطرق إلى مناقشة إبليس في عصيان أمره، بل كان في الحديث معه نوع من الرأفة، فقال ﷻ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾، فجاء جواب إبليس حاملًا التكبُّر، والاستعلاء حين قال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾.

ونلحظ أنَّ السؤال والجواب في سورة (ص) وقع في آيتين فقط، وهذا تأكيد على أن نقاش الله ﷻ لإبليس لم يتَّصف بالحدَّة، والعزَّة منه ﷻ.

بينما في سورة الأعراف نجد النَّقيض؛ إذ أظهر ﷻ شدَّته، وجبروته، وعظمته في خطابه، فلم يسمِّه باسمه، فقال له مباشرة: ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾، وبيَّن ﷻ غضبه من عصيان أمره في قوله: ﴿ إِذۡ أَمَرۡتُكَ ﴾، فكان الجواب من إبليس مشابهًا لجوابه في سورة (ص): ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [ص: ٧٦، والأعراف: ١٢]، وذلك في إشارةٍ لعدم توبته من الخطأ الذي اقترفه، وإصراره عليه.

ت- في ظل عناد إبليس أمره الله ﷻ في سورة (ص) بالخروج من الجنَّة، وبيَّن له أنه مطرود من رحمته ﷻ، فقال: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، وفي سورة الأعراف لم يكتف ﷻ بأمر الخروج، بل زاد عليه بالهبوط، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ ﴾.

إنَّ تصاعد حدَّة الحوار الوارد في السورتين يفسِّر لنا جانبًا من مناسبة تقدم سورة (ص) على سورة الأعراف من حيث النُّزول.

ث- في سياق القصَّة نفسها طلب إبليس من ربه ﷻ في سورة (ص) أن يمهله، ويؤخِّره إلى يوم البعث، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾، فأراد من هذا الطلب الخلود في الدنيا، فلم يجبه ﷻ إلى ذلك، وأمهله إلى النفخة الأولى كما وضَّحَته سورة الحجر في قوله ﷻ: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾، أي: إلى حين يموت الخلق جميعهم(١).

وأكَّدت الآيتان [١٤- ١٥] من سورة الأعراف الآيتين [٧٩ - ٨٠] من سورة (ص)، فذكرتا المعنى نفسه، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾.

ج- وهناك تناسبٌ بين الآية ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]، والآيتين ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]، فأكَّدت آيتا سورة الأعراف نيَّة إبليس الخبيثة في إغواء بني آدم، وتوعده لهم، ومفصِّلتين الطريقة التي سيتبعها في ذلك، فقال: ((لأصُدَّنهم عن دينك المستقيم يعني: الإسلام، ثم ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من قبل الآخرة، فأزيِّن لهم التَّكذيب بالبعث، وبالجنة، وبالنار، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يعني: من قبل الدنيا، فأزيِّنها في أعينهم، وأُرغِّبهم فيها ولا يعطون فيها حقًّا، ﴿ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ يعني: من قبل دينهم، فإن كانوا على هدى شبهته عليهم حتى يشكُّوا فيها))(٢)، وتجلَّى تفصيل غواية إبليس بني آدم في الآيتين [٢٠ - ٢١] من سورة الأعراف، حينما أخذ يوسوس لآدم، وحواء بالأكل من الشجرة التي نهاهم الله ﷻ عنها في قولـه: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾.

ح- ورد في الآيتين [٨٤ - ٨٥] من سورة (ص) وعيدٌ وتهديدٌ من الله ﷻ لإبليس بدخوله وأتباعه النَّار، وأقسم ﷻ قسمًا مغلظًا بملء جهنم منهم، فقال: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٢ / ١٠٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢ / ٣١.

جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

وجاءت الآية [١٨] من سورة الأعراف بالمعنى نفسه، في تأكيد واضح لآيتي سورة (ص)، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

بعدها يتوالى ذكر القصص في سورة الأعراف على النحو الآتي:

- الآيات [٥٩ – ٦٤]: قصَّة نوح عليه السلام.
- الآيات [٦٥ – ٧٢]: قصَّة هود عليه السلام.
- الآيات [٧٣ – ٧٩]: قصَّة صالح عليه السلام.
- الآيات [٨٠ – ٨٤]: قصَّة لوط عليه السلام.
- الآيات [٨٥ – ١٠٢]: قصَّة شعيب عليه السلام.
- الآيات [١٠٣ – ١٣٦]: قصَّة موسى عليه السلام.

ومِنْ تَتَبُّعِ القصص الواردة في سورة الأعراف لحظتُ أن قصص الأنبياء جاءت مرتبة بحسب ترتيب البعث، فضلًا عن ذلك فقد وجدت تناسبًا بيِّنًا بين السورتين من ناحية القصص، فجاءت سورة (ص) متمِّمة لقصص الأنبياء الواردة في سورة الأعراف على الرغم من تقدم سورة (ص) عنها في النُّزول، ولم تتكرر قصَّة أي واحد من الأنبياء في السُّورة الأخرى سوى قصَّة آدم عليه السلام، وبالمقابل ذكرت السورتان مجتمعتين قصص أحد عشر نبيًّا وهم: (آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وداود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم) عليهم السلام جميعًا.

خ- تحدثت الآيات [١ – ١١] من سورة (ص) عن طبيعة المشركين، والرد عليهم، وجاءت سورة الأعراف لتؤكِّد ما بدأته سورة (ص) وتتمَّه، فذكرت عناد المشركين، ورفضهم دعوة الإسلام في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾، بعدها أتت الآية [١٩٤] لترد على هذا العناد، وتبيِّن لهم بالحجة، والدليل خطأ ما يفعلون، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، أي: إنَّ ((هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله هم مخلوقون مثلكم؛

فلا يصح أن يكون المخلوق محل عبادة، وتقديس من مخلوق مثله))[1].

وبعدها ردَّت على المشركين بحجة أخرى أقوى، وأشد في قوله ﷻ: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾، فبيَّنت جهل عبادتهم الأصنام من خلال واقعها؛ إذ ليس لها أرجلٌ حتى تسعى بها في حوائجهم، وليس لها أيد تنصرهم عمَّن يريد الشر بهم، وليس لها أعين فَيُعَرِّفونهم بما عاينوا، وأبصروا ما يغيبون عنه فلا يرونه، ولا آذان فيخبرونهم بما سمعوا دونهم، فطالما أن آلهتكم ليس فيها من هذه الأشياء؛ فلا مسوِّغ لعبادتها[2]، وأكَّدت السُّورة هذا المعنى في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

وأكدت الآيتان [٦٥ – ٦٦] من سورة (ص) وحدانية الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴾، وفي ذلك رد على تمادي المُكذِّبين في شركهم الوارد في سورة الأعراف.

د- ورد في سورة (ص) بيان جزاء المُكذِّبين يوم القيامة في الآيات [٥٥ – ٥٧]، وجاءت سورة الأعراف متمِّمة في ذكر هذا الجزاء، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ذ- جاءت سورة الأعراف متمِّمة لسورة (ص) في ذكر ثواب المتَّقين الوارد في الآيات [٤٩ – ٥٢]، فقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

---

(١) التفسير الواضح ١ / ٧٩٧.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٣٢٢.

ب- التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث:

إنَّ لكل كتابٍ سرًّا معينًا، ومن أسرار القرآن الكريم فواتح سوره[١]، إذ ((استفتح الله ﷻ بعض سور كتابه الحكيم ببعض الحروف الهجائية التي لا تكون كلمات، فبعضها ابتدأ بحرف واحد مثل: ﴿ صٓ ، قٓ ، نٓ ﴾، وبعضها ابتدأ بحرفين مثل: ﴿ حمٓ ، طه ، يسٓ ﴾، وبعضها بثلاثة أحرف مثل: ﴿ الٓمٓ ، الٓر ، طسٓمٓ ﴾، ومن بينها سور بُدئت بأربعة أحرف، مثل: ﴿ الٓمٓصٓ، الٓمٓر ﴾، ومنها ما بُدئ بخمسة أحرفٍ مثل: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾))[٢].

اختلف العلماء في تفسير هذه الفواتح فقيل: ((إنما هي حروف يُستفتح بها، فإن قيل: هل يكون شيء من القرآن ليس له معنى؟ فإن معنى هذه أنه ابتدأ بها؛ ليعلم أن السُّورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة لانقطاع ما بينهما، وذلك موجود في كلام العرب))[٣]، وقيل: هي أسماء الله ﷻ، وقد أقسم بها[٤].

قال القاضي ابن العربي: ((فواتح السُّور اختلف الناس فيها اختلافًا كثيرًا، قيَّدنا فيها عشرين قولًا لا سبيل إلى تعيين واحد منها بدليل؛ لأنه معدوم، ولا بأثرٍ؛ لأنه غير منقولٍ، وليست من المتشابه الذي لا يعلمه إلَّا الله، فإن محمدًا لو خاطب الكفار منها بما لا يفهم لكان ذلك أقوى أسبابها في الطعن عليه))[٥].

وافتتح الله ﷻ سورة القمر بذكر معجزة انشقاقه؛ إذ وقف المشركون منها موقف التَّكذيب، ومماطلة الحق، وكيل التُّهم للنبي ﷺ، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ

---

(١) ينظر: معالم التَّنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ١ / ٥٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٥ / ٢٠١.

(٣) معاني القرآن، للأخفش ١ / ٢١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٢٠٦.

(٥) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ١٠٨٠.

إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴾.

أي: إنَّ مفتتح سورة القمر ذكر معجزة الانشقاق، والتَّكذيب الذي لاقته الرسالة النبوية من قبل المشركين، وتناسب ذلك مع مفتتح سورة (ص) الذي ورد فيه الحديث عن طبيعة المشركين، وتكذيبهم الرسالة المحمدية، والرد على معتقداتهم الفاسدة فقال ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾.

من ذلك يتبين لنا الوحدة اللغوية والموضوعية التي تناولتها كل من آيات مفتتح السورتين.

والنَّاظر لمفتتح سورة الأعراف يجد أن الحق ﷻ افتتحها بخطابٍ موجَّهٍ إلى رسوله محمد ﷺ، وبتحذير الأمة من مغبة تكذيب ما جاء من عند الله ﷻ، أو عدم اتباعه، فقال ﷻ: ﴿ الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾.

وهذا المفتتح يذكر بين جوانبه ما ذكره مفتتح سورتي (ص)، والقمر من مناقشة أمر التكذيب للرسالة الإلهية، وإثبات صدقها بالدلائل، والبراهين، وإثبات بطلان عقائد المشركين.

وإذا ألقينا نظرة متفحِّصة في فواتح السُّور الثَّلاث نجد الآتي:

١- افتتح الله ﷻ سورتي (ص)، والأعراف بالحروف المقطعة، وهذه الحروف ((مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة، ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله))[١].

فسورة (ص) افتتحت بالحرف: ﴿ صٓ ﴾، فقال ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ ﴾، واختُلف في تفسير معنى هذا الحرف، فقيل: ((إنه قسم، واسم من أسماء الله ﷻ، عن ابن عباس، وقيل: من حروف المعجم عن السدي، وقيل: معناه صدق الله، وقيل: اسم من أسماء القرآن، وقيل: اسم من أسماء السُّورة، وقيل: (صاد) بكسر الدال، أي: عارضْ بعملك))[٢].

وافتتحت سورة الأعراف بقوله ﷻ: ﴿ الٓمٓصٓ ١ ﴾، وورد في معنى هذه الأحرف عدة أوجه، فبعضهم قال: إنها تعني: أنا الله أفعل، وقال آخرون تعني: اسم من أسماء الله ﷻ وقسمٌ أقسمه الله ﷻ، ورأي ثالث يقول: إنَّ معناها المصوِّر، ووجه رابع يرجِّح بأن معناها اسم من أسماء القرآن، وخامس يقول: هذا فواتح يفتح الله ﷻ بها القرآن، ورأي سادس قال: إنها تعني ألف من الله ﷻ، والميم من الرحمن، والصاد من الصَّمد[٣].

وجاء افتتاح سورة الأعراف بالأحرف المقطعة؛ لتتناسب مع افتتاح سورة (ص) بمثل تلك الحروف.

بينما لم تفتتح سورة القمر بمثل هذه الحروف، ولكنها تناسبت في الافتتاح مع سورتي (ص)، والأعراف في جانب المعجزات، فسورتا (ص)، والأعراف افتتحتا بأحرف تدل على معجزة القرآن الكريم، وسورة القمر افتتحت بمعجزة من معجزات الله ﷻ على نبيه، وهي معجزة انشقاق القمر، فقال ﷻ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ ﴾، أي: إنَّ التَّناسب في المعجزات الواردة في مفتتح السُّور الثَّلاث.

وفي وصف معجزة الانشقاق قال ابن مسعود ﷺ: ((انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين، فكانت إحداهما فوق الجبل، والأخرى أسفل من الجبل، فقال ﷺ: " اشهدوا "[٤]، قال

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢ / ٥٢١.

(٢) تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب – آخر سورة غافر ٢ / ٢٦٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥ / ١٤٣٧.

(٤) ورد الحديث في: صحيح البخاري ٦ / ١٤٢، رقم الحديث (٤٨٦٤).

ابن عباس: إنَّ المشركين قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقًا فشُق لنا القمر فلقتين، فقال: " إن فعلتُ؛ أتؤمنون؟ " فقالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل ﷺ ربه؛ فانشق فرقتين، نصف على أبي قُبيس، ونصف على قُعَيْقِعان، وقيل: سألوا آية مجملة، فأراهم انشقاق القمر))[١].

٢- ومن تَتَبُّع التَّناسب في افتتاح السُّور الثَّلاث، وجدت أنه ورد في بعض الآيات الأولى من هذه السُّور الإخبار عن الأمم السَّابقة، فقال ﷻ في الآية [٤] من سورة القمر: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾، وفي الآية [٩] قال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾.

وجاء في الآية [٣] من سورة (ص) الإخبار عن هلاك الأمم السَّابقة المكذبة، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾، وقال ﷻ في الآية [٤] من سورة الأعراف: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾.

وهكذا يؤكِّد لنا هذا التَّناسب بين مفتتح السُّور الثَّلاث على إعجاز القرآن الكريم، ويقدم لنا تفسيرًا آخر عن سبب ترتيبها في النُّزول على هذا النحو: (القمر، و(ص)، والأعراف).

ت- التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث:

من روائع أسلوب القرآن، ونظمه التَّناسب بين خواتيم السُّور، فتذكر خاتمة السُّور بديع الكلام من حكم، وجوامع الكلم، وغيره، ((وكما أن السلاطين يختمون رسائلهم، وفرامينهم بجوامع الكلم، ونوادر الوصايا على التمسك بالأوامر المذكورة، والتهديد لكل من يخالفها ويخرج عنها، كذلك الله تبارك وتعالى ختم أواخر السُّور بجوامع الكلم، ومنابع الحكم، والتأكيد البليغ، والتهديد العظيم))[٢].

وقد ((تميزت خواتم السُّور كما تميزت فواتح السُّور بدلالاتٍ، ومعانٍ، وإشاراتٍ، محققةً أهدافها في مخاطبة البشر، مبينةً لهم حكمًا، ومواعظ، داعيةً لهم بالهداية، والاستقامة، مبشرةً، ومنذرةً))[٣].

---

(١) البحر المديد ٧ / ٣٧٠.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير ١٤٣.

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم ١٢٥.

ومثاله: ما جاء في الخطاب الرَّباني في آخر سورة البقرة، حين قال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

وفي التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث نجد أنَّ سورة القمر اختتمت بذكر مصير المشركين الأخروي، وثواب المتَّقين المصدقين بآيات الله ﷻ ورسله، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾.

واختتم ﷻ سورة (ص) بمقطع ذكر فيه قصَّة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس، وقد بيَّن هذا المقطع مصير المُكذِّبين الضالين، وثواب المتَّقين، فقال ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

وذكر مختتم سورة الأعراف مجموعة من التوجيهات للأخلاق الفاضلة، وبيان حقيقة المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾.

من ذلك نلحظ أنَّ التناسب اللغوي واضحٌ بين مختتم سورتي القمر، و(ص)؛ إذ بيَّنا ثواب المتَّقين يوم القيامة، ومصير المشركين المُكذِّبين، واختُتمت سورة الأعراف بمجموعةٍ من التوجيهات الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلَّى بها المؤمن، وهي مواثيق للبشرية بالعبودية لله ﷻ،

ولا شك في أنَّها المحددة، والمقرِّرة، والقارئة لمصير الفئتين الأخروي، وبيَّن النهج الصحيح الذي يجب أن يقتفى أثره لتوخي الوقوع فيما وقع فيه المشركون والشَّيطان، فحوى مختتمها عددًا من الأمور التي وجه بها الله ﷻ نبيه، وعلى المسلم الحق أن يسير على نهجها، ويتَتَبَّع أثرها لينال أجر الله ﷻ، وثوابه، ويتجنب سخطه، وعقابه، ومن هذه التوجيهات:

– أخذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم، مثل قبول الاعتذار، والعفو المتساهل، ووصل من قطعك.

– إتيان المعروف بإعطاء من حرمك.

– الإعراض عن الجاهلين بالعفو عن ظلمهم.

– الاستعاذة بالله ﷻ عند نزغ الشيطان، ووسوسته للقيام بالشر، وتذكره في هذه اللحظة حتى يدع ما يهم به مما يغضب خالقه.

– الإنصات والاستماع عند قراءة القرآن، وفهمه لاتباع هديه، واجتناب جميع نواهيه.

– ذكر الله ﷻ بالدعاء، وتسبيحه، والاستكانة له في الليل والنهار، ولا يغفل الإنسان عن ذلك لحظة واحدة.

– عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وعدم الاستكبار على ذلك[١].

وبهذا يتبين لنا التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث، إذ تبيِّن لنا خاتمة سورة الأعراف المنهج الذي يجب أن نتَّبعه لنيل الثواب، وتجنُّب العقاب، المذكورين في خاتمة سورتي القمر، و(ص).

ث– التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها لما قبلها، وما بعدها:

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنه يحمل روح التَّركيب، أي أنَّ كل سورةٍ مرتبطةٍ بما بعدها ارتباطًا وثيقًا وكأنه وحدة لغوية واحدة وتركيب واحد، فخاتمة كل سورةٍ ممهدة لفاتحة السُّورة التالية لها، وهو نظام يتصف به، فيظهر لنا تماسك سوره؛ لأن هذا التركيب ينظر إلى نظم الكلمة وتأليفها، وبعدها تأليف النظم، ثم يظهر الإعجاز بتعلق هذا النظم في السُّورة بنظم السُّورة اللاحقة باستعمال رابط نهاية كل سورة، وبداية الأخرى، في تماسكٍ عجيبٍ، وبديعٍ يدل

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٤٣١ – ٤٤٢.

على عظمة هذا القرآن، وأنه ليس من كلام البشر[١].

قال مصطفى صادق الرافعي: ((وفي القرآن مظهرٌ غريبٌ لإعجازه المستمر، لا يحتاج في تعرفه إلى رويةٍ ولا إعنات ... وتُناسِبُ كلُّ آيةٍ منه كلَّ آيةٍ أخرى في النظم والطريقة، وتترابط كل سورة منه مع سابقتها، ولاحقتها في الروح العامة على اختلاف المعاني، وتباين الأغراض.. فكأنه قطعةٌ واحدةٌ))[٢].

وسأدرس هذا النوع من التَّناسب على النحو الآتي:

١- التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة القمر، وفاتحة سورة (ص):

جاء مختتم سورة القمر ليتناسب مع مفتتح سورة (ص)، فذكر مصير المشركين الأخروي، وبيان صفاتهم السيئة، وضرب الأمثال بمن سبقهم وسار على شاكلتهم؛ إذ قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾.

وذكر مفتتح سورة (ص) طبيعة المشركين والرد عليهم، فقال ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة تثبت التَّناسب اللغوي بين مفتتح سورة (ص)، ومختتم سورة القمر فإننا سنجد الآتي:

---

(١) ينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور ٩٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٣٩ – ١٤٠، وينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور ٩٦ – ٩٧.

أ- ورد في الآية [٤٤] من سورة القمر صورة سيئة عن طباع المشركين، وهي التَّكبُّر، والغرور بعددهم، وعتادهم، والتَّبجُّح باستحالة هزيمتهم أمام المسلمين مقابل جمعهم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾، أي: ((منتصرٌ ممن قصدنا بسوءٍ ومكروهٍ، وأراد حربنا وتفريق جمعنا))[١].

وجاءت الآيات الأولى من سورة (ص) متمِّمة ذكر طباع المشركين، وصفاتهم، فقال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، وهو ردٌّ على تبجُّحهم، وغرورهم بعددهم، وعدتهم؛ إذ يجيبهم الله ﷻ بأنَّ الذين كفروا في عزَّةٍ، وشقاقٍ دائمٍ، ولا يمكن أن ينتصروا على المسلمين حتى لو كثر عددهم، وعتادهم.

ثم واصلت الآيات في مفتتح سورة (ص) حديثها عن طبيعة المشركين، في تتميم واضح لطبيعتهم المذكورة في مختتم سورة القمر، فقال ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾.

ب- جاء في خاتمة سورة القمر وعيد الله ﷻ للمشركين بالعذاب في النَّار يوم القيامة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾.

وتناسب ذلك مع ما ذكرته فاتحة سورة (ص) من تهديد المشركين في قوله ﷻ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾، فجملة: ﴿ لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ في الآية تعني: ((لم يذوقوا عذابي، وسيذوقونه))[٢]، وهذا وعيدٌ، وتهديدٌ واضحين للمشركين، وتأكيدٌ للوعيد الذي جاء في خاتمة سورة القمر.

ت- ورد في مختتم سورة القمر التذكير بهلاك الأمم السَّابقة المكذبة، فقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾، وتناسب ذلك مع مفتتح سورة (ص) الذي أكَّد هذه الآية وذكَّر بهلاك تلك الأمم، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٦٠٢.

(٢) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٦.

ونلحظ أيضًا أن مفتتح سورة (ص) غلب عليه الحديث عن طبيعة المشركين، وورد في مختتم سورة القمر في الأغلب الحديث عن مصيرهم يوم القيامة، فجاء مختتم سورة القمر ليبيِّن جزاء ما يقوم به المشركون من أفعال وردت في مفتتح سورة (ص) في تناسبٍ ظاهرٍ بينهما، ففي المُفتتح الأفعال، وفي المُختتم الجزاء.

٢- التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الأعراف:

اختتم الحق ﷻ سورة (ص) ببيان مصير إبليس، وأتباعه من المشركين يوم القيامة، وببيان مهمة الرسول ﷺ، ومهمة الكتاب الذي أنزل إليه؛ إذ قال ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾.

وفي سورة الأعراف يفتتح الحق ﷻ السُّورة ببيان ما أبانته خاتمة سورة (ص) من آيات دالة على أنَّ الكتاب الذي أنزل على الرسول ﷺ ما هو إلا من باب الذكرى، وبيَّن مفتتحها مصير كل من أشرك بالله، فقال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

وبهذا يتبين لنا وحدة الموضوع بين خاتمة سورة (ص)، ومفتتح سورة الأعراف.

ومن تَتَبُّع التَّناسب اللغوي بينهما في هذا الجانب وجدت تماسكًا بين آياته يتمثل في الآتي:

أ- جاء في الآيتين [٨٤ - ٨٥] من سورة (ص) التهديد والقسم من الله ﷻ بإدخال إبليس، وكل من تبعه نار جهنم، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، ((وهذا قسم منه ﷻ، أن النَّار دار العصاة، لا بد أن يملأها من إبليس، وأتباعه من الجنِّ، والإنس))[١].

وجاء في مفتتح سورة الأعراف الدعوة لاتِّباع ما أنزل الله ﷻ في كتابه، والتأكيد على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٨٥.

حرمة اتِّباع أي أحدٍ من دونه، في تناسب بيِّن مع أواخر سورة (ص)، فهناك نهي عن اتباع إبليس، وهنا أمر باتباع الله ﷻ؛ إذ يقول ﷻ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾، وهذا يؤكد الترابط بين السورتين.

ب- ورد ذكر القرآن الكريم في أواخر سورة (ص)، فقال ﷻ في الآية [٨٧]: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾، ففي هذه الآية يخاطب الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ فيقول له: ((قل لهؤلاء المشركين من قومك: ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ يعني: ما هذا القرآن ﴿ إِلَّا ذِكۡرٞ ﴾، يقول: إلا تذكير من الله ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ من الجنِّ، والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهَلَكة))[١]، فبيَّنت الآية الغاية من نزول القرآن الكريم.

وذكرت فاتحة سورة الأعراف القرآن الكريم، وبيَّنت الغاية من نزوله بصورةٍ أكثر تفصيلًا، فقال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾، أي: ((﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾، أي: ضيق من حمله، فلا تسعه لعظمه، فتتلاشى بالفناء والوحدة، والاستغراق في عين الجمع، ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، أي: ليمكِّنك الإنذار والتذكير؛ إذ بالاستغراق لا ترى إلا الحق))[٢].

ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث من حيث الموضوعات المشتركة:

من خلال الدراسة السَّابقة للتناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث وجدتها تذكر مجموعةً من الموضوعات المشتركة في تناسب يسوِّغ ترتيبها في النُّزول على النحو السَّابق، ومن هذه الموضوعات:

١- أحوال الأمم مع أنبيائهم:

ذكرت السُّور الثَّلاث أحوال الأمم السَّابقة مع أنبيائهم، أي: موقف المشركين من دعوة التوحيد التي جاء بها أنبياء الله، فتحدث المقطع الأول من سورة القمر عن معجزة انشقاقه، وموقف المشركين المكذِّب لها، وتكذيبهم دعوة التَّوحيد، في انسجام طبيعي مع سليقتهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٤٣.

(٢) روح المعاني ٤ / ٣٣٧.

وطبعهم، وردَّت عليهم الآيات في المقطع نفسه بما يثبت ضلال موقفهم، فقال ﷻ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴾.

وتناسب ذلك مع ما ذكرته سورة (ص) في المقطع الأول، الذي تحدَّث عن طبيعة المشركين، والرَّد عليهم، وذلك في الآيات [١ – ١١]، فقال ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾.

وتحدثت آيات المقطع قبل الأخير من سورة الأعراف عن طبيعة المشركين، وردَّت على موقفهم في قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ۝١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾.

٢- قصص الأنبياء:

ذكرت السُّور الثَّلاث، كما رأينا سابقًا، مجموعةً من قصص الأنبياء مع أقوامهم، فوردت في سورة القمر قصص أنبياء الله: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى) عليهم السلام، وفي سورة (ص) قصص الأنبياء: (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم، وآدم) عليهم السلام، وفي سورة الأعراف قصص الأنبياء: (آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى) عليهم السلام.

٣- وصف الجنَّة:

من التَّناسب العجيب بين السُّور الثَّلاث أن جميعها، كما رأينا، تحدثت عن ثواب المتَّقين، ففي سورة القمر قال ﷻ مبينًا هذا الثواب: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾.

وقال في سورة (ص): ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

وقال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٤- جزاء المشركين، والمكذبين:

وذكرت السُّور الثَّلاث ثواب المتَّقين فجاءت في المقابل؛ لتبين جزاء المشركين والمكذِّبين، فقال الله ﷻ في سورة القمر: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾.

وبينت سورة (ص) هذا الجزاء في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ

يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾.

وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

من ذلك يتبين أنَّ لترتيب السُّور الثَّلاث (القمر، و(ص)، والأعراف) على هذا النحو ما يسوِّغه.

المبحث الثاني
المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن التَّرتيب المصحفي

إن المُتَتَبِّع لسور القرآن الكريم يجدها متتابعةً ومتسلسلةً تسلسلًا توقيفيًّا، ومتَّصلةً وملتحمةً بعضها ببعض؛ إذ تكوِّن لنا وحدةً موضوعيةً في غاية الروعة والجمال، ويصير حالها كحال البناء المحكم المتناسق الأجزاء[١].

وجاء علم المناسبة ليثبت مسألة التوقيف بالنسبة إلى ترتيب السُّور والآيات، وهذا يدلُّ على الإعجاز اللغوي القرآني الذي يؤكد الترابط المحكم بين آياته في تسلسل معانيه، وأن كل فكرةٍ فيه تؤدي للأخرى، وكل حكمٍ يؤدي للآخر[٢]، كل ذلك بهدف الوصول إلى المعنى المقصود والحكمة المبتغاة، والغاية المطلوبة.

أي إنَّ علم المناسبة جاء لتأكيد غايتين، هما:

١- تماسك السُّور على نظام، ونسق لغويين معينين.

٢- تأكيدُ مسألةِ (توقيفية ترتيب السُّور في المصحف)[٣].

وأهم ما جاء من مناسبة سورة (ص) مع ما قبلها، وما بعدها ضمن التَّرتيب المصحفي:

أولًا: التَّناسب اللغوي بين سورة (ص)، وسورتي (الصَّافات، والزُّمَر):

هناك تناسبٌ رائعٌ بين هذه السُّور الثَّلاث، ما يدل دلالةً واضحةً على إعجاز القرآن الكريم، وأنَّ ترتيب هذه السُّور بهذا النظم الإبداعي لم يكن مصادفةً، فسورة (ص) هي السُّورة الثامنة والثلاثون بحسب ترتيب المصحف، وتأتي بعد سورة الصَّافَّات، وقبل سورة الزُّمَر.

قال السيوطي عنها: ((هذه السُّورة بعد الصَّافَّات، كـ(طس) بعد الشعراء، وكـ(طه) والأنبياء بعد مريم، وكـ(يوسف) بعد هود، في كونها متمِّمة لها بذكر من بقي من الأنبياء ممن لم يذكروا فيها))[٤].

---

(١) ينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ١٨.

(٢) ينظر: علم المناسبات في القرآن ١٨.

(٣) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم ١٤١.

(٤) أسرار ترتيب القرآن ١٢٧.

كذلك ذكر السيوطي عن سورة الزُّمَر أنَّ هناك ما يدل على أن ترتيب سورة (ص) يأتي قبلها، وهو الاتصال الوثيق بين ما جاء في أول سورة الزُّمَر من ذكر تنزيل الكتاب، في قوله ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾، وتصدير سورة (ص) بقوله ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ ﴾، فهناك تلاحمٌ بين ذكر الكتاب وتنزيله[١].

لم يقتصر التَّرابط بين سورتي (ص)، والصَّافات من ناحية التَّرتيب على ما ذكره السيوطي؛ إذ جاء في مطلع سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ ﴾، وهو إشارة استقبلها النبي ﷺ، والمؤمنون في آخر سورة الصَّافَّات في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾، بمعنى: ((سبَّحنا بحمدك ربَّنا، وحق ص والقرآن ذي الذكر الذي آمنا به))[٢].

فضلًا عن ذلك، فإنَّ ترتيبها على هذا النحو في المصحف يأتي من عدة أوجه، وهي:

١- الطُّول والقصر:

يرى السيوطي أنَّ السَّبب في تقديم سورة في المصحف على أخرى مراعاة طولها وقصرها[٣]، وكذلك يرى المراغي أنَّ ((الناظر إلى ترتيب السُّور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطُّول، والتوسط، والقصر في الجملة؛ ليكون ذلك أعون على التلاوة وأسهل في الحفظ))[٤]؛ لذا نجد أنَّ ترتيب السُّور في المصحف قام على أساس مراعاة طول الجمل التي في السُّور، وتوسطها، وقصرها[٥].

فسورة الصَّافَّات تتألف من [١٨٢] آية، وعدد آيات سورة (ص) [٨٨] آية، بينما تتألف سورة الزُّمَر من [٧٥] آية، وهذا يعني أن سورة (ص) أقصر من سورة الصَّافَّات، وأطول من سورة الزُّمَر في عدد الآيات؛ لذا نجدها تتوسط السورتين في التَّرتيب المصحفي.

٢- التَّفصيل والإجمال:

---

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١٢٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١٠٤٧.

(٣) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ٦١.

(٤) تفسير المراغي ٧ / ٦٩.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٧ / ٢٤٠.

وهو جانب من جوانب ترتيب السُّور في المصحف؛ إذ ذكر السيوطي أن قضايا كل سورة تأتي في الغالب تفصيلًا أو شرحًا للقضايا التي وردت في السُّورة السَّابقة لها(١).

وسأتناول هذا الجانب من خلال بيان علاقات التَّفصيل، والإجمال على النحو الآتي:

أ- التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث:

يُعَدُّ هذا الوجه من أسرار ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف؛ إذ نجد أنَّ ما أُجمل في السُّورة الأولى يفصَّل في السُّورة الثانية، أو الثالثة، وقد نجد أنَّ ما أُجمل في السُّورة الثانية يفصَّل في السُّورة الثالثة أو العكس، وهكذا، وهذا ما وجدته من دراسة التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث، فمن صوره:

ورد التَّناسب بين سورتي ((ص)، والصَّافَّات) في الإجمال، والتَّفصيل، إذ نجد أن ما ذكر في (ص) مجملًا وورد مفصَّلًا في سورة الصَّافَّات، فحين ذكر الله ﷻ ثواب المتَّقين يوم القيامة في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصَّافَّات: ٤١ – ٤٩]، أجمل هذا التَّفصيل في سورة (ص)، فقال: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾، فنلحظ في هذين الموضعين أنَّ آيات سورة الصَّافَّات فصَّلت ثواب المتَّقين، وذكرت ما احتوت عليه جنات الخلد، فهو وصف تفصيلي، في حين أجملت آيات سورة (ص) هذا الوصف، واكتفت بذكر الجنَّة، وأبوابها، وفاكهتها، وشرابها، وصورها.

لم يقتصر إجمال سورة (ص) في التَّفصيل الوارد في سورة الصَّافَّات على وصف الجنَّة، وإنما نجده في وصف العذاب، فحين أجمل الوصف في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ نجده يفصِّل هذا الإجمال في سورة الصَّافَّات، فقال ﷻ: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى

---

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١١٨.

سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾، وقال ﷻ مفصِّلًا صنوف العذاب الأخرى للمشركين: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴾، وقال: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾.

وذكرت سورة (ص) في بعض آياتها ثواب المتَّقين يوم القيامة، وجاءت سورة الزُّمَر متممةً ذكر ذلك الثواب، فقال ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾، وبيَّنت الآية [٣٤] بأن لهم ما تشتهي أنفسهم من طعامٍ، وشرابٍ، وغيره، فقال ﷻ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ومن تكريم الله ﷻ لهم يوم القيامة عدم مساس السُّوء بهم، وأنهم في فرحٍ دائمٍ وسرور، فقال ﷻ: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾، ولا شك أن مصيرهم الجنَّة جزاء بما عملوا فقال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾، ولم ينس المؤمن فضل الله ﷻ عليه، فحمده، وأثنى عليه فقال ﷻ على لسانهم: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

كذلك ذكرت بعض الآيات في سورة (ص) جزاء المشركين يوم القيامة في عدة مواضع، وأتمَّت سورة الزُّمَر ذكر هذا الجزاء، وأن مصيرهم نار جهنم فقال ﷻ: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾، وأنهم سيجزون جزاءً شبيها بجزاء الأمم المكذِّبة السَّابقة، وهو الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال ﷻ: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾، ويصف الله ﷻ وجوههم بأنها مسودَّة، فيقول: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾؛ إذ إنَّ ((﴿ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ ﴾ بما ينالهم من الشِّدَّة التي تغيِّر ألوانهم حقيقة، ويجوز أن يكون ذلك من باب

المجاز؛ لما يعلو وجوههم من الكآبة، ويلحقها من الهمِّ والحزن))[1]، ولا شك بأنهم سيساقون لنار جهنم خالدين مخلدين فيها، فقال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

علاوةً على ذلك فإن آيتي التوحيد في سورتي الصَّافَّات، و(ص) جاءتا مجملتين، ففصَّل الله ﷻ مقتضى هذا التوحيد في سورة الزُّمَر، فقال ﷻ في الآية [٤] من سورة الصَّافَّات: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴾، ففي هذه الآية أقرَّ ﷻ الوحدانية له مجملة على لسان رسوله محمد ﷺ، وحينما أخبر الرسول قومه بوحدانيته ﷻ أجابوه في سورة (ص) منكرين قوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾، فجاءت آية الزُّمَر مفصِّلة مقتضى هذا التوحيد، وهو أن يكون الدين كله خالصًا لله؛ إذ يقول ﷻ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ... ٣ ﴾، أي: ((ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها فلا ينبغي ذلك لأحد؛ لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه، لا من لا يملك منه شيئًا))[2].

كذلك فإن الله ﷻ أورد في سورة الصَّافات ذكر ربوبيته للسماوات، وتكفُّله بحمايتها، وفصَّل في أوصافها، ودعا للتفكِّر فيها فقال ﷻ: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾.

أما في سورة (ص) فقد جاء الحديث عن السماوات مجملًا، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا ... ٢٧ ﴾، وفي سورة الزُّمَر فصَّل الله ﷻ فيما ينزل من السماء وما يعقب ذلك من آثار فقال ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٩٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٥٠.

بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾.

وذكر الله ﷻ عباده المخلَصين في سورة الصَّافات دون ذكر صفة من صفاتهم حين قال: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، بينما في سورة الزُّمَر نجده ﷻ يفصِّل في بعض صفاتهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾.

وإذا جئنا إلى تقوُّل المشركين على الله ﷻ نجدهم في سورة الصَّافَّات يجعلون بينه وبين الجِنَّة نسبًا، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ... ﴿١٥٨﴾ ﴾، ودَحَضَ هذا الافتراء التَّفصيل الموجود في سورة (ص)، فقد ورد فيه اعتراف إبليس نفسه بأنَّ الله ﷻ خالقه، ولم تكتفِ السُّورة بذلك بل بيَّنت أصل خلقه، وبيَّنت أصل خلق الإنسان، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾، فهذا التَّفصيل، كما أسلفت، دحض افتراء المشركين بوجود نسب بين الله ﷻ وبين الجِنَّة، تعالى الله علوًّا كبيرًا.

ب- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والصَّافَّات:

ترتبط سورة (ص) بالصَّافَّات ارتباطًا لغويًّا وثيقًا في مسألتي التَّفصيل، والإجمال، ومن صوره أن نجد سورة (ص) تذكر حالة وفي الصَّافَّات نتيجتها وجزاؤها، أو أن يكون ما ورد في سورة (ص) سببًا لما ورد في سورة الصَّافَّات.

فمن ذلك قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾، أي: قال الكافرون: ((أَجَعَلَ محمد المعبودات كلها واحدًا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا؟ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ أي: إنَّ هذا لشيء عجيب))[1].

فيلحظ في هذه الآية اتهام الكافرين النبي محمدًا ﷺ بالسِّحر والكذب، وإنكار وحدانية الله

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٩.

ﷻ، فلا يمكن، بحسب زعمهم، أن يكون المعبود واحدًا، فقد تلقُّوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأُشربت قلوبهم ذلك، فأصبحت عقيدةً راسخةً في عقولهم، لذلك أعظموا إفراد الإله بالعبودية، وتعجَّبوا من دعوتهم لترك الشرك بالله ﷻ، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾(١).

وللسائل أن يسأل هنا: ما نتيجة هؤلاء القوم وما ادَّعوه؟ أجاب الله ﷻ عن هذا السؤال في سورة الصَّافَّات؛ إذ ذكر عذاب هؤلاء المشركين والمكذبين، فقال ﷻ: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾، فيقال للملائكة يوم القيامة: اجمعوا الكافرين، وأزواجهم، وأشياعهم الذين يعبدون من دون الله الآلهة، فوجهوهم إلى طريق الجحيم، واحبسوهم أيها الملائكة حتى يحاسبوا(٢)، فبينت الآيات جزاء هؤلاء المُكذِّبين، ووصفتهم السُّورة نفسها بالمجرمين؛ من هول عنادهم، وإمعانهم في التكذيب، واستكبارهم على آيات الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، ووصفت عذابهم يوم القيامة بالأليم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾، أي: العذاب الموجع (٣)، وواصلت سورة الصَّافات حديثها عن جزاء المشركين، ومصيرهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾.

من تَتَبُّع الآيتين [٤-٥] من سورة (ص)، والآيات [٢٢-٢٤، ٣٤، ٣٨، ٦٧-٦٨] من سورة الصَّافَّات، يتبين لنا أن آيتي سورة (ص) أوضحتا السبب الحقيقي وراء عذاب المشركين الوارد في آيات سورة الصَّافَّات، فلو أردنا الجمع بين الآيات لاستقام اللفظ والمعنى، وكأنه كلام واحد متصل، ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٤ – ٥] ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصَّافَّات: ٢٢ – ٢٤]، ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٥٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٧ – ٢٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٢٠.

بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصَّافَّات: ٣٤]، ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ [الصَّافَّات: ٣٨]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصَّافَّات: ٦٧ –٦٨].

وحدث مثل هذا التَّناسب في موضعٍ آخر؛ إذ قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾، ففي هاتين الآيتين تكذيب الأمم السَّابقة للرسل فقط، ولم يُذكر حجَّتهم في التكذيب، ولكنها ذُكرت في الصَّافَّات، فقال ﷻ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾، فهاتان الآيتان توضِّحان السبب الذي حمل المُكذِّبين على الاستهزاء بجميع المعجزات، وتكذيب الرُّسل، وهو اعتقادهم بأن من مات، وتفرقت أجزاؤه، واختلطت بقاياه بتراب الأرض؛ فلا يعقل أن يعود للحياة[1].

لذا يبدو أن هناك تناسبًا واضحًا بين النصوص، فالآيتان في سورة (ص) ذكرتا تكذيب أقوام سابقين رسلهم، وذكرت سورة الصَّافَّات حجَّتهم في التكذيب، وما يدلُّ على قوة التَّناسب أن لو دمجنا آيات السورتين لاتفقت لفظًا ومعنى.

ومن صور التَّناسب بين السورتين أنَّ سورة (ص) ذكرت من الأنبياء ما يصلح أن يكون متمِّمًا لقصص أنبياء آخرين ورد ذكرهم في سورة الصَّافَّات، فورد في سورة (ص) ذكر النبي داود عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾، والنبي سليمان عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾، والنبي أيوب عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾، وأشارت الآيات الأخرى في سورة (ص) إلى بقية من ذكر في سورة الصَّافَّات، فقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

وذكرت سورة الصَّافَّات عددًا من الأنبياء وهم: نوح عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٢٨٧.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾، وإبراهيم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾، وموسى عليه السلام فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾، وذكرت أنبياء الله: (إسحاق، وإلياس، ولوط، ويونس) عليهم السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾، ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾، ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾، ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

ومن خلال تَتَبُّع آيات سورة الصَّافَّات وجدت بعض الآيات التي تتكلم على جزاء المشركين، والمكذِّبين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾، فيأمر الله ﷻ في هذه الآية بأن يدخل المشركين نار جهنم جزاءً بما فعلوا في دنياهم من تكذيب رسالته، وكفر بها، وذكر ﷻ بأن هذا مصير جميع المجرمين ممن هم على شاكلتهم فقال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، وأن عذابهم سيكون أليمًا موجعًا فقال ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾، وأنهم سيقذفون في سواء الجحيم، أي: وسط النَّار[1]، فقال ﷻ: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾، وسيعاقبون في النَّار بالأكل من شجرة الزُّقوم، وهو شجر مرٌّ كريه الرائحة[2]، قال ﷻ: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾، ويأمر الله ﷻ بإلقائهم في النَّار فقال: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾.

وجاءت بعض آيات سورة (ص) لتتمِّم ما ذكرته آيات سورة الصَّافَّات من بيان جزاء المشركين يوم الحساب فقال ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾؛ إذ بينت أن مصيرهم النَّار، وسيشربون فيها الحميم، والغسَّاق، أي: يشربون ((الماء الحار الذي انتهى في الحرارة، والقيح الذي يسيل من جلودهم))[3].

بينت الآية [١١] من سورة الصَّافَّات طبيعة خلق الإنسان، فقد خلقه الله ﷻ من طين

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١ / ٣١٣.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٢٠.

(٣) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٥٠.

لازب، أي: الطين الجيد المتلاصق[1]، قال ﷻ: ﴿ ...إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾، وجاءت الآية [٧٢] من سورة (ص) متمِّمة لها، فقد أوضحت المرحلة الأخرى من مراحل خلق الإنسان وهي بث الروح فيه، فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ... ﴾.

ت- التَّناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والزُّمَر:

لم تقتصر مناسبات الإجمال، والتَّفصيل اللغوية على سورتي الصَّافَّات، و(ص)، وإنما نجدها في سورتي (ص)، والزُّمَر، فمن ذلك ما نجده في مفتتح السورتين؛ إذ قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾، فوُصف القرآن بـ﴿ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ ولم يُذكر تنزيله، ومصدره، في حين أتمَّت سورة الزُّمَر الآية بذكر مصدر تنزيله في قوله ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾.

ونجد في سورة الزُّمَر موضعًا آخر يجمل ما فصَّلته سورة (ص)؛ إذ قال ﷻ فيها: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾، فجاءت الآيتان مجملتين فلم تفصِّلا في ذكر الأقوام المُكذِّبين، في حين فصَّلت سورة (ص) ذلك بقوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾.

ومن التَّناسب الجميل في الإجمال، والتَّفصيل أننا نجد في سورة (ص) ذكر الصَّيحة يوم القيامة، فقال جلَّ شأنه: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾، فنلحظ من هذه الآية أنها غير مفصِّلة في ذكر أهوالها وما يحصل للناس لحظتها، وهو ما ذكرته سورة الزُّمَر في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾، ويمكن حصر التَّفصيل في الآتي:

١- ذكر حالة من في السماوات، ومن في الأرض، وهم يصابون بالصعق.

٢- ذكر النفخة الثانية.

ث- التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث:

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٧.

تعد فواتح السُّور سرًّا من أسرار إعجاز القرآن الكريم[١]؛ إذ تعطي صورة عن غرض السُّورة ومقاصدها، ((وقد أتت فواتح السُّور على أحسن الوجوه، وأبلغها، وأكملها، كالتَّحميدات، وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك))[٢].

وافتُتحت سور القرآن الكريم بعشرة أنواع من الكلام لا تحيد عنها، وهي الاستفتاح بـ(الثناء لله ﷻ، وحرف من حروف التَّهجي، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل)[٣].

يجد الناظر إلى مفتتح سورة الصَّافَّات ما تحار له الألباب، وتخشع عند ذكره القلوب؛ إذ قال ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾.

فنجد في هذا المفتتح تأكيد الله ﷻ وحدانيته بعد عدَّة أيمان أقسمها، والله ﷻ لا يقسم بشيء إلا واقتضى قسمه عظمة المقسم به، بعدها أكَّد ﷻ ربوبيته لكلِّ شيء، ودلَّل على استحقاقه لتلك الوحدانية، والربوبية بعظيم صنعه في تزيين السماء الدنيا، وقدرته على حفظها من مردة الشياطين، ومسترقي السمع، وساق الأدلة التي تخاطب العقل، والمنطق بأن لفت الأنظار إلى الظواهر الكونية الدالة على وحدانيته ﷻ.

وفي مفتتح سورة (ص) يقول الحق ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٣ / ١٣٧٣.

(٢) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٢ / ٢٧٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢ / ٢٧٨ – ٢٧٩.

شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾.

افتتحت السُّورة بحرف ﴿ صٓ ﴾ الذي اُختلف في تفسيره، كما أسلفت، ثم انتقلت إلى القسم بأعظم كتاب سماوي أنزله الله ﷻ على البشرية، بعدها تحدَّثت عن طبيعة المشركين المشككين في وحدانية الله ﷻ.

وهنا نلحظ التلاحم بين مفتتح سورة الصَّافَّات، ومفتتح سورة (ص)، فكلاهما أشار إلى عقيدة التوحيد.

وافتتح الحق ﷻ سورة الزُّمَر بتعميق عقيدة التوحيد، وتأصيلها، وغرسها فقال ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

من ذلك نجد أنَّ السُّور الثَّلاث تمثِّل بدايات مترابطة، ومتناسبة فيما بينها، وتكاد تكون متفقة في تعبيراتها، ففي مطلع سورة الصَّافَّات يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾، وفي بداية سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾، وابتدأت سورة الزُّمَر بقوله ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾.

ونلحظ أنَّ سورة الصَّافَّات ابتدأت بالقسم بوحدانيته ﷻ في الآيات [١ – ٥]، وأكَّدت

الآيات [٦ – ١٠] تلك الوحدانية التي تجلَّت في مظاهر قدرة الله ﷻ الكونية، وجاء في مفتتحها ذكر القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرٗا ۝٣ ﴾، وهي ((إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة))[١]، أي جاء في مفتتحها الحديث عن وحدانية الله ﷻ، وورد فيه ذكر القرآن الكريم.

ورأينا أنَّ سورة (ص) ابتدأت بحرف من حروف التَّهجي، تبعه القسم بالقرآن الكريم، كذلك تحدثت في مفتتحها عن التوحيد، حينما أوردت بتهكم سؤال المُكذِّبين وتعجبهم من وحدانية الله في قوله ﷻ على لسانهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ ﴾.

فنلحظ من ذلك أن مفتتح سورة (ص) ورد فيه ذكر القرآن الكريم، والحديث عن التوحيد، وهذا ما وجدته أيضًا في مفتتح سورة الصَّافَّات[٢].

ومن تَتَبَّع آيات مفتتح سورة الزُّمَر يجدها بدأت بالحديث عن نزول القرآن الكريم، ومصدر تنزيله، فقال ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾، ثم عن وحدانية الله ﷻ: ﴿ ...فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾، بعدها التأكيد على وحدانية الله ﷻ، والوعيد لمن يشرك به: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ ﴾، وبيَّنت الآية [٤] أن الله ﷻ لا يشاركه أحد في هذه الوحدانية فقال: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾، ودلَّلت الآيتان [٥ – ٦] على هذه الوحدانية من خلال آيات الله الكونية في قوله ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾، بينما الآية [٧] أظهرت استغناء الله ﷻ عن الكافرين، وأنهم

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣١٤.

(٢) ينظر: التَّناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ١٢٩.

سيحاسبون على شركهم به، واستكبارهم على توحيده، فقال ﷻ: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

وهكذا نجد التَّناسب اللغوي بين فواتح السُّور الثَّلاث من جانبين. هما:

الجانب الأول: (الحديث عن عقيدة التوحيد):

فبعد أن أثبت الله ﷻ وحدانيته في سورة الصَّافَّات، وأنكر على من لم يتبع عقيدة التوحيد في سورة (ص)، انتقل إلى سورة الزُّمَر للحديث عن مقتضى هذه العقيدة، وهو أن يكون الدين الخالص كله لله، ودحض كل العقائد الفاسدة التي تناقض ذلك.

الجانب الثاني: (ذكر القرآن الكريم):

ورد في مفتتح السور الثَّلاث، كما أسلفت، ذكر القرآن الكريم في تناسب جميل بينها، فقال ﷻ في سورة الزُّمَر: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ ..وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾، وفي سورة الصَّافَّات قال ﷻ: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾.

ج- التَّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثَّلاث:

من جماليات النظم القرآني وجود تناسبٍ جميلٍ، وبديعٍ بين خواتيم سوره، وفي ذلك قال الإبياري عنها: ((هي أيضا مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماء؛ فلهذا جاءت متضمِّنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام؛ حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّق إلى ما يذكر بعد؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد، ووعيد، إلى غير ذلك))[١].

ومن تتبع خواتيم السُّور الثَّلاث يجد ما يدل على الترابط، والتلاحم بينها، فخاتمة سورة الصَّافَّات مناقشة المشركين في عقائدهم؛ لإثبات بطلانها، واستئصالها من جذورها بالحجج الدَّامغة والآيات الساطعة، ثم تتحول إلى لغة الوعيد، والتهديد حتى يكون ذلك أدعى للشعور بالخوف، والوجل، والرجوع إلى عقيدة الحقِّ التي لا يزيغ عنها إلا هالك، قال ﷻ في مقطع

---

(١) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٢ / ٢٨١.

مختتمها: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

نلحظ من ذلك أنه بعد مناقشة الله ﷻ المشركين في عقيدتهم، وإثبات بطلانها، وتوعدهم بالعذاب الأليم، جاء مختتم سورة (ص) ببيان مهمة الرسول محمد ﷺ، وكتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾، وبذلك يتضح لنا ترابط مختتم السورتين، ففي سورة الصَّافَّات تفنيد لمعتقداتٍ فاسدةٍ وإبطالها، وفي سورة (ص) تعريف بمهمة القرآن الكريم، والرسول ﷺ التي دحضت تلك المعتقدات.

وإذا نظرنا إلى مختتم سورة الزُّمَر نجد أن الله ﷻ يستعرض فيه صورًا حيةً من مشاهد يوم القيامة، وانقسام الناس على زمرتين، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

من ذلك يتَّضح التَّناسب بين مختتم السُّور الثَّلاث؛ إذ إنَّ الحديث عمَّا فسد من معتقدات في مختتم سورة الصَّافَّات يتبعه بديل يحل محل المعتقد الفاسد، وذلك من مهمة القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ، وهو ما أشار إليه مختتم سورة (ص)، وبعدها يأتي الجزاء يوم القيامة، وهو ما بيَّنه مختتم سورة الزُّمَر.

وما يزيد هذا التَّرابط والتلاحم ما وجدت من خلال تتبع خواتيم السُّور الثَّلاث من أنَّ اختتام سورة الصَّافَّات بقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾، وجاء في أواخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، وجاء في خاتمة سورة الزُّمَر قوله ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

فنلحظ ورود الحمد في سورة الصَّافَّات، والذكر في سورة (ص)، والتسبيح، وهو: ذكر وحمد في سورة الزُّمَر، فجمعت سورة الزُّمَر ما ذكرته سورتا الصَّافَّات، و(ص).

وهناك تناسبٌ لفظيٌّ في ختام سورتي الصَّافَّات، والزُّمَر، فكلتاهما اختتمت بقوله ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، أي إنهما اختتمتا بذكر الله عن طريق حمده، والثناء عليه، وأكَّدتا وحدانيته ﷻ بوصفه رب العالمين، أي إله جميع المخلوقات.

وأيضا هناك تناسبٌ بين خاتمة سورة (ص) من جهة، وخاتمة سورتي الصَّافَّات، والزُّمَر من جهة أخرى؛ إذ ورد في أواخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، أي: ((ما هو إلا ذكر للعالمين ونور، وهدى للناس، وبيِّنات من الهدى، والفرقان، فيه الشفاء، والذكرى، والموعظة، والعلاج، والدواء من كل داء))[2]، فبينت الآية نعم الله ﷻ على الإنسان المستوحاة من القرآن الكريم، وهذه النعم تستوجب الشكر، والثناء، والحمد لله ﷻ، وهذا ما كان

---

(١) ينظر: التَّناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ٥٠ – ٥١.

(٢) التفسير الواضح ٣ / ٢٥٢.

في خاتمة سورتي الصَّافَّات، والزُّمَر، فسورة (ص) توسطت هاتين السورتين، وما قبلها وبعدها ختم بحمد الله، وهذا يذكرنا بتسبيح المسلم لله حينما يقول: الحمد لله من قبل، ومن بعد.

ح- التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّور، وخاتمة ما قبلها:

ويقصد به الارتباط، والتماسك بين فاتحة سورة معينة، وخاتمة السُّورة التي قبلها، قال الزركشي في ذلك: ((إذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السُّورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً، ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء))[١].

ومن أمثلة ذلك: ((ختمت سورة القصص بما يفيد هلاك جميع المخلوقات، ورجوعهم إلى الله، فكان من جميل النسق أن تبدأ سورة العنكبوت بعدها بتوجيه المؤمنين إلى الصبر على ما يتعرضون له من الأذى، وما يُفتنون به من بلاء المشركين، ليكون لهم ثواب الصابرين، وعقبى المتَّقين))[٢].

وأيضًا افتتاح سورة الحديد بتسبيح الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾، وتناسب ذلك مع ختام سورة الواقعة التي دعت لتسبيح الله في قوله ﷻ: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦ ﴾.

سأتناول جانبين في هذا الموضوع، هما:

١- التَّناسب اللغوي بين فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات:

إنَّ المتأمِّل في فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات يجد تناسبًا جميلًا بينهما، ففي خاتمة سورة الصَّافَّات، الآيات [١٤٩ – ١٨٢] مناقشة المشركين في عقائدهم، وتبيين فسادها، وفضح كذبهم، وفحش قولهم، والغلبة للمؤمنين قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ ﴾.

ومن ينظر في مفتتح سورة (ص)، الآيات [١ – ١١] يتأكد له التَّناسب والترابط بينها وبين مختتم سورة الصَّافَّات؛ إذ افتتحت السُّورة بالحديث عن أقوال المشركين، وطبيعتهم في التكذيب، وايراد بعض مواقف جحودهم الرسالة الإلهية، أي إنَّ ما جاء في مختتم سورة

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٨٠.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٧ / ١٨٢٢.

الصَّافَّات أكمله الوارد في مفتتح سورة (ص)؛ فكلاهما يبحث في عقيدة المشركين؛ لإثبات بطلانها.

ولو دخلنا في بعض تفاصيل التَّناسب اللغوي بين مفتتح سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات نجد الآتي:

– في مختتم سورة الصَّافَّات وعد الله ﷻ المتَّقين بالنصر في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾، وهذا يؤكِّده ما جاء في مفتتح سورة (ص)، حين قال ﷻ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾، فمختتم سورة الصَّافَّات حمل لواء التَّمكين، والعزَّة، والغلبة لجند الله ﷻ، وفي المقابل جاء مفتتح سورة (ص) منذرًا جند الأحزاب بالهزيمة، والوبال، والخيبة.

– نجد في خاتمة سورة الصَّافَّات تنزيه الله ﷻ نفسه عن كل شائبةٍ ونقصٍ، وأن له جميع صفات العزِّة، والكمال، وأوجب للمرسلين السلامة من المُكذِّبين[1]، فقال ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وجاءت فاتحة سورة (ص) تقدم الدليل على أن العزَّة، والكمال لله وحده، وذلك بخذلان كل من يتجرَّأ على عزَّته، ويحاول منازعته في ذلك[2]، فقال ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾، ففي هاتين الآيتين يقسم الله ﷻ على أنَّ الكافرين يعلمون أنَّ الله ﷻ، وما جاء به الأنبياء، والرسل هو الحق، وأنَّه يتَّصف بجميع صفات الكمال، ولكنَّ حميَّة الجاهلية، والعزَّة الآثمة تمنعهما من الاعتراف بذلك، ولذا فهم في اضطراب نفسي داخلي بين قناعتهم، وبين ما يظهرونه، وفي ظل هذا الصراع النَّفسي فإنَّ حالهم غير مهيأ للانتصار، فالنصر سيكون حليف المؤمنين، والسلامة لرسله، وهو ما أكَّدته أواخر الآيات في سورة الصَّافَّات في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾، وبالمقابل دلَّ هذا النصر على أن العزَّة، والكمال لله وحده.

– من المناسبات الجميلة ما أورده الله ﷻ في أواخر سورة الصَّافَّات من ذكر تكذيب المشركين لعذابه حينما طلبوا أن يحلَّ عليهم العذاب على سبيل السُّخرية، والاستهزاء، فقال ﷻ:

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٥٦ – ٣٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٦ / ٣٥٧ – ٣٥٨.

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾، وجاءت الآية [٣] من سورة (ص) تذكر لنا أن الله ﷻ سبق أن عذَّب، وأهلك أممًا كثيرةً قبلهم جزاء تكذيبهم لما جاءت به الرسل؛ ليكون بمنزلة الردِّ على سخريتهم، واستهزائهم، فيكون ذكر أحوال القرون السَّابقة، وما حلَّ بهم من هلاك عبرةً، وعظةً، ورادعًا لهم عن الاستمرار في استهزائهم، وسخريتهم، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾.

– ورد الذِّكر، والكفر في مختتم سورة الصَّافَّات في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ لتتناسب هذه الآيات مع ما ورد في الذِّكر، والكفر في فاتحة سورة (ص)[1] حين قال ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾.

وهكذا وجدنا أنَّ التناسب بين خاتمة سورة الصَّافَّات، وفاتحة سورة (ص) يؤكِّد التحام السورتين وتماسك بعضهما ببعض، وفسَّر ذلك سبب مجيء سورة الصَّافَّات قبل سورة (ص) في التَّرتيب المصحفي.

٢– التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الزُّمَر:

جاءت الآيات [٨٦ – ٨٨] في مختتم سورة (ص)، كما أسلفت، تتحدث عن مهمة الرسول محمد ﷺ، والقرآن الكريم؛ ليتناسب ذلك مع مفتتح سورة الزُّمَر، الآيات [١ – ٧] الذي تحدث عن الدعوة لتوحيد الله ﷻ، فجاءت فاتحة سورة الزُّمَر مكمِّلة لخاتمة سورة (ص)، ومفصِّلة لها، فخاتمة سورة (ص) أجملت الحديث عن مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم، بينما فصَّلت فاتحة سورة الزُّمَر تلك المهمة، وهي الدعوة لتوحيد الله ﷻ في عدة مواضع، فقال ﷻ: ﴿ ... فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾، وقال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴿٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾.

وهناك أمثلة أخرى تؤكد التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الزُّمَر، منها:

– ورد في أواخر سورة (ص) اعتراف إبليس بعجزه عن إغواء المخلصين عبادتهم لله ﷻ، فهو

---

(١) ينظر: التَّناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ١٣٠.

يتوعَّد بإغواء جميع البشر عداهم، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾، وفي مفتتح سورة الزُّمَر أمر الله ﷻ أن تكون العبادة خالصة له، فقال: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾؛ إذ إنَّ إخلاص العبادة لله وحده هو السبيل لاتِّقاء إغواء إبليس.

- هناك التحامٌ آخر بين السورتين، إذ جاء في آخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، وجاء في بداية سورة الزُّمَر قوله ﷻ: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[1]، أي: إنَّ هذا الذكر هو تنزيلٌ من ربِّ العالمين، وبلغ هذا الالتحام من الشِّدة، والقوَّة أن لو أسقطت بسملة سورة الزُّمَر لاستوى الكلام ولم يتنافر[2].

- تضمَّن آخر سورة (ص) تهديد المُكذِّبين بدخول النَّار، وأنهم سيرون الجزاء واقعًا لا محالة، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، وسيكون هذا الجزاء من غير عجلة، قال ﷻ: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾، وربما قال أحد المتعنِّتين من المُكذِّبين: ماله لا يعجِّل لنا العذاب ما دام قادرًا على ذلك؟ فجاءت بداية سورة الزُّمَر؛ لتعلِّل هذا التأخير، فافتُتحت بكلمة ﴿ تَنْزِيلُ ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾، فبيَّنت أنَّ القرآن الكريم نزل منجَّمًا بحسب التدرُّج؛ لموافقة المصالح في أوقاتها، وحتى يفهمه الناس، ويصير ذكرًا للعالمين من غير عجلة، ولا توان[3]، وهنا تظهر الحكمة من عدم استعجال الله ﷻ في عذاب المشركين، فهو يعطيهم الفرصة للعودة، والإنابة إليه، وهذا يذكرنا بخلق الله ﷻ السماوات السبع؛ إذ لم يخلقها جميعًا في وقتٍ واحدٍ، ولكنه تدرَّج ﷻ في خلقها؛ لحكمةٍ هو يعلمها، فخلقها في ستة أيام، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

وبناءً عليه نجد أنه ((لما بنيَّت سورة (ص) على ذكر المشركين، وعنادهم، وسوء

---

(١) ينظر: التَّناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ١٣١.

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١٢٨، وروح المعاني ١٢ / ٢٢٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤١٢ – ٤١٣.

ارتكابهم، واتخاذهم الأنداد والشركاء؛ ناسب ذلك ما افتُتحت به سورة الزُّمَر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حال من تقدم))[1].

ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين السُّور الثَّلاث من حيث الموضوعات المشتركة:

شمل التَّناسب بين سورة (ص) وسورتي الصَّافَّات، والزُّمَر الموضوعات، فتشابهت في مجموعة منها، وهي:

١- وحدانية الله ﷻ:

يُعدُّ موضوع وحدانية الله ﷻ من الموضوعات الشائعة في السُّور القرآنية، ومنها هذه السُّور الثَّلاث؛ إذ تكلَّمت عليها صراحة، أو أشارت إلى ذلك، ففي سورة الصَّافَّات يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾، ويقول: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾، ففي هاتين الآيتين تصريح بوحدانية الله ﷻ ألوهيةً، وربوبيةً، وهذا التَّصريح يتوافق تمامًا مع ما ورد في سورة (ص)؛ إذ قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾.

واستمر التشابه في هذا الموضوع لنجده في سورة الزُّمَر؛ إذ قال ﷻ: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ ... ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ ﴾، فنلحظ أن الآية [٦] من سورة الزُّمَر قد جمعت وحدانية الألوهية، والربوبية.

وكرَّر الله ﷻ في السُّور الثَّلاث الدَّعوة إلى الإخلاص في توحيده، فورد في سورة الصَّافَّات استثناء المخلصين من غضب الله ﷻ في أربعة مواضع، الآيات [٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠]؛ إذ قال ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وقال في السُّورة نفسها: ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٩ ﴾، وفي سورة (ص) يقول الله ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ ﴾، وقال ﷻ في سورة الزُّمَر: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ ﴾، وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ ﴾.

٢- أحوال الأمم مع أنبيائهم:

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤١٣.

تعرَّض كل نبي أُرسل إلى أمة إلى مواقف عديدة، فمنهم من يصدقهم، ويؤمن بما جاءوا به، وأكثرهم يكذِّبهم، ويؤذيهم، وتحدثت السُّور الثَّلاث عن طبيعة المشركين وطريقتهم في التعامل مع رسلهم، فنجدهم تارةً يسخرون من رسلهم، كما جاء ذلك في سورة الصَّافَّات في قوله ﷻ: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، وعلى الشاكلة نفسها ورد ذكر سخريتهم من نبيهم في سورة (ص)، فقال ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾.

وأشارت سورة الزُّمَر إلى سخرية المشركين واستهزائهم من خلال بيان حالهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

وأحيانًا تجد المشركين يكيلون التُّهم على رسول الله ﷺ، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾.

كذلك أوردت السُّور الثَّلاث طبيعة العناد، والاستكبار على اتباع الحق عند الكافرين، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ .. ﴿٢﴾ ﴾، وفي سورة الزُّمَر: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ... ﴿٥٩﴾ ﴾.

٣- إثبات البعث يوم القيامة:

ورد موضوع إثبات البعث في السُّور الثَّلاث، وهذا ليس غريبًا؛ لأننا وجدنا فيما سبق كيف اشتركت السُّور الثَّلاث في موضوع الوحدانية، وأحوال الأمم مع أنبيائهم، فيكون موضوع إثبات البعث من متمِّمات هذه الموضوعات، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾، وقوله في سورة الزُّمَر: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي

ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

٤- وصف الجنَّة:

ذكرت السُّور الثَّلاث وصف الجنَّة وحال المتَّقين فيها، وترغيبهم في طاعة الله ﷻ، وبينت الثواب الذي سينالونه يوم القيامة، فهم من المفلحين في الدنيا والآخرة، وسيجدون في الجنَّة نعيمًا مقيمًا، فورد في سورة الصَّافَّات قوله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾، وورد في سورة الزُّمَر قوله ﷻ: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

٥- جزاء المشركين، وتهديدهم:

بعد أن بيَّنت السُّور الثَّلاث وصف الجنَّة وثواب أهلها، ذكرت عاقبة المُكذِّبين، والمشركين، وأن مصيرهم نار جهنم، وسينالون صنوف العذاب في الآخرة؛ جزاءً بما كسبت أيديهم في الدنيا، ففي سورة الصَّافَّات يقول ﷻ مبيِّنًا عذابهم: ﴿ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾، وقوله: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾، وقال: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾، وعاقبهم بأكل شجرة الزقوم طعامًا لهم في النَّار، فقال ﷻ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾.

وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾.

وفي سورة الزُّمَر يقول ﷻ: ﴿ ... قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ... ﴿١٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ ... أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾، ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾، وقال ﷻ واصفًا كيفية دخول الكافرين النَّار: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

مما تقدم يتبيَّن لنا أن السُّور الثَّلاث تحدَّثت عن موضوعات مشتركة معزِّزة بذلك التَّناسب بينها.

الفصل الثاني
مناسبات النَّص

المبحث الأول
المناسبات اللغوية الدَّاخلية

إنَّ فكرة النَّصِّية لم تكن غائبة عن التُّراث العربي النحوي، فها هو ابن هشام يذكر أنَّ القرآن كله كالسورة الواحدة، إذ يشير إلى الشيء في سورة، وجوابه في سورة أخرى، وهذا تعبير عملي عن فكرة الوحدة النَّصية (١).

وعني دارسو الآداب المعاصرون بالوحدة الموضوعية التي تربط الكلام بعضه ببعض سواء في القصيدة، وما في القطعة النثرية، واهتموا كذلك بما يسمى بالوحدة العضوية، وذلك من خلال البحث في مدى ارتباط جمل البيت الواحد في القصيدة، وإلى أي مدى وفق الأديب، أو المتكلم في الربط بين أفكاره، ومعانيه وإحكام نسجها(٢).

توجهت بعدها الأنظار نحو القرآن الكريم؛ لأنه تحدى العالمين بإعجازه إلى يوم الدين، واختلفت النظرة حول الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم(٣)، ففئة شكَّكت في تلك الوحدة، بينما أخرى أخذت تتعمَّق في البحث، والتأمُّل، وخَلُصت إلى نتيجة مفادها أنَّ السُّورة الواحدة في القرآن الكريم متماسكة في أجزائها تماسكًا قويًا، بحيث تبدو كأنها جسدٌ واحدٌ(٤).

من ذلك سأبين تماسك النص في سورة (ص) من خلال دراسة المناسبات الداخلية، ومناسبات القصص الواردة فيها على النحو الآتي:

أولًا: تناسب اسم السُّورة مع مقصودها اللغوي:

ليست تسمية السُّور القرآنية بأسماء معينة عبثًا؛ فهي أسماء تحمل الدعوة إلى النَّظر، والاعتبار(٥)، والضابط العام في ذلك هو: أن تسمى السُّورة بكلمة واردة فيها، أو

---

(١) ينظر: شعر محمد مهدي الجواهري، دراسة نحوية نصِّية ٣٦.

(٢) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤١.

(٣) ينظر: المناسبات القرآنية ٢٦ – ٣٥.

(٤) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤١ .

(٥) ينظر: تفسير المراغي ٢٩ / ١٩٥.

بمشتقاتها[١]، وقد يشتق الاسم من اللفظ الوارد في أول السُّورة، كـ(الزَّلزلة)[٢]، فتتميز السُّورة باسم معين لغرض إبانتها، وإظهارها، وتمييزها من بقية السُّور؛ فلا تختلط معها[٣]، وأصل تسمية سور القرآن أنها من النبي ﷺ، أمَّا الأسماء الموجودة الآن فإنها على ثلاث مراتب، هي:

١- منها ما ثبت تسميته عن النبي ﷺ.

٢- منها ما ثبت تسميته عن الصحابة.

٣- منها ما ثبت تسميته عن التابعين، وتابعي التابعين[٤].

وتسمى سور القرآن كذلك بحسب الموضوعات التي داخلها ومقاصدها، فمثلًا: سورة التوبة ((سُمِّيت بهذا الاسم؛ لورود موضوع التوبة على النبي ﷺ، والذين معه والذين خلفوا))[٥].

وجاء علم المناسبة؛ ليبين التَّناسب اللغوي بين السُّورة، ومقصودها، ويوضِّحه، قال البقاعي مبيِّنًا تناسب اسم سورة الفاتحة، مع مقصودها: ((ومقصود كل سورةٍ هادٍ إلى تناسبها، ولا أخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة اسمها: (أمُّ الكتاب، والأساس، والمثاني، والكنز، والشافية، والكافية، والوافية، والواقية، والرقية، والحمد، والشكر، والدعاء، والصلاة)، فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد))[٦].

ولفهم العلاقة بين اسم السُّورة، ومقصودها؛ فإنه ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ... كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينة ذكر قصَّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم؛ لما تردد فيها من كثير من أحكام

---

(١) ينظر: التفسير الحديث ١ / ١١٩.

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن ١٧١.

(٣) ينظر: الانتصار للقرآن، للباقلاني ١ / ٢٣٣.

(٤) ينظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي ٦٣.

(٥) المحرر في علوم القرآن ١٧٠.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ١٢.

النساء، وتسمية سورة الأنعام؛ لما ورد فيها من تفصيل أحوالها))[١].

والسورة محل الدراسة تحمل اسمين، هما:

أ- الاسم المشهور:

وهو: سورة (ص)، قال ابن عاشور: ((سمِّيت في المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنة، والآثار عن السلف (سورة صاد)، كما ينطق باسم حرف الصاد تسمية لها بأول كلمة منها، هي صاد (بصاد، فألف، فدال ساكنة سكون وقف)، شأن حروف التَّهجي عند التهجي بها أن تكون موقوفة، أي: ساكنة الأعجاز))[٢].

ب- الاسم الاجتهادي:

هو: (سورة داود)[٣]، قال سيد طنطاوي: ((هي السُّورة الثامنة والثلاثون في ترتيب المصحف، وكان نزولها بعد سورة (القمر)، وهي من السُّور المكِّية الخالصة، ويقال لها: سورة (داود)))[٤].

وسميت بهذا الاسم؛ لورود قصَّة داود عليه السلام فيها، وذلك في الآيات [١٧ – ٢٦][٥]، قال قال ﷻ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾.

وقد يسأل سائل عن سبب تسميتها سورة (داود) مع أنها تحمل أسماء مجموعة من الأنبياء، وقصَّته وردت في سور أخرى غير هذه السُّورة وهي سور: البقرة، والنساء، والمائدة،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧٠، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٧، وأثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت ١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١.

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ، للمقري ١٤٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٠١، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٣١، وزاد المسير في علم التفسير ٣ / ٥٥٧.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٢ / ١٢٥، وينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى) ٢ / ٤١٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٣٠٥.

والأنعام، والإسراء، والأنبياء، والنمل، وسبأ، ومع ذلك لم تسم باسمه.

فالجواب؛ لأنه استُهل به قصص السُّورة في أنبياء بني إسرائيل، وبُسطت قصته وأُطنب فيها أكثر من غيرها[١]، وقد أشاد ﷻ فيها بداود بما آتاه من الحكمة، وفصل الخطاب، إذ يقول: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾، فضلًا عن أنَّ ورود اسمه في هذه السُّور: (البقرة، والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء، والأنبياء، والنمل، وسبأ) في موضعٍ أو موضعين فقط، أما في سورة (ص) فورد في خمسة مواضع، وفُصِّلت قصَّته فيها.

وما يهمنا هو الاسم المشهور لها، وهو: سورة (ص)، والذي سُمِّيت به في المصاحف، وكتب الحديث، والتَّفاسير كافَّة.

وقبل أن أبيِّن تناسب اسم السُّورة مع مقصودها، سأتحدث عن تناسب المعاني الدلالية لاسم السُّورة مع مضمونها؛ فقد اُختُلف في تلك المعاني، ولكن في جميع الأحوال هناك تناسبٌ بين المعنى، والمضمون على النحو الآتي:

١- سبب تسمية سورة (ص) بهذا الاسم هو ابتداؤها بحرف الصاد في أولها، فقد قال ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾، واختُلِف في دلالة هذا الحرف، قال الطبري: ((اختلف أهل التأويل في معنى قول الله ﷻ: ﴿ صٓ ﴾، فقال بعضهم: هو من (المصاداة)، من (صادَيْتُ فُلَانًا)، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن، أي: عارضه به، ومن قال هذا تأويله، فإنه يقرؤه بكسر الدال؛ لأنه أمر التأويل في معنى قول الله ﷻ: ﴿ صٓ ﴾))[٢]، وزاد أبو حيان أن منه (الصَّدى)، وهو ما يعارض الصَّوت في الأماكن الصَّلبة الخالية من الأجسام، أي: امتثل بما جاء به القرآن[٣].

يتضح من ذلك أن المعنى الدلالي لاسم السُّورة هو: حث النبي ﷺ على الامتثال بأوامر الله ﷻ، وتنفيذ ما جاء به القرآن الكريم، وقد تناسب ذلك مع مضمونها، ويمكن توضيح

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٣٧، وينظر: المقتضب ١ / ٢٣٨ – ٢٣٩، وتهذيب اللغة ١٢ / ١٥٣ (باب الصاد والدال)، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٤٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٣٥.

مواضع هذا الحث في الآتي:

أ- ساق الله ﷻ فيها من الموضوعات ما يعين الرسول ﷺ على الثبات بما جاء به القرآن من منهج، والصبر على ما يواجهه من تحديات؛ إذ ((قصَّ الله فيها أخبار الأنبياء، والرسل السابقين؛ ليكون ذلك زجرًا للكافرين والمكذبين، وتثبيتًا للرسول، وللمؤمنين، وليصبر الرسول على تبليغ الدعوة مهما لاقى في سبيلها من أهوال، وأذى))[١]، فبيَّن له في بداية السُّورة أنه سيعاني من تكذيب المشركين، وعليه ألا يكترث من ذلك؛ لأنه من طبيعتهم على مر الدهور، وأن الله ﷻ قادرٌ على إهلاكهم، وقد أهلك أُممًا من قبلهم ساروا على نهجهم، فقال ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾.

ب- ورد في السُّورة تأكيد عاقبة المُكذِّبين؛ حتى يطمئن الله ﷻ نبيه بأنه سينتقم له يوم القيامة من إيذائهم له، وتكذيب دعوته، فقال ﷻ: ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

ت- ورد في بعض مواضعها تطمينٌ آخر له ببيان العاقبة الطَّيِّبة لأتباعه، فقال ﷻ: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٩ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾، كل ذلك من أجل إبعاد اليأس عن الرسول ﷺ، وإبقائه ممتثلًا لأوامر الله ﷻ وبما جاء به القرآن الكريم.

٢- ابتدأت السُّورة بـ﴿صٓ﴾، وهو من الحروف المقطَّعة؛ للتنبيه على إعجاز القرآن العظيم[٢]، قال الزمخشري: ((ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التَّحدِّي، والتَّنبيه على الإعجاز))[٣]، ويعده السلف ((من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه))[٤]، قال الزحيلي: ((فبُدئ به بهذه السُّورة كغيرها من السُّور المبدوءة بحروف هجائية، بقصد تحدي

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧١.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل ٤ / ٧٠.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٤ / ٤٥.

العرب، وإثبات إعجاز القرآن))[١].

من ذلك نلحظ تناسب المعنى الدلالي لتسمية السُّورة مع ما ورد في مضمونها من معجزات، كمعجزة تسخير الجبال، والطير لداود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، قال الزحيلي: ((أما داود فَخُص بنعمة تسخير الجبال، والطير؛ للتسبيح معه))[٢].

وأيضا معجزة تسخير الريح لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾؛ إذ سخَّر الله تعالى له الريح ((في زمان محدود، ومكان محدود، وجعلها أداة سريعة في يده، ويد أعوانه؛ للقيام بأسرع ما يمكن من التنقلات، والمواصلات، بحيث يكون من المستطاع قطع مسافة شهر في الغدو، ومسافة شهر في الرواح، أي: قطع مسافة شهرين في يوم واحد))[٣].

ووردت في السُّورة معجزة أخرى لسليمان عليه السلام، وهي تسخير الجن، والشياطين، فقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾؛ إذ كانوا يقومون ببعض أعماله، من بناء محاريب، وتماثيل، وغيرها، وسُخِّر آخرون؛ ليغوصوا في البحر حتى يجلبوا له ما فيه من خيرات، كاللؤلؤ، والمرجان، وغيره[٤].

وتضمَّنت السُّورة معجزة اختَصَّ بها نبي الله أيوب عليه السلام، وهي ظهور العين حين ضرب برجله الأرض، فقال تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾، فبعد ضربه ظهرت تلك العين فـ((اغتسل منها، فذهب ما كان بظاهر جسده، وشرب منها؛ فذهب كل مرض كان داخل جسده))[٥].

---

(١) التفسير المنير ٢٣ / ١٦١.

(٢) التفسير المنير ١٧ / ٩٨.

(٣) التيسير في أحاديث التفسير ٥ / ١٧٥.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٠٣، وأسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية تحليلية ١٠٢.

(٥) صفوة التفاسير ٣ / ٥٥.

من ذلك نجد أن اسم السُّورة الذي أظهر إعجاز القرآن الكريم المُنَزَّل على سيدنا محمد ﷺ تناسب مع مضمونها، الذي جاء بعدَّة معجزات لأنبياء آخرين، فكأنَّ ابتداء السُّورة بمعجزة جاء؛ لشدِّ الانتباه على أنَّ هناك معجزات أخرى تضمنتها السُّورة.

٣- ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى اسم السُّورة ﴿ صٓ ﴾ هو: صدق الله، وصدق الرسول ﷺ(١)، ومعنى الاسم يتناسب مع بعض مقاصد السُّورة، ومضامينها؛ إذ بينت السُّورة في عدة مواضع موقف المشركين من الدعوة المحمدية، وتكذيبهم لها، فقال ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾، وقال على لسانهم: ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ ﴾، وقال: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾.

نلحظ من ذلك أن معنى اسم السُّورة كأنَّه استبق المشركين بالرَّدِّ على تكذيبهم الرسول ﷺ، وبيَّن أن ما جاء به الله ﷻ على لسان نبيه هو الحق والصدق، أي: إنَّ معناها ردٌّ على ما ورد في مضمونها من تكذيب المشركين للرسالة المحمدية.

٤- يعدُّ صوت الصَّاد من الأصوات الرَّخوة(٢)، ومن تتبع آيات سورة (ص) تظهر فيها معالم الرَّخاوة؛ إذ جاءت لغة بعض الآيات هادئة، ورقيقة تتناسب مع دلالة اسم السُّورة، وتمثَّل ذلك في خطاب الله ﷻ نبيَّه، فذكَّره بقصص بعض أنبيائه، منهم:

- النبي داود عليه السلام في قوله: ﴿ ... وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾.

- نبي الله سليمان عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠ ﴾.

- نبي الله أيوب عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ﴾.

- أنبياء الله (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذي الكفل) في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤ / ٣، ومفاتيح الغيب ٢٨ / ١٢٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤ – ٤٣٥.

وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾.

وتمثل جانب الرَّخاوة أيضًا في الآيات التي تبشِّر المؤمنين بثوابهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾، فتناسب ذلك مع معنى اسم السُّورة.

وهكذا بعد أن تبيَّن التّناسب الدلالي بين اسم السُّورة، ومضامينها يظهر لنا التماسك الدلالي بين اسم السُّورة، ومقصودها [١]، وفي بيان مقصودها قال سيد قطب: ((هذه السُّورة مكِّيَّة، تعالج من موضوعات السُّور المكِّيَّة قضية التَّوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة))[٢].

وأوضح الزحيلي أنَّ مقصودها هو: ((بيان أصول العقيدة الإسلامية: (التوحيد، والنبوة، والبعث) من خلال مناقشة المشركين في عقائدهم المناقضة لتلك الأصول، وإيراد قصص الأنبياء؛ للعظة والعبرة، وبيان حال الكفار، والمشركين يوم القيامة، ووصف عذاب أهل النَّار، ونعيم أهل الجنَّة))[٣].

وبيَّن ابن عاشور أن لهذه السُّورة عدة مقاصد، فجاءت لتوبيخ المشركين، وتقريعهم؛ لتكذيبهم سيدنا محمدًا ﷺ، وتهديدهم بالهلاك في الدنيا والآخرة كما أُهلكت الأمم السَّابقة المنكرة لوحدانية الله ﷻ، وأيضًا قَصَدت تسلية الرسول ﷺ بالاقتداء بمن سبقه من الرسل، وأتت لإثبات البعث، وبيان ثواب المؤمنين المتَّقين، وعاقبة المُكذِّبين الطاغين[٤].

ويتَّضح مقاصد السُّورة من سبب نزولها، وذلك في الحديث الذي روي عن الرسول ﷺ حينما رد على عمه أبي طالب الذي سأله عما يريد من قومه، فقال: ((يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذلُّ لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها جزية العجم، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة،

---

(١) ينظر: وحدة النسق في السُّور القرآنية ١٣٨.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٤.

(٣) التفسير المنير ٢٣ / ١٦٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٢.

قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، قال: فقالوا: أجعلوا الآلهة إلهًا واحدًا؟ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ قال: ونزل فيهم: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾ حتى بلغ ﴿ ... إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٞ ۝٧ ﴾))[1].

من ذلك نجد أنَّ **مقصود السُّورة الأساسي**، وهدفها الأسمى هو تأكيد الآتي:

١- وحدانية الله ﷻ:

اتَّضح هذا المقصد من خلال بعض الآيات الدَّالة عليه، والمؤكِّدة له، فجاء في مطلع السُّورة استنكار الله ﷻ على لسان نبيه تعجُّب المشركين من وحدانيته ﷻ حين قال: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾، وجاءت بعض آيات السُّورة تصف الله ﷻ بصفات دالة على وحدانيته، كـ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ في قوله: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ ﴾، وقوله: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ۝٦٦ ﴾، فـ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ هو: الذي ((لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له))[2]، وهو وحده المستحق للتوحيد، ووصفته بـ﴿ ٱلۡوَهَّابِ ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٣٥ ﴾، وكذلك في الآية [٩]، فهو وحده المتفرد بعطائه للناس، والغفَّار في الآية [٦٦].

وبيَّنت السُّورة أن الله ﷻ هو مستحق التوحيد؛ لأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما، واتَّضح ذلك ضمنيًا في سؤاله ﷻ المشركين في قوله: ﴿ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ ﴾، وفي موضعٍ آخر قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ... ۝٢٧ ﴾، وأكَّد ﷻ ربوبيته ووحدانيته في قوله: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ۝٦٦ ﴾.

وفي الآية [١٨] نجد الجبال تسبح لله ﷻ؛ لأنه خالقها الأوحد، وهو المستحق للشُّكر، والتَّسبيح، وهذه جمادات لا تعقل تعترف بوحدانية الله ﷻ، وكان الأولى بالإنسان المشرك ذي العقل أن يعترف قبلها بذلك، فقال ﷻ واصفًا تسخيرها لنبي الله داود عليه السلام حتى تسبح معه: ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾، فضلًا عن أنَّ استغفار داود عليه السلام ربه، وركوعه له دليل على وحدانيته ﷻ، ﴿ ... فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۝٢٤ ﴾.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤٦٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٤٠.

ونفت الآية [٦٥] الألوهية لغير الله ﷻ، وأثبتت بالقطع وحدانيته، قال ﷻ: ﴿ ... وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾، والآية في قوله ﷻ: ﴿ ... خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ تحمل اعترافًا صريحًا من إبليس بوحدانية الله ﷻ خالقه الوحيد.

وهكذا وجدنا أنَّ هذه الآيات تدلِّلُ على وحدانيته ﷻ في تناسبٍ واضحٍ مع مقاصد السُّورة.

٢- نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ:

جاءت السُّورة تؤكد نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وهو أحد مقاصدها، فبينت الآية [١٤] ضمنيًّا أن الرسول ﷺ صادق في دعوته، وأنَّ من يكذِّبه هالك لا محالة؛ لأنه سبق أن أُهلكت أقوام كذَّبت رسلها، فقال ﷻ: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾.

وبينت الآية [٢٩] تأييد نُبوَّة الرسول محمد ﷺ بمعجزة القرآن، فقال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ... ﴾، وأكَّدت الآية ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ...﴿٦٥﴾ ﴾ بعثة الرسول ﷺ للناس حتى ينذرهم من عذاب الله ﷻ، وأثبتت الآية [٧٠] بأن سيدنا محمد ﷺ نبي يوحى إليه، وبيَّنت مهمته وهي: إنذارهم من لقاء يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

فهذه البراهين أثبتت المقصود الثاني للسُّورة، وهو التأكيد على نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ.

٣- البعث، ووقوع الجزاء:

وهذا المقصد من مقاصد السُّورة يظهر بصورةٍ واضحةٍ في عدة مواضع من مضامينها، وسأتناوله مفصَّلًا على النحو الآتي:

أ- تأكيد البعث:

فوقوع البعث أحد مقاصد السُّورة الذي أكَّدت عليه في عدة مواضع، فقال ﷻ في وصف الصَّيحة الأولى إيذانًا بقيام الساعة: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾، وقال ﷻ مبينًا تنفيذ وعده بالبعث: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾، وفي بيان مدَّة اللعنة لإبليس تأكيد البعث فقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

ويفهم ضمنيًّا من الآيتين [٧٩، ٨١] أنَّ يوم البعث واقع لا محالة، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾، وقال: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾.

ب- ثواب المُتَّقين:

وهذا الثواب مقصد من مقاصد السُّورة الذي قُرن بالبعث يوم القيامة، فنجده ﷻ يَعِدُ نبيه داود عليه السلام بحسن العاقبة، والثواب الحسن يوم البعث في قوله: ﴿ ... وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾، وبهذا الوعد نفسه وُعد نبي الله سليمان عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ووُعد المتقون جميعهم بما يسرهم يوم القيامة من دخول الجنَّة، وما يلاقونه من نعيم الثواب، فقال ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾.

نلحظ من دراسة مقصود السُّورة في بيان ثواب المتقين تكرار الآية ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ في ثلاثة مواضع من السُّورة؛ في إشارة إلى تأكيد الثواب الطيِّب الذي سيناله المتقون يوم القيامة، وتناسب واضح مع مقصود السُّورة.

ت- جزاء المشركين:

بعد أن رأينا بيان السُّورة لعاقبة المتَّقين، بينت كذلك عاقبة المشركين يوم القيامة في عدَّة مواضع، فكانت الآية [٨] وعيدًا للمشركين ببعثهم يوم القيامة، وتعذيبهم، فقال ﷻ: ﴿ ... بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾، وقال ﷻ في موضعٍ آخر من السُّورة: ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

وقال ﷻ مبيِّنًا الشر الذي ينتظرهم يوم القيامة، ومفصلًا صنوف عذابهم: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ ... إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ﴾، وبيَّنت السُّورة في ختامها جزاء إبليس، ومن تبعه من المشركين، فقال ﷻ: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

وكأنَّ هذه الآيات التي ظهر فيها مقصود السُّورة من بيان جزاء المشركين، جاءت لترد على تهكُّمهم، وسخريتهم من طلب تعجيل العذاب في الدنيا الوارد في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾.

وهكذا يظهر لنا جليًّا التَّناسب الكبير بين اسم السُّورة، ومضامينها، وكذا التَّناسب بين

السُّورة، ومقصودها الأعظم الذي تسمو إليه، وهو تأكيد (وحدانية الله ﷻ، والبعث، وثواب المتَّقين، وجزاء المشركين)، والذي أوضحه الحديث المبيِّن لسبب نزول السُّورة، وأكَّده ابن عاشور، والزحيلي، وسيِّد قطب كما ذكرت سابقًا.

ثانيًا: التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها:

يكون التَّناسب في القرآن الكريم في أكثر من جهة، وله عدة صور، منها النظر في تناسب مفتتح السُّورة مع مختتمها، كتناسب مفتتح البقرة مع خاتمتها، وآل عمران، وخاتمتها، وهكذا بقية السُّور، والناظر في هذا النوع من التَّناسب يجد أن القرآن وحدة متكاملة متناسبة في سوره وآياته وترتيبه، ومفتتح سوره ومُختتمها، وكأنه آية واحدة متماسكة(١).

وَعَدَّ الرازي القرآن الكريم كالسورة الواحدة فقال: ((إن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، والدليل عليه أنه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجيء جوابه في سورة أخرى))(٢).

والتَّناسب بين مفتتح السُّورة وخاتمتها يشبه إلى حد بعيد التَّناسب بين آيات السُّورة الواحدة؛ لتبدو كالبناء المتكامل(٣)، وتبلغ درجة التَّناسب، أحيانًا، بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها لدرجة تعلقهما ببعضهما لفظًا(٤).

ويتحقق هذا النوع من التَّناسب في سورة (ص) بوسائل متعددة وهي(٥):

أ- التَّناسب بتكرار اللفظ:

يرد تناسب الذكر في هذه السُّورة؛ إذ يتكرر فيها اللفظ نفسه في المفتتح، والخاتمة، فجاء في مفتتحها قوله ﷻ: ﴿ .. وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾، وقوله: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ...۝٨ ﴾، وختمها بقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ .. ۝٨٧ ﴾، فالمناسبة بينهما واضحة؛ إذ تكررت الكلمتان: (الذكر) في

---

(١) ينظر: التَّناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ٧ – ٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٠ / ٧١٩.

(٣) ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٥٥.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٨٠.

(٥) اعتمدت هذا التقسيم على وفق ما وجدته من أوجه التَّناسب، فضلًا على الاعتماد على رسالة الماجستير: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٤٠.

المفتتح، والخاتمة[١].

ب- تناسب الإجمال، والتَّفصيل:

ويكون فيه فاتحة السُّورة إجمالًا للتفصيل في الخاتمة، أو العكس، فذكر في فاتحة سورة (ص) القرآن الكريم، ووصفه بـ﴿ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴾، أي: الشرف[٢]، ولم تفصِّل في الفئة التي يستهدفها القرآن، في حين خاتمة السُّورة فصَّلت في ذلك، وبيَّنت أنه جاء للعالمين، أي: ((لجميع المكلَّفين من الإنس، والجن))[٣]، في قوله ﷻ: ﴿ ... ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ ﴾.

وذكرت فاتحة السُّورة هلاك الأمم السَّابقة في الدنيا، ولكنها لم تبيِّن عقابهم في الآخرة فقال ﷻ: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ... ٣ ﴾، وفصَّلت خاتمة السُّورة عقابهم في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾، فنرى أنَّ جملة: ﴿ وَمِمَّن تَبِعَكَ ﴾ جمعت عقاب إبليس، ومن تبعه من الأمم السَّابقة المكذِّبة، أي: ((كل من كان على شاكلتك))[٤].

وورد في ختام السُّورة قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ ﴾، فجاءت كلمة: ﴿ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ﴾ مجملة، فهنا يتوعَّد إبليس بني البشر بالغواية، ولم تفصِّل الآية كيفيتها، فجاءت الآية [٦] في مفتتح السُّورة تقدم إحدى صور هذه الغواية، وتفصِّل فيها، فمن صورها أن إبليس يحث أتباعه على التمسك بعبادة الأوثان، وترك عبادة الله ﷻ، ويدفعهم لتحريض الآخرين على الشرك، فقال ﷻ: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ ﴾.

ويلحظ أنّ هناك تناسبًا وترابطًا بين فاتحة السُّورة، ووسطها، وخاتمتها، فبيَّن مفتتحها إيذاء المشركين رسول الله ﷺ، واتِّهامه بالسِّحر والكذب، وسخريتهم من دعوة التَّوحيد في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ

---

(١) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ٦٢، والتناسب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ٥١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز، للإلبيري ٤ / ٨٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٨٣.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤٠٧.

هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾.

وجاء في وسط السُّورة تفصيل عقاب هؤلاء المُكذِّبين، الذين آذوا رسول الله ﷺ، واتَّهموه بتلك الاتهامات الباطلة، فقال ﷻ: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾.

وتوعد الله ﷻ في خاتمة السُّورة إبليس، ومن تبعه من المشركين بدخول نار جهنم، في تأكيدٍ واضحٍ لما جاء في وسط السُّورة من بيان عاقبتهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

من ذلك يتَّضح لنا الترابط بين مفتتح السُّورة الذي بيَّن طبيعة المشركين، ووسطها المبين عاقبة سلوكهم، وخاتمتها المؤكِّدة مصيرهم يوم القيامة.

ت- تناسب المرجعيَّة السَّابقة الداخلية:

وهي العلاقة التي تربط بين نصَّين بمعنى عام، أو خاص، أو غيرها من العلاقات(١)، فنجد في سورة (ص) آيات مفتتحها بيَّنت عصيان المشركين ربهم بتكذيبهم دعوة سيدنا محمد ﷺ في الآيات [٤ – ٨]، وتناسب ذلك مع مختتم السُّورة الذي أظهر عصيان إبليس ربه حينما أبى السجود لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾، فنلحظ أنَّ المفتتح، والمختتم أظهرا الارتباط في المعنى في جانب عصيان الله ﷻ من قِبَلِ المشركين، وإبليس.

من خلال الدِّراسة السَّابقة يتضح لنا وجود التَّناسب بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها من خلال تكرار اللفظ، أو الإجمال والتَّفصيل، أو المرجعية السَّابقة الداخلية، وبذلك يبرز لنا هذا النوع من التَّناسب جانبًا من إعجاز القرآن الكريم، ويثبت بأنه كلام الله ﷻ، وليس من عند البشر(٢)، إلا إنَّ ((هذه الصورة من التَّناسب لا يلزم وجودها بين جميع السُّور، بل قد تظهر في سورة، ولا تظهر في أخرى))(٣).

---

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٤٠.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ٩٠.

(٣) البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم ٣١٣.

ثالثًا: التَّناسب اللغوي بين الآيات:

توجد هذه الصورة بكثرةٍ في القرآن الكريم؛ لذا اعتنى بها كثير من المفسرين؛ إذ يكون التلاؤم بين الآيات، فتبدو كلحمةٍ واحدةٍ يربط بعضها بعضًا، وقد يحصل الترابط بين الآيات المتتابعة، أو بين مقاطع الآيات[١].

وبيَّن الزمخشري أنَّ آيات القرآن الكريم نظمت نظمًا محكمًا؛ إذ تبدو كالبناء المتماسك المتراص[٢]، فهي ((وحدة واحدة متماسكة مترابطة، يأخذ بعضها بحجز بعض))[٣].

قال الرازي واصفًا نظم القرآن: ((كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته))[٤]، وبيَّن البقاعي أنَّ انتظام الآيات في القرآن الكريم هي من دلائل إعجازه، ولن يستطيع أحد من الإنس، أو الجنِّ الإتيان بمثله[٥].

وجاء علم المناسبة؛ ليبين عدة فوائد، منها ما يتصل بـ((جلاء معنى النص، أو بجماله، أو بتناسقه مع بعضه بعضًا، وتآلفه))[٦].

ورد في سورة (ص) صور من تناسب الآيات، وهي:

أ- التَّناسب اللغوي بين مقاطع الآيات:

يعزِّز وجود التَّناسب بين المقاطع وحدة السُّورة، وتماسكها، ومعرفته مهم؛ لِتَبَيُّنِ الجوانب الجمالية في مواضع الوصل، والفصل[٧]، وقسمت السُّورة بحسب المعاني التي تحملها على أحد عشر مقطعًا، وهي على النحو الآتي:

المقطع الأول: مقطع التمهيد:

---

(١) ينظر: أضواء على ظهور علم المناسبة ٤١، والبيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم ٣٠٩، والمناسبات القرآنية ٥٢.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ٢ / ٣٧٧.

(٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٢ / ٥٢.

(٤) مفاتيح الغيب ٧ / ١٠٦، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٧٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٨٠.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٨٧.

(٦) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٢٣.

(٧) ينظر: ظاهرة المد في الأداء القرآني ٣٩٩.

وفيه وصْف طبيعة المشركين، والرد عليهم، ويبدأ هذا المقطع من الآية [١] إلى الآية [١١]؛ إذ يقول ﷻ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾.

ويُعَدُّ هذا المقطع الأساسي، والمرتكز الذي انطلقت منه بقية المقاطع في سورة (ص)؛ إذ ابتدأت السُّورة بحرف الصاد المتناسب مع اسمها، وأقسم ﷻ بالقرآن بأنه معجز، وذكر فيه حال الأمم السَّابقة المكذبة لرسلها، وبعدها ذكر المقطع حال المشركين، وتكبُّرهم في قبول الرسالة، والامتثال للحق الذي جاء به الرسول محمد ﷺ.

وأردف بعده ﷻ ذكر ما صدر عنهم من كلماتهم الفاسدة تجاه النبي ﷺ من نسبتهم إليه، وبما جاء به من دعوة التوحيد بالسِّحر، والكذب، إذ كيف يكون لإله واحد يرزق الجميع وينظر في جميع أمورهم؟ وأصروا على عبادة الأوثان وحرَّضوا غيرهم على التمسك بها، واستغربوا مجيء رسول من جنسهم(١).

وتوعد الله ﷻ في هذا المقطع المشركين بالعذاب يوم القيامة، وأخبر ﷻ في نهايته أن الله مالك السماوات والأرض سيهزم هؤلاء المشركين، فما هم إلا ((جند مجهول، منكر، هين الشأن، ﴿ مَهۡزُومٞ ﴾، كأن الهزيمة صفة لازمة له، لاصقة به، مركبة في كيانه، ﴿ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ المختلفة الاتجاهات والأهواء))(٢).

وأشارت الآيات في نهاية المقطع إلى هزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها(٣)، ونصر ونصر المسلمين على الرغم من قلة عددهم، وعدتهم، وكان ذلك بمنزلة معجزة من معجزات

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٣٦ – ١٣٨.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠١٣.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣ / ١١١.

الله ﷻ، وتناسب ذلك مع بداية المقطع الذي أشار إلى معجزة القرآن الكريم، أي: إن ختام المقطع جاء؛ لتتميم تلك المعجزات.

وتناسب المقطع مع مقصد من مقاصد السُّورة في بيان جزاء المُكذِّبين، وهذا ما أشارت إليه بعض الآيات في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ...﴿٣﴾﴾، وقوله: ﴿... لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾، وقوله ﷻ: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾.

كذلك تناسب المقطع مع مقصد آخر من مقاصد السُّورة، وهو إثبات وحدانية الله ﷻ، فنجد أنَّ تكذيب المشركين لألوهيته ﷻ في قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾، وقوله: ﴿...وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ ما هو إلا إثبات لها، فبالأضداد تعرف الأمور.

وبيَّنت الآية في قوله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾﴾ تفرده ﷻ بالربوبية، وملكوت السماوات والأرض، قال أبو حيان: ((أي: ليس لهم شيء من ذلك))[١]، وتناسب ذلك مع مقصد السُّورة في إثبات وحدانيته ﷻ.

المقطع الثاني: أحوال الأمم السَّابقة:

يبدأ المقطع من الآية [١٢] إلى الآية [١٦].

يقول ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

نلحظ وجه التَّناسب، والارتباط بين المقطعين الأول، والثاني، فـ((بعد بيان أن المشركين توانوا، وتكاسلوا عن النظر والاستدلال؛ لأنه لم ينزل بهم العذاب، بيَّن الله ﷻ في هذه الآيات أن أقوام سائر الأنبياء كانوا هكذا، حتى نزل بهم العقاب))[٢]، والمقصود من ذلك تخويف الكفَّار من العقاب الذي سيحل بهم جزاء تكذيبهم الرسول ﷺ.

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٤٠.

(٢) التفسير المنير ٢٣ / ١٧٤.

وهناك ارتباط بين خاتمة المقطع السَّابق في قوله ﷻ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾، الذي بيَّن هزيمة المشركين حتى لو تحزَّبوا، بفاتحة هذا المقطع في قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾، الذي قدَّم الدليل على هزيمتهم بذكر أمثلة لمصير بعض الأمم السَّابقة المكذبة، وفصَّل ذلك بذكر أسمائها، وأنهم سيلاقون مصير تلك الأمم من العقاب، وزاد التَّناسب بين الآيات في المقطعين تكرار لفظ ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾.

ويوجد تناسب في المقطع نفسه بين مفتتحه الذي تحدث عن تكذيب المشركين الدعوة، ومُختتمه الذي بيَّن استهزاء المُكذِّبين بالعذاب وسخريتهم، في تتميم واضح لموقفهم من دعوة التَّوحيد، وبالمقابل تناسب المقطع مع أحد مقاصد السُّورة وهو (بيان عقاب المشركين)؛ إذ فصَّل في أسباب عقابهم.

المقطع الثالث: قصَّة نبي الله داود عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [١٧] إلى الآية [٢٦].

قال ﷻ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾.

فبعد أن ذكر الله ﷻ في المقطع السَّابق أحوال الأمم السَّابقة التي كذَّبت الرسل، وحلول العقاب عليهم؛ تسليةً لرسوله محمد ﷺ؛ وتصبيرًا له على أذى المشركين، ساق هذه القصَّة كي تزيده صبرًا وثباتًا، فذكر فيها نعمه على داود عليه السلام، فجاء متمِّمًا المقطع السَّابق في حثه النبي

على الصبر، والثَّبات، فكأنَّ القصَّة تريد أن تخبر سيدنا محمدًا ﷺ بأنَّ الله ﷻ سيُنعم عليه كما أنعم على نبيه داود عليه السلام إن هو صبر على أذى المشركين.

ونلحظ أنَّ افتتاح المقطع بحث النبي ﷺ على الصبر يتناسب مع خاتمة المقطع السَّابق المبيِّن لبعض صنوف الأذى الذي تعرض له من المشركين، كاستهزائهم بعذاب الله ﷻ، وسخريتهم من الحساب يوم القيامة، وكأن فاتحة المقطع تقول له: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...﴿١٧﴾ ﴾ من استهزائهم بما جئت به، وسخريتهم من يوم القيامة حينما قالوا: ﴿ .. رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾.

وتناسب ذلك أيضًا مع خاتمة المقطع نفسه، التي بيَّنت ثمرة الصبر على أذى المُكذِّبين، وهو أن الله ﷻ سينتقم لرسوله منهم بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وفي هذا المقطع نجد توسعًا في سرد قصَّة داود عليه السلام؛ إذ تضمَّنت عدة موضوعات منها: الصفات التي أنعم الله ﷻ بها على داود، التي أهَّلته لسعادة الدنيا والآخرة، وإصدار الحكم في واقعة بين خصمين، واستخلاف الله ﷻ إياه بعد تلك الواقعة[1]، وتناسب ذلك مع تسمية السُّورة الاجتهادية بـ(سورة داود).

ونلحظ تناسب المقطع مع مقصود السُّورة من بيان ثواب المتقين حينما قال ﷻ: ﴿ ... وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ ﴾، وبيان جزاء المشركين في قوله: ﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

المقطع الرابع: إثبات البعث، والعدل يوم القيامة:

يبدأ المقطع من الآية [٢٧] إلى الآية [٢٩].

قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾، فجاء هذا المقطع معترضًا مقطعي (قصَّة داود

---

(١) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ١٨٣.

عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام)؛ من أجل كشف حقيقة مهمّة هي: ((أنَّ خلق السماء والأرض وما بينهما لم يكن باطلًا، ولم يقم على الباطل، إنما كان حقًّا، وقام على الحق، ومن هذا الحق الكبير تتفرع سائر الحقوق)) (١)، منها:

- خلافة الأرض.
- الحكم بين الناس.
- تقويم أعمال الناس، فلا يكون المحسن كالمسيء(٢).

وتناسب المقطع مع المقاطع السَّابقة التي هدد فيها الحقُ ﷻ الضَّالين عن سبيله بالعذاب الشديد يوم القيامة، وبيَّن فيها العاقبة الطيِّبة للمتَّقين، فجاء هذا المقطع ليؤكِّد مجيء هذا اليوم، وأنه سيتم فيه الحساب، ولن يتساوى في ذلك المؤمن والكافر(٣).

وتناسب مفتتحه مع خاتمة المقطع السَّابق؛ فكلاهما توعد الضَّالين، والكافرين بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال ﷻ في خاتمة المقطع الثالث: ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، وقال في مفتتح هذا المقطع: ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ونلحظ وجود تناسب في المقطع نفسه بين مختتمه الذي ذكر نزول القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ... ﴿٢٩﴾ ﴾، ومفتتحه الذي ذكر السماء، وهو المكان الذي نزل منه الكتاب، وذكر الأرض، وهي المكان الذي استقر فيه الكتاب، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ... ﴿٢٧﴾ ﴾؛ إذ إنَّ النُّزول يكون من الأعلى إلى الأسفل، وكأنَّ معنى الآيتين في المفتتح والمختتم: (كتاب أنزله الله ﷻ من السماء ليستقرَّ في الأرض).

وتناسب المقطع مع مقصود السُّورة بالبعث، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ... ﴿٢٧﴾ ﴾، وقال: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٥ / ٣٠١٩.

(٣) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ١٩٣.

كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾، فالذي استطاع أن يخلق السماوات والأرض قادر على بعث الناس، وحسابهم، وتمييز التَّقي من الفاجر، ثم إنه ((لو كان على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا حياة، لكان ذلك جمعًا، وتسويةً بين الولي، والعدو، وفي الشاهد من سوى بين من عاداه، وبين من والاه، وجمع بينهما في البر، والجزاء كان سفيهًا غير حكيم))[1]، تعالى الله علوًّا كبيرًا عما يقوله الظالمون.

المقطع الخامس: قصَّة نبي الله سليمان عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٣٠] إلى الآية [٤٠].

قال ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾.

بيَّن ﷻ في هذا المقطع قصَّة نبيه سليمان بن داود عليه السلام، وتناسب ذلك مع مقطع قصَّة أبيه داود عليه السلام، فجاء متمِّمًا تعداد النعم التي أنعم الله ﷻ بها على أبيه؛ ليتَّعظ زعماء قريش؛ إذ كان لهما ملك عظيم لا يقارن بملك قريش، وكان عندهم نعم، وخيرات كثيرة، ولم يمنعهم ذلك من الاستكبار عن عبادة الله ﷻ وطاعته كما فعل سادة قريش[2]، وهذه النعم تتناسب مع مقصود السُّورة من بيان ثواب المتقين في الآيات [٣٦ – ٤٠].

ومدح الله ﷻ نبيه سليمان عليه السلام في مفتتح المقطع، فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾، فوصفه بأنه ((كثير الطاعة، والعبادة، والإنابة إلى ربِّه في أكثر الأوقات، وفي كثيرٍ من المهمَّات؛ اعتقادًا منه بأن كل شيء من الخير لا يتم إلا بإعانته

---

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٢٢.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ١٩٩.

وتوفيقه))[١]، وتناسب ذلك مع مختتم المقطع الذي بيَّن ثواب طاعة سليمان عليه السلام ربه فقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾، وتحصل مثل هذه الخاتمة ((في حق من صدر عنه امتثال الأوامر في الخدمة، والطاعة وتحمَّل أنواعًا من الشدائد في الموافقة، والانقياد))[٢].

المقطع السادس: قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٤١] إلى الآية [٤٤].

قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

بعد أن ذكر الله ﷻ نعمه على داود، وابنه سليمان عليهما السلام؛ ليتعظَ سادة قريش ويعتبروا، ساق قصَّة أيوب عليه السلام؛ إذ ابتلاه الله ﷻ ((بولده، وأهله، وماله، ثم بجسده، فأصابه من البلاء ما لم يصب أحدًا من الخلق، فصبر لأمر الله، ولم يزل منيبًا لله))[٣]، ففي ذكر هذه القصَّة ((إرشاد لرسول الله ﷺ إلى الاقتداء به في الصَّبر على المكاره))[٤]، وتسلية له.

من ذلك يتبين لنا التَّناسب بين المقطعين: (الثالث، والخامس) اللذين حملا قصتين لتعليم الشكر على النعمة، وعدم الاستكبار على عبادة الله ﷻ، وبين هذا المقطع الذي به التَّعليم على الصبر في المحن، والشدائد[٥]، فهناك تعليم على الشكر، وهنا تعليم على الصبر.

وكرَّم الله ﷻ نبيه أيوب عليه السلام بالذكر في مفتتح المقطع، فقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ... ﴿٤١﴾ ﴾، وفي ذلك مدح وثناء عليه[٦]، وتناسب ذلك مع خاتمة المقطع؛ إذ أثنى عليه ﷻ

---

(١) تفسير المراغي ٢٣ / ١١٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٠٨.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ١ / ٢٥٣.

(٤) فتح القدير ٤ / ٥٠٠.

(٥) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٠٦.

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤ / ٣٦٨.

بقوله: ﴿ ...نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ..﴿٤٤﴾ ﴾ ويستعمل الفعل (نعم) بالمدح[١]، وبلغ مقدار التَّناسب بينهما أن لو دمجنا مفتتح المقطع، ومُختتمه لم يختل المعنى، وكأنهما آية واحدة ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ ﴿ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾.

وتناسب المقطع مع مقصود السُّورة في إثبات وحدانية الله ﷻ، فبيَّنت آياته قدرته ﷻ المتمثلة في معجزة شفاء أيوب عليه السلام من مرضه، وما صاحبها من معجزاتٍ أخرى بعد أن دعا ربه، فأجاب الله ﷻ دعاءه وقال له: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾، أي: ((اضرب برجلك الأرض، ففعل فنبعت عين ماء، فأمره الله أن يغتسل منها، ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فركض الأرض برجله الأخرى؛ فنبعت عين أخرى، ماء عذب بارد، فشرب منه؛ فذهب كل داء كان بباطنه))[٢]، فأثبتت هذه المعجزات وحدانيته ﷻ، وأنه وحده القادر على مثل هذه الأمور.

المقطع السابع: قصَّة إبراهيم، وذريته (إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذي الكفل) عليهم السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٤٥] إلى الآية [٤٨].

قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾.

فبعد أن ذكر الله ﷻ في المقطع السَّابق صبر أيوب عليه السلام على ما أصابه من أذى، جاء هذا المقطع؛ ليتمِّمَ بأمثلة أخرى على الأنبياء الصَّابرين؛ تسليةً للرسول ﷺ، ومواساةً له على إيذاء مشركي قريش، فذكَّره بصبر إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النَّار، وصبر أنبياء الله: (إسحاق، واليسع، وذي الكفل) عليهم السلام على أذى بني إسرائيل، وصبر يعقوب عليه السلام على فقدان ولده وبصره، وصبر إسماعيل عليه السلام حينما أراد أبوه أن يذبحه؛ تنفيذًا لأمر الله ﷻ[٣].

---

(١) ينظر: الكافية في علم النحو ٤٩.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٩٦.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي ٣ / ٢٢١٠.

وجاءت هذه القصَّة؛ تتميمًا لقصص السُّورة الواردة في المقاطع السَّابقة، كقصة داود عليه السلام في المقطع الثالث، وقصة ابنه سليمان عليه السلام في المقطع الخامس، ونلحظ أنَّ هناك تناسبًا بين مفتتح المقطع ومُختتمه؛ فمفتتحه ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام، ونَبِيَيْن من ذريته في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ... ﴿٤٥﴾ ﴾، ومُختتمه أتمَّ الثَّلاثة الأنبياء الآخرين من ذرية إبراهيم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ ... ﴿٤٨﴾ ﴾، وتكرَّر الفعل: (اذكر) في بداية المقطع، وخاتمته.

وتناسب المقطع مع مقصود السُّورة بالبعث في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾، فقد ألهم الله ﷻ أنبياءه الإكثار من ذكر يوم القيامة، وتذكُّر الرجوع إليه؛ لأنه لا بد من بعثهم، ومحاسبتهم[1].

المقطع الثامن: ثواب المتَّقين يوم القيامة:

يبدأ هذا المقطع من الآية [٤٩] إلى الآية [٥٤].

قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

نلحظ تناسب هذا المقطع مع المقاطع السَّابقة، فبعد أن تكلَّمت تلك المقاطع على طبيعة المشركين، وإيذائهم النبي ﷺ، أمره الله ﷻ أن يصبر عليهم لسببين:

الأول: أنَّ المتَّقين من الأنبياء قبله صبروا على ما لاقوه من أذى، ومكاره؛ فعليه أن يقتدي بهم.

الثاني: ذِكْرُ الله ﷻ في هذه الآيات، وما بعدها الثواب لمن أطاعه، والعقاب لمن خالفه يوجب الصَّبر على الأذى والمكاره[2].

ونلحظ افتتاح المقطع باسم الإشارة (هذا) الذي تناسب مع المقطع السَّابق له، وربطه به،

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٢٥.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ٢٣ / ١٢٩.

فقوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ به ((إشارة إلى ما تقدم من الآيات النَّاطقة بمحاسن هؤلاء الأنبياء، والدالة على مناقبهم العظيمة))[١]، وفصَّل ﷻ ما أتى من بعد لفظ (ذكر) عن المقاطع السَّابقة، قال أبو حيان: ((لما أمره ﷻ بالصَّبر على سفاهة قومه، وذكر جملة من الأنبياء وأحوالهم، ذكر ما يؤول إليه حال المؤمنين والكافرين من الجزاء، ومقر كل واحد من الفريقين، ولما كان ما يذكره نوعًا من أنواع التنزيل، قال: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾، كأنه فصل بين ما قبله وما بعده))[٢].

وتناسب المقطع مع مقصود السُّورة بالبعث، وبيان ثواب المتَّقين، فتفصيل هذا الثواب واضح في المقطع من بدايته لنهايته.

ونلحظ أنَّ الله ﷻ وعد المتَّقين في مفتتح المقطع بحسن الثواب في قوله: ﴿ ..وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ ﴾، وتناسب ذلك مع مختتم المقطع الذي بيَّن فيه ﷻ وفاءه بهذا الوعد فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

المقطع التاسع: جزاء الطَّاغين يوم القيامة:

يبدأ المقطع من الآية [٥٥] إلى الآية [٦٤].

قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾.

تناسب هذا المقطع مع المقطع السَّابق، فبعد أن بيَّن الله ﷻ ثواب المتَّقين، ذكر جزاء الفئة الطاغية من الكافرين، وتمثَّل هذا التَّناسب في المقابلة بين المقطعين[٣] في قوله ﷻ:

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥١١.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٦٦.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٦١.

(﴿ ..وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾، و﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَئَابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾)، وقوله: (﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾، و﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ ﴾)، قال المراغي: ((بعد أن وصف ﷻ ثواب المتَّقين، أردفه بوصف عقاب الطَّاغين؛ ليكون ذلك متممًا له، فيأتي الوعيد عقب الوعد، والترهيب إثر الترغيب))[1].

ورد في مختتم المقطع حال المشركين في الآخرة من تنازعٍ، واختلافٍ بينهم، وهم داخل النَّار، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾، وتناسب ذلك مع مفتتح المقطع الأول الذي وصف الاختلاف بينهم في الدنيا، فقال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، وكأنَّ صفة التَّنازع، والاختلاف بين المشركين صفة ملازمة لهم سواء في الدنيا، أو الآخرة.

وتناسب مضمون المقطع مع مقصود السُّورة بالبعث، ومحاسبة الطَّاغين، فبينت الآيات عقابهم يوم القيامة.

المقطع العاشر: تأكيد رسالة النبي ﷺ:

يبدأ المقطع من الآية [٦٥] إلى الآية [٧٠].

قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

نلحظ أن هناك تسلسلًا واضحًا بين المقاطع، ابتداءً من المقطع الأول، ووصولًا إلى هذا المقطع، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم؛ ففي البداية دعا الرسول ﷺ إلى التَّوحيد، وقابله المشركون بالأذى، والتَّسفيه، وصبر عليهم، وساق له ﷻ الكثير من الأمثلة، والقصص على ما لاقاه الأنبياء قبله من الأذى، وتحملهم لذلك حتى يزيده صبرًا وثباتًا، وذكر له في آيات المقطعين: الثامن، والتاسع ثواب المتَّقين، وعذاب المشركين يوم القيامة، ثم عاد في هذا المقطع لتقرير المطالب التي ذكرها في أول السُّورة [2].

قال الزحيلي: ((هذه الآيات عود على بدء السُّورة الداعية إلى التوحيد، وإثبات نُبوَّة النبي

---

(١) تفسير المراغي ٢٣ / ١٣١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٣ / ١٣٥.

ﷺ، والمعاد، فهي تقرير للتوحيد، ووعد، ووعيد للموحدين، والمشركين؛ بسبب الإعراض عن دعوة النبي محمد ﷺ، وإثبات للبعث الذي يفصل فيه بين المؤمنين، والكافرين بعد إنذار النبي ﷺ في الدنيا بعقاب من أنكر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وهذا دليل على أن السُّورة إلى آخرها في أحسن وجوه التَّرتيب والنظم))[١].

وتناسب ذلك مع مقصود السُّورة الأعظم، وهو توحيد الله ﷻ؛ إذ يقرِّر ﷻ أولوهيته في قوله: ﴿ ...وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾، وربوبيته في قوله: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا .. ﴿٦٦﴾ ﴾، يقول سيد قطب: ((هذا الدرس الأخير في السُّورة يعود إلى تقرير القضايا التي عرضت في مقدمتها قضية التوحيد))[٢].

ونلحظ أيضًا أن هناك تناسبًا بين ختام المقطع الذي بيَّن فيه ﷻ أن ما يقوله الرسول ﷺ إنما بوحي من عند الله ﷻ، ومهمَّته تكمن في إنذار الناس دون إجبار، فقال على لسانه: ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾، ومفتتحه الذي جاء متمِّمًا له، إذ فصَّل في طبيعة هذا الإنذار في قوله ﷻ: ﴿ ...وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾، أي: أنذرهم بوجوب توحيد الله ﷻ، وعدم الشرك به، وكأنَّ الآيتين ملتحمتان؛ إذ لا يمكن فصلهما، فيكون معناهما: (أنذرهم يا محمد بأنه ما من إلهٍ يستحق التوحيد، والعبادة غير الله الواحد القهَّار).

وهناك تناسب في تكرار اللفظ بين مفتتح المقطع في قوله ﷻ: ﴿ ..إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ...﴿٦٥﴾ ﴾، ومُختتمه في قوله: ﴿ ...أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ..﴿٧٠﴾ ﴾.

المقطع الحادي عشر: قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس:

يبدأ المقطع من الآية [٧١] إلى الآية [٨٥].

قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

---

(١) التفسير المنير ٢٣ / ٢٢٥.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٥.

﴿ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾.

نلحظ أنَّ هذه القصَّة ذُكرت أو أشير إليها في سور (البقرة [٣٤]، والأعراف [١١-١٨]، والحجر [٢٨-٤٤]، والإسراء [٦١-٦٥]، والكهف [٥٠]، وطه[١١٦]).

والغرض منها النهي عن التَّكبُّر، والحسد، ((ولتكون زاجرًا للكفار عن هاتين الخصلتين المذمومتين))[١]، وأخذ العظة، والعبرة مما حصل لإبليس بسبب ذلك، وتناسب هذا المقطع مع المقطع الأول الذي بيَّن رفض مشركي قريش توحيد الله ﷻ للسبب نفسه[٢]، قال أبو حيان: ((ولما كانت قريش، خالفوا الرسول ﷺ بسبب الحسد والكبر، ذكر حال إبليس، حيث خالف أمر الله بسبب الحسد والكبر، وما آل إليه من اللعنة والطرد من رحمة الله، ليزدجر عن ذلك من فيه شيء منهما))[٣].

ومن المناسبات بين هذا المقطع والمقطع السَّابق أنه ((لمَّا ذكر ﷻ خصومة الملائكة إجمالًا فيما تقدم، ذكرها هنا تفصيلًا، فقال: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ...٧١ ﴾، (إذ): هي بدل من ﴿ ...إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ ﴾))[٤]، وكأنَّ الكلام هو: حينما اختصمت الملائكة على خلافة الأرض قال ربك كذا وكذا، والاختصام هنا عبارة عن سؤال وجواب وليس بمعنى الخصومة[٥].

وتناسبت بعض آيات المقطع مع مقصود السُّورة بالبعث يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾، وقال: ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ ﴾، ومع مقصودها بعقاب المشركين يوم القيامة في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾.

---

(١) التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٠.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ٢٣ / ١٣٧.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٧٣.

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٤٤١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢٤ / ٤٤١.

المقطع الثاني عشر: مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم:

يبدأ المقطع من الآية [٨٦] إلى الآية [٨٨].

قال ﷻ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾.

فهذه الخاتمة للسورة يتبين فيها حال الرسول ﷺ، وهو أنه لا يأخذ أجرًا ومالًا على دعوة الناس توحيد الله ﷻ، وهي دعوة من وحي الله عليه، وتتحدد فيها مهمة القرآن الكريم بأنه عظة للعالمين من الإنس والجن، وستظهر معجزته ووعده ووعيده يوم البعث(١).

وجاء ختام السُّورة بهذا المقطع مناسبًا مع ما سبقه من مقاطع، فبعد أن كشفت المقاطع السَّابقة المصير، وأعلنت النذير، جاء هذا المقطع ليبيَّن أن دعوة الرسول ﷺ دعوة خالصة لا يصاحبها رياء، ولا طلب أجر، ولا تصنُّع؛ إذ يقول ﷻ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾، وأنَّ ما جاءت به المقاطع السَّابقة من موضوعات مُتعدِّدةٍ إنما أتت للعظة والعبرة حتى لا ينسون أو يغفلون، قال ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

وفي ذلك يقول ابن عاشور: ((لما أمر الله رسوله بإبلاغ المواعظ والعبر التي تضمنتها هذه السُّورة، أمره عند انتهائها أن يقرع أسماعهم بهذا الكلام، الذي هو كالفذلكة للسورة تنهية لها تسجيلًا عليهم أنه ما جاءهم إلا بما ينفعهم، وليس طالبًا من ذلك جزاء))(٢)، فلو كان غرضه من ذلك أخذ أجر ينفع به نفسه لثبت اتهامهم له بالكذب، فلما انتفى ذلك وجب عليهم تصديقه.

وهناك تناسب بين المقطعين [١١، ١٢] تمثَّل في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾، وعلَّق سيِّد قطب على هذا التَّناسب بقوله: ((وإنه للنبأ العظيم الذي لا يلقون بالهم إليه اليوم، وليعلمن نبأه بعد حين، نبأه في الأرض، وقد علموه بعد سنوات من هذا القول، ونبأه في اليوم المعلوم عند ما يحق وعد الله

---

(١) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٣٠٨.

اليقين: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾))[١].

ونلحظ اختتام السُّورة بـ((الإيقاع المدوي العميق الموحي بضخامة ما سيكون: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾))[٢] ليتناسب ذلك مع افتتاحها، وموضوعاتها والقضايا التي تعالجها.

ب- التَّناسب اللغوي بين الآية، وما قبلها:

إن ترابط الآية المعنوي بما قبلها وما بعدها هو علة ترتيبها في السُّور القرآنية، ((فقد يطوي معنى، ومقصد الآية لما بعدها من الآيات، فيناسب مقصد الآية السياق السَّابق بالسياق اللاحق للآية الأخرى))[٣]؛ إذ إنَّ المناسبة تُظهر دلالة مجموع الآيات مع السياق العام للسورة.

تحتاج معرفة تناسب الآية بما قبلها إلى جهدٍ، وإعمال فكرٍ، فالدارس يحتكم في بعض الأوقات لذوقه الأدبي، وأحيانًا لحسِّه الفطري[٤]، فـ((يمثل تناسب الآية مع قبلها مظهرًا من مظاهر ترابط النصِّ القرآني وتماسكه، سواء أكان هذا الترابط واضحًا أو خفيًّا))[٥]، ويحقق هذا التَّناسب فائدة جليلة تتمثل في تقوية الارتباط بين الآيات؛ ليصبح حالها كالبناء المتماسك[٦]، ومن أمثلة ذلك:

المناسبة الظاهرة بين قول الله ﷻ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله ﷻ في الآية التالية لها: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴿٢٥﴾ ﴾، فـ((الرابطة هنا تضاد بين الكافرين والذين آمنوا، والوعيد بالنار للكافرين، والوعد بالجنات للمؤمنين، وعناد الكافرين رغم

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٩.

(٢) المصدر نفسه ٥ / ٣٠٢٩.

(٣) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ١٠٢.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح ١٥٥، ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ١٠٠، ومناسبات السُّور والآيات ٢٢.

(٥) سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٥٧.

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٧١.

عجزهم أمام التحدي، وانقياد المؤمنين بأن عملوا الصالحات))[١].

وقال الرازي في بيان مناسبة قوله ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ٢]، وقوله في الآيتين التاليتين: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾: ((وجه المناسبة أنه ﷻ ذكر أول حال الإنسان، وهو كونه علقة مع أنها أخس الأشياء، وآخر حاله وهي صيرورته عالمًا، وهو أجل المراتب، كأنه ﷻ قال: كنت أنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف))[٢].

ويتم الارتباط بين الآيتين المتتابعتين في سور القرآن الكريم بعدة طرائق، فهو: ((إما أن يكون ظاهرًا؛ لتعلُّق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى، أو لكون الثانية واقعة من الأولى موقع التَّأكيد، أو التَّفسير، أو الاعتراض، أو البدل، وإما أن يكون غير ظاهر))[٣]، أو يكون بواسطة الإجمال، والتَّفصيل، أو غيرها من طرائق الارتباط.

ومن تَتَبَّع آيات سورة (ص) يمكن أن يلمس هذا النوع من التَّناسب على النحو الآتي:

- في قوله ﷻ في أول السُّورة: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾، نجد التَّناسب واضحًا مع الآية التي قبلها: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾، فهي بمنزلة الجواب لقسم الآية الأولى؛ إذ إنَّ ((معنى الآية مع ما قبلها كما يلي: وحق القرآن المشتمل على التذكير، والعبرة، إنه ليجب الإيمان به، لكن الكافرين لم يؤمنوا، لا لخلل وجدوه فيه، بل لأنهم في استكبارٍ شديدٍ عن اتِّباع الحق، وشقاق أي: مخالفة لله، ومعاندة، ومشاقة لرسوله، ولذلك كفروا به))[٤].

- جاءت الآية [٣] في قوله ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ معترضة بين الآيتين [٢، ٤]؛ لغرض بيان جزاء المشركين الذين وُصفت حالهم في الآية [٢] بأنهم ﴿ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[٥]، وجاءت الآية [٤] في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ

---

(١) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب ٢ / ٤٠٦.

(٣) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٨٩.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٦.

كَذَّابٌ ﴾ معطوفةً على الآية [٢] في قوله ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾، فورد حرف العطف (الواو) كأداة للجمع بين الآيتين في المعنى.

– جاءت جملة: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ... ﴿٥﴾ ﴾ بيان لجملة: ﴿ ... هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[١]، ونلحظ وجود تناسب لفظي بين فاتحة الآية [٤] التي ابتدأت بالفعل ﴿ عَجِبُوٓا۟ ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ... ﴾، ونهاية الآية [٥] التي انتهت بلفظ ﴿ عُجَابٌ ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ ... إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾، وهي صيغة مبالغة[٢]، ما يعزِّز الترابط بين الآيتين.

– قد يأتي التَّناسب بين الآية، وما قبلها من قبيل البيان، والإيضاح، كذكر الشيء وضدِّه، وهذا ما لمسته من التَّناسب بين قوله ﷻ: ﴿ ... وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ... ﴿٦﴾ ﴾، وقوله في الآية التي تسبقها: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ... ﴿٥﴾ ﴾.

– من المناسبات بين الآيات في القرآن الكريم أن تأتي الآية جوابًا عن سؤال في الآية التي تسبقها على سبيل البيان، والإيضاح، وهذا ما لمسته في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾، فالجواب هنا يوضِّح ((أنَّ منصب النبوة منصب عظيم، ودرجة عالية، والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزًا، أي: كامل القدرة، ووهَّابًا: أي: عظيم الجود، وذلك هو الله ﷻ))[٣]، وهذا الجواب ردٌّ على السؤال الاستنكاري من مشركي قريش حول تخصيص سيدنا محمد ﷺ بالنبوة ونزول القرآن عليه في قوله ﷻ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴿٨﴾ ﴾.

– جاءت الآية في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴿١٠﴾ ﴾، مبيِّنة للآية التي تسبقها في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾، فحين ((ذكر الخزائن أولًا على العموم، أردفها بذكر السماوات والأرض، وما بينهما، يعني أن هذه الأشياء أحد أنواع خزائن الله))[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢١٠.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٣٧٦.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٠.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٣٨٠.

- جاءت الآية في قوله ﷻ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ مبيِّنةً، وشارحةً للآية في قوله: ﴿ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾، فلا يكون للمشركين ملكوت السماوات، والأرض؛ لأنهم جندٌ ضعفاء منهزمون(١).

- ارتبطت الآية [١٣] في قوله ﷻ: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ ... ﴾، بالآية السَّابقة لها في قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ بواسطة حرف العطف (الواو)، فجمعت الآيتان الأقوام المكذِّبة للرسل.

- جاءت الجملة الاستئنافية في قوله ﷻ: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ مؤكِّدةً الجملة الخبرية في قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾، فتكرار التكذيب بالجملة الخبرية أولًا، وبالجملة الاستئنافية ثانيًا أكَّد المعنى وزاده وضوحًا(٢).

- ومن التَّناسب في التَّفصيل، والإجمال بين الآيات، فصَّلت الآية في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ ﴾ بعض العقاب الذي أجملته الآية في قوله ﷻ: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾، فبيَّنت أحد أنواعه؛ إذ سيعاقبهم الله ﷻ بـ((النفخة الثانية، وهي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطوِّلها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ﷻ))(٣).

- نلحظ أنَّ الجملة في قوله ﷻ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ... ﴿١٧﴾ ﴾ جاءت مجملة، فلم توضح قول المشركين، بينما يظهر تفصيل قولهم في الآية التي سبقتها: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾.

- أورد الله ﷻ في السُّورة قصَّة نبيه داود عليه السلام، وذكر النعم التي أنعم بها عليه في عدة آيات؛ إذ ارتبطت كل آيةٍ بما قبلها بواسطة حرف العطف (الواو)، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٠.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ٤ / ٧٦.

(٣) التفسير المنير ٢٣ / ١٧٦.

ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾.

- ولا يخفى التَّناسب بين الآيات [٢٢ - ٢٤]، والآية التي تسبقهن في قوله ﷻ: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾؛ إذ فصَّلت تلك الآيات ما أجملته الآية [٢١]، فقال ﷻ: ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ... ﴾.

- جاءت الجملة في قوله ﷻ: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ...﴿٢٥﴾ ﴾ متمِّمة للآية التي تسبقها، حينما دعا نبي الله داود عليه السلام ربَّه أن يغفر له في قوله ﷻ: ﴿ ... فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ ...﴿٢٤﴾ ﴾، ونلحظ انتهاء قصَّة داود عليه السلام بعد الآية ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾، فلماَّ انتهت أردفها الله ﷻ ببيان تفويض خلافة الأرض لداود عليه السلام[1] في قوله: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، أي إنَّ هذه الآية جاءت متمِّمة الآيات السَّابقة.

- بيَّنت الآية في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ أن المفسد في الأرض، والفاجر لن يتساوى مع المصلح، والتَّقي في الجزاء يوم القيامة، فالآية بها ((رد واضح على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شيء واحد))[2]، وهنا تأكيد للمعنى في الآيتين اللتين سبقتها في قوله ﷻ: ﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ...﴿٢٦﴾ ﴾، وقوله: ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٦.

(٢) التفسير المنير ٢٣ / ١٩٦.

– في قوله ﷻ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾، عطفت الآية [٣٧] على الآية التي سبقتها بواسطة حرف العطف (الواو)، وأيضا الآية [٣٨] عُطفت على سابقتها بواسطة الحرف نفسه، فجمعت هذه الآيات المعجزات التي وهبها الله ﷻ نبيه سليمان عليه السلام، وتناسب ذلك مع الآية التي تسبقهن، فقد دعا فيها سليمان عليه السلام ربه أن يهب له ملكًا لم يهبه لأحدٍ غيره، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾، فتضمَّنت هذه الآيات [٣٦ – ٣٨] إجابة الدعاء.

– نجد الجملة في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا... ﴿٣٩﴾ ﴾ اعتراضية، وتناسبت مع الآيات [٣٦ – ٣٨] المبيِّنة، والمفصِّلة لهذا العطاء، والمتضمِّنة تسخير الريح لنبي الله سليمان عليه السلام حتى تقضي حاجاته، وتسخير الشياطين يبنون له ما يريد، ويستخرجون له اللآلىء من البحر(١).

– جاءت الآية [٤٠] في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ معطوفة على الآيات [٣٦ – ٣٨] المبينة لنعم الله ﷻ على نبيه سليمان عليه السلام في الدنيا، فبعد أن انتهت تلك الآيات من ذكر النعم في الدنيا جاءت هذه الآية متمِّمة لهنَّ بذكر نعم الله ﷻ على نبيه في الآخرة، وارتبطت بهن بواسطة حرف العطف (الواو).

– انتقلت السُّورة بعد ذلك إلى ذكر قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ...﴿٤١﴾ ﴾، فعُطفت هذه الآية على الآية التي افتتحت قصَّة نبي الله داود عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ ...وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ...﴿١٧﴾ ﴾، قال ابن عاشور: ((هذا مثل ثان ذكر به النبي ﷺ أسوة به في الصبر على أذى قومه، والالتجاء إلى الله في كشف الضر، وهو معطوف على ﴿ ... وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ .. ﴿١٧﴾ ﴾))(٢).

ومَن تَتبَّعَ بقية آيات القصَّة يجد المناسبة واضحة بين قوله ﷻ: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٦٨.

بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ فالآيتان [٤٢ – ٤٣] بهما استجابة الله ﷻ لدعاء نبيه أيوب عليه السلام الذي كان قد دعاه في الآية السَّابقة لهما، والآية [٤٣] جاءت معطوفة على الآية [٤٢]، فارتبطت بها بواسطة حرف العطف (الواو)، بينما لم ترتبط الآية [٤٤] في قوله ﷻ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ بسابقتها، فهذه قصَّة أخرى تختلف عن قصَّة صبر أيوب عليه السلام، و((ذكرت هنا تكملةً لمظهر لطف الله بأيوب جزاءً على صبره))[١].

– انتقلت بعدها السُّورة لذكر قصص أنبياء الله: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ...﴿٤٥﴾ ﴾، فعُطفت هذه الآية على الآيات [١٧، ٣٠، ٤١]، والتي ذَكَرَت قصص أنبياء الله: (داود، وسليمان، وأيوب) عليهم السلام، في قوله ﷻ: ﴿ ... وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ... ﴿١٧﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ...﴿٣٠﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ...﴿٤١﴾ ﴾.

ولما انتهى ﷻ من ذكر قصص الأنبياء تحوَّلت السُّورة لموضوع آخر يُصَبِّر فيه نبيه على أذى قريش، فربط الآية [٤٩] بما سبقها من تلك الآيات بقوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ.. ﴾، وهذا ما نجده حينما يفرغ ((الكاتب من فصل من كتابه، وأراد الشروع في آخر قال: هذا وقد كان كيت وكيت))[٢].

– جاءت الآيات في قوله ﷻ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ مفصِّلات للآية السَّابقة لهنَّ في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾، فبيَّنت ثواب المتقين الذي وصفته الآية [٤٩] بجملة (حسن مآب)، ونلحظ أن الآية [٥٢] عُطفت على الآيتين السابقتين لها بواسطة حرف العطف (الواو)، فارتبطت بهما بهذا الرابط.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٤٠١.

وأكَّدت الآية في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾ الثواب الذي سيناله المتَّقون يوم القيامة، والتي فصَّلت فيه الآيات [٥٠ – ٥٢]، وجاءت الآية التالية لها؛ لتكرِّر المعنى نفسه زيادة في التَّوكيد في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا ... ﴿٥٤﴾ ﴾.

– جاء اللفظ ﴿ هَٰذَا ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾؛ لربط الآية بما سبقها من آيات، فـ﴿ هَٰذَا ﴾ تعني: ((هذا الذي ذكرنا ثواب المتَّقين، وجزاء تقواهم))[١].

ويوجد تناسب بين جملة ﴿ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾، والجملة السَّابقة لها في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾، فهذا التَّناسب هو تناسب الأضداد الذي يهدف لمزيدٍ من البيان والإيضاح.

وفصَّلت الآيتان في قوله ﷻ: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ جزاء الطَّاغين يوم القيامة، لتتناسب مع الآية السَّابقة لهما والتي أجملت ذلك في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.

ونلحظ تناسب الآية في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ مع ما سبقها من آيات في عدة جوانب منها:

– جاءت جوابًا عن القسم الوارد في قوله ﷻ: ﴿ .. وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾[٢].

– أكدت الآية [٢] في قوله ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ التي بيَّنت أن الكافرين في تنازعٍ، وتخاصمٍ مستمرين في الدنيا والآخرة.

– أشارت إلى تخاصم أهل النَّار، ولم تفصِّل فيه، وتناسبت مع ما قبلها من الآيات المفصِّلة لذلك الاختلاف في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾.

من ذلك نلحظ التَّناسب بين الآية [٦٠]، وما قبلها؛ إذ يظهر فيهما مدى التباغض بين الكافرين، حتى إنهم يلعنون بعضهم في النَّار، يقول الماتريدي: ((قالت الخزنة لمن في النَّار:

---

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٤٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام ٣ / ٧١.

﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ﴾، فيردون على الخزنة: ﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴾، فيرد عليهم القوم الذين اقتحموا النَّار بعدهم: ﴿ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ﴾))[1].

- جاءت الآيتان في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ لتؤكِّدا وحدانية الله ﷻ، وربوبيته، وتردَّا على المشركين الذين اتهموا الرسول محمد ﷺ بالسِّحر، والكذب، وسخروا من دعوته، والتي أوردته الآيات السَّابقة في قوله ﷻ: ﴿ ... هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ... ﴿٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ ... أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾، وقوله: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴿٨﴾ ﴾.

- ولا تخفى على أحد المناسبة بين قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾، وقوله: ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾؛ إذ أتت الآية [٦٨] متمِّمة للآية السَّابقة لها، وبلغ درجة الالتحام بين الآيتين أن لو دمجناهما لم يختل المعنى، فكأنَّ المعنى هو: (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)، قال الزجاج: ((النبأ الذي أنبأتكم به عن الله ﷻ نبأ عظيم، والذي أنبأتكم به دليل على نبوتي))[2]، ومع ذلك أعرضوا عنه، وكذَّبوا به.

ونلحظ تناسب الآيتين [٦٧ - ٦٨] مع الآية [٧] في قوله ﷻ: ﴿ ... إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾، ففيهما ردٌّ على الكافرين الذين وصفوا ما جاء به النبي ﷺ بالاختلاق.

وبيَّن ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بأنَّ ((هذا النبأ العظيم الذي حدثتكم به، ليس من عندي، وإنما هو من عند الله))[3]، في تتميم واضح للآيتين [٦٧ - ٦٨].

ثم تنتقل السُّورة إلى مقطع قصَّة نبي الله آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس، لنجد فيه مجموعة من مناسبات الآيات لما قبلها تتمثَّل في الآتي:

---

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٤١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٤٠.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١١٠٨.

– تناسب الآية في قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ... ﴿٧٢﴾ ﴾، مع الآية السَّابقة لها في قوله ﷻ: ﴿ ... إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾؛ إذ تكلمت الآيتان عن مراحل خلق الإنسان، فالآية [٧١] بيَّنت خلق الإنسان من طين، ثم جاءت الآية [٧٢] لتتمِّم الآية [٧١] وتكمِّل عليها، وتبيِّن المرحلة الأخرى لخلقه، وهي بث الروح فيه.

– أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ ... فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾، فاستجابت الملائكة لهذا الأمر كما بيَّنته الآية اللاحقة لها في قوله: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

– ذكرت الآية في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ استثناء إبليس من السجود لآدم عليه السلام، وبالمقابل أوضحت، وبيَّنت عدم سجود جميع الملائكة لآدم عليه السلام الذي جاء في قوله ﷻ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ولا يخفى التَّناسب بين الآيات في الحوار الدائر بين الله ﷻ، وإبليس، فقد تبجَّح إبليس في بيان سبب عدم سجوده لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ... ﴿٧٦﴾ ﴾، فكان ذلك جوابًا عن سؤال ربِّ العزة له في قوله ﷻ: ﴿ ... مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ... ﴿٧٥﴾ ﴾، ولا يخفى التَّناسب بين قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾، والتناسب بين قوله ﷻ في بيان توعد إبليس بني آدم بالغواية: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، وقوله ﷻ ردًّا عليه: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

وفي نهاية السُّورة بين الله ﷻ في قوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ أن ما جاء به القرآن الكريم حق، وسيتيقن الإنسان من ذلك يوم القيامة(١)، وتناسبت هذه الآية مع الآية السَّابقة في قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ التي بينت مهمَّة القرآن الكريم، وهي تذكير الغافلين عن الله ﷻ(٢)، فالنبأ الذي أوردته الآية [٨٨]، هو الذِّكر الذي أتى به القرآن والمذكور في الآية [٨٧].

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للنحاس ٦ / ١٤٢.

(٢) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ١٦٣.

المبحث الثاني
التَّناسب القصصي

أهمِّية القصص القرآني:

تعد القصَّة في القرآن الكريم من أبرز مكونات السُّورة؛ لتميُّزها بحسن التصوير، وبراعة التَّركيب، والقدرة الكبيرة على تقريب المعنى للمتلِّقي، وتحمل القصَّة عدة مقاطع متماسكة، ما يدل على تماسك السُّورة الواحدة، وقوة ترابطها(١)، والغرض منها الاطلاع عليها، وتعرُّف تفاصيلها(٢).

وتأتي القصَّة لـ((تساهم فيما يرمي إليه القرآن بعامة من الوعظ، والنصح، والإرشاد))(٣)، قال أبو زهرة: ((تجيء القصَّة في القرآن للعبرة كما قال ﷻ: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ... ﴾ [يوسف: ١١١]، فكل قصَّة هي موضع عبرة، وكل جزء من قصَّة هو لعبرة في هذا الجزء تناسب وضعه))(٤)، وتخضع القصَّة في القرآن في أسلوب عرضها، وسردها للحوادث لمقتضى الأغراض التي تنشدها(٥).

فالقصص في اللغة يعني: التَّتبُّع، قال ابن فارس: ((القاف، والصاد أصل صحيح يدل على تَتَبُّع الشيء، من ذلك قولهم: (اِقْتَصَصْتُ الأَثَرَ)، إذا تَتَبَّعْتُه))(٦)، وتفيدنا القصَّة في الكشف عن الآثار التي مضت، والتنقيب عن الأحداث التي نسيها الناس، أو غفلوا عنها، لتذكيرهم بها، ولفتهم إليها، وأخذ العبرة، والعظة منها(٧).

---

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٦٨، وسورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٦٢.

(٢) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير ٧٠.

(٣) من بلاغة القرآن ٢٧٦.

(٤) زهرة التفاسير ٧ / ٣٦١٤.

(٥) ينظر: التصوير الفني في القرآن ١٤٣.

(٦) مقاييس اللغة ٥ / ١١(قصَّ).

(٧) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٤٨.

ويأتي القصص القرآني للإخبار ((عن أحوال الأمم الغابرة، وشأن النبوَّات السَّابقة والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثيرٍ من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وما حدث فيها))[١].

وموضوع القصص القرآني عبارة عن ((نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم، أو خيال، إنه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه))[٢]، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ...﴾ [آل عمران: ٦٢].

وتعد الـ((قصَّة في القرآن عملًا فنيًّا مستقلًّا في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصَّة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق))[٣]، ويعمد أسلوب القصَّة على التوجيه إلى مكان العظة، والعبرة، وترك الجوانب التاريخية المجردة[٤].

ومما لا شك فيه أن القصَّة المحكمة يطرب لها السامع، وتدخل نفسه بكل سهولة، ويتفاعل معها المتلِّقي، وبالمقابل يجني ثمارها[٥]، وكثيرًا ما يرد في النص القرآني هذا الأسلوب لتحقيق تلك الغاية، فتتحقق أهداف هذه القصص التي من ضمنها:

- تسلية الرسول محمد ﷺ بالحديث عن الأذى الذي لاقاه الرسل من قبله، وذلك يدفعه للصَّبر على أذى المشركين.
- إثبات نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، والأنبياء السابقين.
- مقارعة المُكذِّبين بالحجة والبرهان[٦].
- الدعوة إلى الله ﷻ، فأسلوبها أخَّاذٌ يستحوذ على القلوب، ويسيطر على النفوس، ويهيِّئ

---

(١) نفحات من علوم القرآن ١٠٦.

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٩.

(٣) التصوير الفني في القرآن ١٤٣.

(٤) ينظر: من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ٩٥.

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ٣٢١.

(٦) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ٢٠٩.

العقول لحسن التلقي، فتذعن له في يقينٍ، وتسلِّم بالنتائج في رضا وثقة[١].

خصائص أسلوب التعبير في القصص القرآني:

أ- الإجمال، والتَّفصيل:

امتاز القصص القرآني عند نزوله في بداية الدعوة بالعرض المجمل، فمثلًا تأتي القصَّة بذكر من وقع عليه العذاب من الأمم السَّابقة من دون أن تصرِّح بأسمائهم، أو أسماء أنبيائهم، أو التَّفصيل في طريقة الحوار، فقد كان غرض الدعوة في بدايتها تحذير المشركين في مكة من العناد، والتكذيب لدعوة سيدنا محمد ﷺ.

ثم أخذت القصَّة منحى التَّفصيل كلما تقدم عمر الدعوة، فتظهر المحاورات، وإظهار الأدلَّة والبراهين، ويشتدُّ الصراع بين الحق، والباطل، فيُذكر اسم النبي، أو الرسول، ومحاورته مع قومه، فتكون بذلك أكثر تفصيلًا، وتكون آياتها طويلة؛ لأنَّها تتَّجه إلى إثارة التفكير والتأمُّل فيما جرى على الأُمم من قبل.

ونلحظ أنَّ ما ورد من القصص في القرآن الكريم مجملًا في موضعٍ يأتي تفصيله في مواضعَ أخرى، ذلك تبعًا لمقامات الخطاب وما يناسب السياق الذي وردت فيه، ففي سورة الكهف ورد ذكر قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس مجملة في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ...﴿٥٠﴾ ﴾، وجاء تفصيلها في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، منها سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ٣١٦.

ب ـ إصابة المعنى:

ويقصد به: ((الدِّقَّة التَّامَّة في انتقاء الألفاظ، وحسن اختيارها، ووضعها في موضعها))[١]، ويتأنَّق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، وهناك فروق دقيقة بين تلك الألفاظ؛ إذ يستعمل كل لفظ في المكان الذي يناسبه؛ ليؤدي معناه بدقة فائقة[٢]، من ذلك ما ورد في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾، في هذه الآية استعملت صيغة الجمع (العباد)؛ إذ جمعت الآية (العبد) على (العباد)، ولم تجمعه على (العبيد)، وهناك فروق بين الجمعين، من ذلك ما ذكره ابن جني في قوله: ((أكثر اللغة أن تستعمل (العبيد) للناس، والعباد لله))[٣]، أي: نقول: عبيد الناس، وعباد الله، واستُعمل لفظ (العبيد) في القرآن الكريم خمس مرات فقط، وذلك في سياق نفي صفة الظلم عن الله ﷻ حين يأمر بإدخال الكافرين النَّار.

ففي الآيات [١٨٢، ٥١، ١٠] من سور: (آل عمران، والأنفال، والحج)، يقول ﷻ: ﴿ ... وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾، وفي سورة فصلت قال ﷻ: ﴿ ... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾، وقال في سورة (ق): ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

بينما ورد لفظ (العباد) في القرآن الكريم في أكثر من مئة موضع، وهي في معظمها تعني: طاعة الله ﷻ وإخلاص العبودية له، ويأتي لفظ (عباد) لوصف المسلمين العابدين، بينما لفظ (العبيد) يوصف به الكافرين، وهذا يفسر مناسبة استعمال لفظ (عباد) بدلًا من (عبيد) في الآية [٤٥] من سورة (ص).

ت ـ حسن التخلص:

ويقصد به: ((أن ينتقل مما ابتُدئ الكلام به إلى المقصود على وجه سهل، يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى؛ إذ لا يشعر السامع بالانتقال إلَّا وقد وقع عليه الثاني؛ لشدَّة الالتئام بينهما))[٤]، ويسمى كذلك بالخروج، وهو الخروج من معنى لمعنًى آخر، فتحمل القصة

---

(١) الإعجاز اللغوي في القصَّة القرآنية ٧٠.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن ٥١.

(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢ / ١٤.

(٤) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٩١.

القرآنية عدة معانٍ يتم التنقل بينها في سلاسةٍ ويسر، لا يشعر به[1].

ومن أمثلة ذلك قصَّة داود عليه السلام الواردة في الآيات [١٧-٢٦] من سورة (ص)، فقد ابتدأت بدعوة النبي محمد ﷺ بالصَّبر على أذى المشركين، كما صبر نبي الله داود عليه السلام على قومه، فقال ﷻ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ ﴾.

ثم انتقلت للحديث عن النعم التي أنعم بها الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾.

بعدها ذكرت قصَّة الخصمين اللذين تسوَّرا المحراب، وأرادا من داود عليه السلام أن يقضي بينهما بالحق، فقال ﷻ: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ... ﴾.

وذهبت للحديث عن استغفار داود عليه السلام ربه، وإجابة دعائه في قوله ﷻ: ﴿ ... وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾.

وانتهت القصَّة بذكر نصائح، وتوجيهات الله ﷻ نبيه داود عليه السلام في قوله: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

من ذلك نلحظ انتقال آيات قصَّة داود عليه السلام في سورة (ص) من معنى إلى معنى آخر، ومن فكرة إلى فكرة أخرى، وتمَّ هذا الانتقال بسلاسة، ومن دون أن يُشعر به، فكان ذلك من بديع حسن التخلص في القرآن الكريم.

أنواع القصص القرآني:

إن القصَّة في القرآن الكريم لا تخرج عن ثلاثة أنواع، هي:

---

(١) ينظر: الإعجاز اللغوي في القصَّة القرآنية ٨٢ – ٨٣.

النوع الأول:

تأتي القصَّة لتتحدث عن الأنبياء، ومعجزاتهم التي أيدهم الله ﷻ بها، وتحكي المعاناة التي عانوها مع أقوامهم، من تكذيب، واتِّهام بالسحر، وغيره، كما تبيِّن عاقبة المُكذِّبين، وثواب المتقين، وهذا النوع من القصص القرآني نجده الغالب على سائر القصص الأخرى[١].

وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، منها قصص أنبياء الله: (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد، وغيرهم من الرسل) عليهم الصلاة والسلام.

النوع الثاني:

تجد بعض القصص تتحدث عن حوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوَّتهم، كقصص (أصحاب الكهف، وذي القرنين، وطالوت وجالوت، وأصحاب السبت، وقارون وأصحاب الأخدود)، وغيرهم[٢].

النوع الثالث:

قصص تتعلق بالأحداث الواقعة زمن الرسول محمد ﷺ، كغزوة بدر، وأحد الواردتين في سورة آل عمران، وغزوة حنين، وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، ونحو ذلك مما حدث في زمن المصطفى ﷺ[٣].

ويتَّضح من ذلك أن القصص القرآني على الرغم من تعدد طرائق مجيئه في القرآن، إلا أنَّه لا يأخذ القصَّة كاملة، بل يأخذ منها بما يتوافق مع مقصود السُّورة، ويستغني عن الباقي، ولا سيَّما أن القصص القرآني ليس همه سرد الأحداث التاريخية فحسب، وإنما يأخذ منها الجوانب الإيجابية، أو السَّلبية، بما يخدم الأهداف والغايات التي ترنو إليها القصَّة[٤].

وجدير بالذكر أن هذه الجوانب اللغوية، والأدبية تحتاج إلى دراسات واسعة، لا يتَّسع المجال لذكرها في هذا المبحث، وقد تطرَّقت إليها؛ لصلتها الوثيقة بموضوع الدراسة التي سأتناولها على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ٢٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٠٨.

(٣) ينظر: نفحات من علوم القرآن ١٠٧.

(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٥١، وقصص القرآن الكريم ٤٦ – ٤٧.

أولًا: التِّكرار في القصص القرآني:

إن لتكرار القصَّة في القرآن الكريم فوائد بلاغية كثيرة[١]، وهو يأتي بأساليب مختلفة، وذلك لتسلية الرسول ﷺ، وردع، وزجر المُكذِّبين، وبيان عاقبتهم[٢].

وتتجلَّى معجزة القرآن في هذا الجانب؛ إذ لم تتكرر قصَّة في موضعين، أو أكثر على النَّمط نفسه، فكل صورة تأتي عليها القصَّة تحمل جديدًا في الصِّياغة، ودقَّة المعنى بما يخدم غايتها، والمقام الذي ترد فيه[٣].

قال الخليلي: ((فإنَّ السُّور لا تعرض القصص بطريق السَّرد كما هو شأن القصاصين، وإنما تأتي منها بقدر ما يخدم الموضوع الذي ذكرت خلاله القصَّة، وبحسب ما يتلاءم مع هذا الجو))[٤].

من ذلك نلحظ تكرار القصص الواردة في سورة (ص) مع سور أخرى في القرآن الكريم، وسأتناول هذا الجانب من خلال دراسة تلك القصص في سورة (ص)، وبيان تكرار موضوعاتها مع بقية السُّور على النحو الآتي:

١- قصَّة نبي الله داود عليه السلام:

ذكر الله ﷻ قصَّة داود عليه السلام في عدَّة مواضع من القرآن الكريم، منها الآية [٢٥١] من سورة البقرة، والآيات [٧٨ - ٨٠] من سورة الأنبياء، والآيتان [١٥ - ١٦] من سورة النَّمل، والآية [١٠] من سورة سبأ، فبيَّنت تلك القصص أن داود عليه السلام أكرمه الله ﷻ بالعلم، والحكمة، وسخَّر له الجبال، والطير يسبحن معه، وأَلَانَ له الحديد، وكان عبدًا خالصًا لله، وآتاه الله ﷻ ملكًا عظيمًا، وأمره أن يحكم بالعدل بين الناس، وتكرَّر ذكر قصته في القرآن الكريم بصيغ مختلفة.

ففي جانب تسخير الطير، والجبال لداود عليه السلام، يقول ﷻ في سورة (ص): ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، فبيَّنت الآية [١٨] تسخير الجبال

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ٤٦٢.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ٣٣٣.

(٣) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ٤٦٢.

(٤) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ٣ / ٦.

لداود عليه السلام بالتَّفصيل، فذكرت تسبيحهن لله ﷻ، وتكلَّمت على وقت التسبيح، فهنَّ ((يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى))[1]، وفصَّلت الآية [١٩] حال الطير عند التَّسبيح؛ إذ يدعوها داود عليه السلام لذلك فتجتمع إليه، وتسبح معه[2].

وذكرت الآية في قوله ﷻ: ﴿ ... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ... ﴾[الأنبياء:٧٩] تسبيح الجبال والطير مجملًا، وفي سورة النَّمل يقول ﷻ: ﴿ ...عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ... ﴿١٦﴾ ﴾؛ إذ إنَّها لم تفصِّل في تسخير الطير لتسبيح الله ﷻ، وإنما أشارت لفهم داود عليه السلام لغة الطير، ولم تتعرض كذلك لتسبيح الجبال لله ﷻ، ونجد هذا الإجمال كذلك في سورة سبأ؛ إذ يقول ﷻ: ﴿ ... يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ... ﴿١٠﴾ ﴾.

وبيَّنت الآية في قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ النعم الأخرى التي أنعم بها الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام، فأعطاه الملك، والفهم، والرشاد، وإحكام الرأي، وألهمه القدرة على تبيُّن الحق، والحكم به[3].

وتكرَّر ذكر هذه النعم في آيات أخرى من سور القرآن الكريم، فقال ﷻ في سورة البقرة: ﴿ ...وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ... ﴿٢٥١﴾ ﴾، وقال في سورة الأنبياء: ﴿ ... وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴿٧٩﴾ ﴾، وفي سورة النمل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا... ﴿١٥﴾ ﴾.

من ذلك نلحظ أنَّ الآية [٢٠] من سورة (ص) ذكرت الملك، والحكمة، وفصل الخطاب، بينما الآيات الأخرى لم تذكرها جميعا، ففي سورة البقرة ذُكر الملك، والحكمة، وفي سورة الأنبياء ذُكر الحكم، ولم يفصَّل في العلم، وذكرت سورة النمل كذلك العلم مجملًا، أي: إنَّ سورة (ص) كانت أكثر تفصيلًا في هذا الجانب، وعزَّزت هذا التَّفصيل بسرد قصَّة نبي الله داود عليه السلام، وهو يباشر القضاء بين الناس في الآيات [٢١ – ٢٤]؛ ولذلك سُمِّيت سورة (ص) بسورة (داود).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٦٨.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٧٦.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري ٣ / ٢٤٩.

٢- قصَّة نبي الله سليمان عليه السلام:

وجاءت قصته في سورة (ص) بعد قصَّة أبيه داود عليه السلام في الآيات [٣٠ – ٤٠]، وذكرت قصته في سورتين أخريين؛ إذ ورد ذكرها في سورة الأنبياء، الآيات [٧٨ – ٨٢]، وفصَّلت سورة النمل في قصته، فبيَّنت الآيات [١٥ – ١٩] نعم الله ﷻ عليه وعلى أبيه من قبل، ثم تحدَّثت عن قصته مع الهدهد في الآيات [٢٠ – ٢٨]، وبعدها عن قصته مع ملكة سبأ في الآيات [٢٩ – ٤٤].

ومن خلال دراسة قصة سليمان عليه السلام في تلك الآيات لحظت أنَّ سورة (ص) ذكرت جوانبًا من قصته، وتكرَّر ذكرها في سورتي الأنبياء والنمل بصيغ مختلفة، ففي بيان تسخير الله الريح للنبي سليمان عليه السلام يقول ﷻ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ... ﴿٣٦﴾ ﴾، وقال ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ... ﴿٨١﴾ ﴾، فالآيتان تشابهتا فيما تحملانه من معنى، ولكن آية الأنبياء زادت على ذلك بوصف حال الريح بالعاصفة، فـ((عصوفها: شدة هبوبها))[١].

وبيَّنت القصَّة في سورة (ص) تسخير الشياطين لنبي الله سليمان عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾، وتكرَّر ذكر ذلك في سورة الأنبياء فقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ... ﴿٨٢﴾ ﴾، وفي سورة النمل فقال: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ... ﴿١٧﴾ ﴾.

٣ – قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام:

وذكر الله ﷻ في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ((قصَّة أيوب، وابتلاء الله له بالمرض، والمشقة والألم، ليكون عليه السلام مثالًا كريمًا يحتذيه، ويتأسَّى به كل من تصيبه مصيبة

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٤٨١.

في نفسه، أو ولده، أو ماله))[1].

وتكرر ذكر قصته في سورة الأنبياء، فقال ﷻ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾.

فنلحظ أنَّ ورود قصَّة أيوب عليه السلام في سورة (ص) أكثر تفصيلًا عنها في سورة الأنبياء، فقد ذكرت دعاء النبي أيوب عليه السلام ربه بأن يشفيه، ثم وصفت ما قام به من عمل حتى يشفى، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

بعدها ذكرت النِّعم التي أنعم الله بها عليه، واختتم المقطع بذكر قصته مع زوجته، بينما سورة الأنبياء ذكرت الدعاء، والاستجابة، وتعداد النعم مختصرًا.

٤ – قصَّة نبي الله آدم عليه السلام:

اختُتمت قصص سورة (ص) بذكر قصَّة نبي الله آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس، وذلك في الآيات [٧١ – ٨٥]، وتكرَّر ذكر هذه القصَّة في مواضع أخرى من القرآن الكريم بتعابير مختلفة.

ففي بداية القصَّة الواردة في سورة (ص) أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال: ﴿ ... فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾، وورد مثل هذ الأمر في الآية [٣٤] من سورة البقرة، والآية [٦١] من سورة الإسراء، والآية [٥٠] من سورة الكهف، والآية [١١٦] من سورة (طه)؛ إذ قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ... ﴾، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ ...ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ...﴿١١﴾ ﴾.

ثم ذكرت سورة (ص) استجابة الملائكة لأمر الله ﷻ، باستثناء إبليس، فقال ﷻ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم قال ﷻ: ﴿ ...فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿ ... فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١]، وفي سورة الإسراء

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٠٤.

قال ﷻ: ﴿ ... فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾، وقال ﷻ في سورة الكهف: ﴿ ... فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ... ٥٠ ﴾، وقال ﷻ في سورة (طه): ﴿ ... فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ ﴾.

وفي سؤال رب العزة إبليس عن سبب تكبُّره، ورفضه السجود لآدم كان ردُّه في سورة (ص): ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾، ونجد مثل هذا الرد يتكرَّر في الآية [١٢] من سورة الأعراف، وفي سورة الإسراء كان ردُّه في قوله ﷻ: ﴿ ... قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾.

بعدها يتجلَّى غضب الله ﷻ على إبليس في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، وتكرَّرت هذه الآية في مواضع أخرى، وبصيغٍ مختلفةٍ؛ إذ قال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ ﴾، وقال في السُّورة نفسها: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا ...١٨ ﴾، وفي سورة الحجر يقول ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

ويظهر تكبُّر إبليس في سورة (ص) من خلال توعُّده بغواية بني آدم في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾، ونجد مثل هذا المشهد من القصَّة مكرَّرًا في سورتي الأعراف، والحجر، ولكنه أكثر تفصيلًا، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾.

وفي نهاية القصَّة في سورة (ص) يتوعَّد الله ﷻ إبليس، وأتباعه بدخول نار جهنم في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾، وفي سورة الأعراف يقول ﷻ: ﴿ قَالَ

﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾، وجاءت سورة الحجر مبيِّنة عقاب أَتباع إبليس، وزادت على ذلك بأن ذكرت نار جهنم، وفصَّلت في وصف أبوابها، فقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴾.

وهكذا وجدنا أنَّ القصص في القرآن الكريم تتكرَّر كثيرًا وبصيغٍ مختلفةٍ؛ لأنها جاءت بهدف أخذ العظة، والعبرة منها، وتسلية الرسول محمد ﷺ؛ ليصبر على أذى المُكذِّبين، وأنَّ المقصد من تكرارها هو إظهار الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ إذ تحدَّى الله ﷻ فصحاء العرب، وبلغاءهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، فقال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

ثانيًا: تناسب التَّسلسل القصصي:

نلحظ عند قراءتنا سورة (ص) أنها اشتملت على خمس قصص، فابتدأت بذكر قصَّة داود عليه السلام في الآيات [١٧ – ٢٦]، وفصَّلت في قصته أكثر من السُّور الأخرى، لذلك تسمى اجتهادًا بسورة (داود)، ثم ذَكَرَت قصَّة نبي الله سليمان عليه السلام في الآيات [٣٠ – ٤٠]، فجاءت قصته مفصَّلة في عشر آيات، وبعدها انتقلت لذكر قصَّة نبي الله أيوب عليه السلام في الآيات [٤١ – ٤٤]، ثم بشكلٍ مختصرٍ قصَّة إبراهيم عليه السلام وذريته في الآيات [٤٥ – ٤٨]، واختُتمت السُّورة في ربعها الأخير بالتَّفصيل في قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس، وذلك في الآيات [٧١ – ٨٥].

وجاء ترتيب القصص على هذا النحو؛ لتناسب حال النبي محمد ﷺ مع قومه، فغاية القصَّة القرآنية تسليته وأصحابه، لذلك قصَّ الله ﷻ على نبيِّه في بداية السُّورة قصَّة داود، وابنه سليمان عليهما السلام، وبيَّن له أنهما ((بشر من البشر يدركهما ضعف البشر، وعجز البشر))[١]، وهذا ما كان عليه حال النبي محمد ﷺ في بداية الدعوة من الضعف، والعجز.

وبعدها ((أغدق الله عليهما من النبوَّة، والملك، ومن تسخير الجبال، والطير، وتسخير

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٥.

الجنِّ، والرِّيح فوق الملك، وخزائن الأرض، والسلطان، والمتاع))[١]، والمراد هنا تبشير النبي ﷺ بالتمكين، والنَّصر في نهاية الأمر على الرغم من ضعف حاله، وقلة أتباعه في بداية الدعوة، فناسب ابتداء القصَّة بهما ما كان عليه حال النبي ﷺ في بداية دعوته، فكان بحاجة إلى ما يسليه، ويبشِّره بانتقال حاله من الضعف إلى القوة، فساق له ﷻ هاتين القصتين لهذا الغرض، وابتدأت بهما السُّورة، والمناسبة واضحة من تقديم قصَّة داود عليه السلام على قصَّة ابنه سليمان عليه السلام.

وبعد تسلية الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بذكر قصتي داود، وسليمان عليهما السلام؛ إذ ((كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء))[٢]، انتقلت السُّورة لقصة نبي الله أيوب عليه السلام الذي صبر على ما أصابه من مرض، وبلاء، وبالمقابل يظهر لنا مناسبة تقدم قصتي داود، وسليمان عليهما السلام على قصَّة أيوب عليه السلام، فكأن السُّورة تقول للنبي ﷺ: ((يا محمد، اصبر على سفاهة قومك، فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمةً، ومالًا، وجاهًا أكثر من داود، وسليمان، وما كان أكثر بلاءً، ولا محنةً من أيوب))[٣].

من ذلك نجد أنَّ السورة ابتدأت بذكر قصص تحتوي على النعم؛ لرفع معنويات الرسول ﷺ حتى يستبشر خيرًا بما هو قادم، ثم تلته بقصصٍ تحتوي على الضرر لغرض تصبيره على أذى المشركين.

وتتوالى بعد ذلك ذكر القصص الدَّالة على صبر الأنبياء، فيذكر الله ﷻ في الآيات [٤٥ – ٤٨] قصَّة نبي الله إبراهيم، وذريته عليهم السلام، فيأمر ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بالصبر كما صبر هؤلاء الأنبياء على أقوامهم، فإبراهيم صبر حين أُلقي في النَّار، وأنبياء الله: (إسحاق، واليسع، وذو الكفل) صبروا على أذى بني إسرائيل، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر، وإسماعيل صبر على الذَّبح[٤].

ونجد أنَّ قصَّة أيوب عليه السلام قُدِّمت على قصَّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام؛ لأن الأذى

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٢٧.

(٣) المصدر نفسه ١٦ / ٤٢٧.

(٤) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢١٤.

الذي أصابه ((قد وصل إلى الحدِّ الذي عصم منه الأنبياء))[١]، وكان صبره على الضرر مضربًا للأمثال.

وبعد أن ذكر الله ﷻ في هذه السُّورة القصص التي من شأنها تسلية الرسول ﷺ، وتصبيره على أذى المشركين، اختتمها بقصة تهم المشركين؛ لتكون زاجرًا، ورادعًا لهم، وهي قصَّة آدم، وتكبُّر إبليس في الآيات [٧١ – ٨٥]، فبيَّنت لهم أن سبب عصيان إبليس لربه الكبر، والحسد[٢]، فعليهم أن يبتعدوا عن هاتين الخصلتين؛ حتى لا يصيبهم ما أصابه من غضب الله ﷻ عليه، ودخوله نار جهنم.

ونلحظ أن قصص السُّورة ابتدأت بقصتين تتحدثان عن مجموعة من النعم، وهي نعم الله ﷻ على داود، وسليمان عليهما السلام، واختُتمت بقصة تحمل في طياتها الحسد، وهو حسد إبليس لآدم عليه السلام، أي: إنَّ قصص السُّورة أُفتُتحت بذكر النعم، واُختُتمت بذكر الحسد، ولا يكون الحسد إلا على النعم.

ثالثًا: تناسب القصَّة اللغوي مع مقصود السُّورة:

هناك خمس قصص في سورة (ص)، وسأدرس تناسب كل قصَّة مع المقصود العام للسورة[٣] على النحو الآتي:

١ – قصَّة داود عليه السلام:

وردت قصَّة نبي الله داود عليه السلام في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، منها سورة (ص) في الآيات [١٧ – ٢٦]، وذكر اسمه في ستة عشر موضعًا من كتاب الله ﷻ، وفُصِّلت قصته في هذه السُّورة أكثر من غيرها.

وجاء مضمونها؛ ليتناسب مع المقصود العام للسورة وهو: وحدانية الله ﷻ، والبعث والحساب، فقال ﷻ فيها: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾، فهذه الآية تدل على وحدانية الله ﷻ، فتسبيح الجبال لله ﷻ تدل على إقرارها بوحدانيته، وأنه لا أحد يستحق

---

(١) تفسير آيات الأحكام، للسايس ٦٧٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٠.

(٣) المقصود العام للسورة هو: إثبات وحدانية الله ﷻ، وتأكيد نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وبيان البعث يوم القيامة، ووقوع الجزاء، وفصَّلت ذلك في مبحث تَنَاسُبِ اسم السُّورة مع مقصودها.

التَّسبيح، والدعاء غيره، فالله ﷻ وحده استطاع أن يخلق ((في جسم الجبل حياةً، وعقلًا، وقدرةً، ومنطقًا، وحينئذ صار الجبل مسبحًا لله ﷻ))[١].

ومن دلائل وحدانيته ﷻ في القصَّة تسبيح الطير له في قوله: ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ ﴾، وذُكر أن النبي محمد ﷺ حينما يسبح ربَّه تجيبه الجبال، وتجتمع إليه الطير، وتسبح معه[٢].

ومن دلائل وحدانيته ﷻ كذلك في القصَّة ما جاء في قوله: ﴿ ... فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا.. ﴿٢٤﴾ ﴾، فبينت الآية بأن دواد عليه السلام طلب المغفرة من الله ﷻ، ولم يطلبها من غيره؛ فهو يعلم أنَّه لا إله غيره، ولا أحد يغفر الذنوب غير الله ﷻ، وسجوده لله في جملة: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعٗا ﴾ دليل آخر على وحدانيته ﷻ، وهنا نجد أنَّ السجود قد عبَّرت عنه الآية بالركوع[٣].

وفي قوله ﷻ: ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، بيَّن الحقُّ جلَّ جلاله جزاء المشركين يوم القيامة، وأكَّدت الآية وقوع هذا اليوم، ومحاسبة الضَّالين على ضلالهم، في تناسب واضح مع مقصود السُّورة.

من ذلك نجد أن قصَّة داود عليه السلام جاءت لتتناسب مع مقصود السُّورة الذي ذُكِر سابقًا.

٢- قصَّة سليمان عليه السلام:

ذُكِرَت قصَّة سليمان عليه السلام في مواضع مختلفة، وبجوانب متعددة، ولكل جانب موضعه الخاص به، الذي يتفق وسياق السُّورة، فلما كان سياق السُّورة يتفق مع مقاصدها، جاءت هذه القصَّة في الآيات [٣٠ – ٤٠] من سورة (ص) متناسبة مع هذا المقصد، فابتدأت بوصف سليمان عليه السلام بالأوَّاب في قوله ﷻ: ﴿ ... نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾ ﴾، فـ((الأوَّاب: مبالغة في الآئب، أي: كثير الأَوْب، أي: الرجوع إلى الله))[٤]، فتوبة نبي الله سليمان عليه السلام، ورجوعه إلى ربه يتناسب مع مقصد السُّورة من توحيد الله ﷻ.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٦٩.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٢٧.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٥٤.

وطَلَبُ سليمان عليه السلام من ربه أن يغفر له و((أن يمنحه ملكًا عظيمًا لا يدانيه ملك أحد غيره، ولا يسلب منه ويعطى لسواه))[١]، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ دليل على وحدانيته تعالى، فالله تعالى وحده بيده غفران الذنوب، ووحده الذي بيده أن يهب النعم لمن يشاء، ويمنعها عن من يشاء، وتَوجُّهُ سليمان عليه السلام في القصَّة إلى ربه حين يريد شيئًا يتناسب مع مقصود السُّورة بإثبات تلك الوحدانية.

واختُتمت القصَّة بإثبات وحدانيته تعالى من خلال وصف مظاهر قدرته في تسخير الريح، والشياطين لنبيه سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴾.

٣- قصَّة أيوب عليه السلام:

جاءت هذه القصَّة في موضعين من القرآن الكريم، وذكر اسم أيوب عليه السلام في أربعة مواضع، ففي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾، وفي سورة (ص) يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾.

فالملحوظ أنَّ القصَّة متشابهة في الموضعين، ولكن أتت بألفاظ مختلفة، واشتملت قصَّة أيوب عليه السلام في سورة (ص) على العديد من المعاني التي تتفق مع مقاصد السُّورة، ففي مطلعها ((دعا أيوب ربَّه، وتضرَّع إليه بلسان الاضطرار))[٢]؛ لأنه يعلم أنه تعالى وحده القادر على كشف الضر، ودفع البلاء، بل حتى المشرك حينما تصيبه مصيبة يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى وليس للآلهة التي يعبدها من دونه؛ إذ لا يجرؤ ساعتها لخداع نفسه[٣]، فدعاء أيوب عليه السلام

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٠١.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٣٩٤.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، الخواطر ١٣ / ٧٨٥٦.

لربه يتفق مع مقاصد السُّورة من توحيد الله ﷻ.

وتتجلَّى قدرة الله ﷻ في معجزته بشفاء أيوب عليه السلام من البلاء الذي أصابه، وفي المعجزات التي ظهرت قبل الشفاء؛ إذ أوحى إليه ربه أن يركض في قوله ﷻ: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾، فركض ركضة خفيفة فنبعت عين حتى غمرته، ثم أوحى إليه أن يركض ركضة أخرى، ولما ركض نبعت عين أخرى، فشرب منها، وطهَّر جوفه، وكل قذر كان فيه[١]، فهذه المعجزات، والنعم التي أنعم به الله ﷻ على أيوب عليه السلام دالة على وحدانيته ﷻ.

ويَختم الله ﷻ هذه القصَّة بتعداد النعم الأخرى التي أنعم بها على أيوب عليه السلام، فمن نعمه أنه جمع أهله له بعد تفرقهم، وأكثر من نسلهم، وأصبح عددهم ضعفي ما كانوا عليه قبل مرضه[٢]، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ ... ﴿٤٣﴾ ﴾، ورفع عنه الحرج حينما أقسم على أنه سيضرب زوجته بعد شفائه، فألهمه الله ﷻ الطريقة ليبرَّ بقسمه، فقال ﷻ: ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ... ﴿٤٤﴾ ﴾، والضعث هو: ((أقل من الحزمة، وأكثر من القبضة، من النبات، والعشب من جنس واحد))[٣]، وهذه النعم تستوجب شكر الله ﷻ وتوحيده، وهو ما يتفق مع مقاصد سورة (ص).

٤- قصَّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام:

أشارت الآيات [٤٥ – ٤٨] من سورة (ص) إلى قصَّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام، ولم تفصِّل في قصصهم، فجمعت الآية [٤٥] ذكر أنبياء الله: (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب)، ووصفتهم الآية التالية لها بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾، أي: ((جعلناهم يُكثرون ذكر الدَّار الآخرة، والرُّجوع إلى الله ﷻ))[٤]، ويعني ذلك أنَّ القصَّة تناسبت مع أحد مقاصد السُّورة وهو: بيان وقوع البعث يوم القيامة، ووقوع الجزاء، وذكرت الآية الأخيرة في

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣ / ١٢٣.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٠٨.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٦ / ٢٦٥.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٢٥.

القصَّة أنبياء الله: (إسماعيل، واليسع، وذا الكفل) ولم يُفصَّل في أخبارهم؛ لأنه قد بُينت فيما مضى من القرآن الكريم، وهذا ما أغنى عن إعادتها في هذا الموضع[١].

٥- قصَّة آدم عليه السلام، وتكبُّر إبليس:

وردت هذه القصّـة في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم، وفصَّلت الآيات [٧١ – ٨٥] من سورة (ص) هذه القصَّة، وجاءت مضامينها لتتناسب مع مقصود السُّورة في إثبات وحدانية الله ﷻ، وهذا ما بيَّنته بعض آيات القصَّة؛ إذ قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾، فخَلَقَ الله ﷻ آدم عليه السلام من غير أبٍ أو أمٍ، وبثَّ الروح فيه، وهو دليل على وحدانيته ﷻ، فلا يستطيع أحد خلق شيء من العدم غير الله ﷻ، روى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قوله: ((إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب))[٢]، ويقول ابن عادل في بيان مناسبة اختتام قصص سورة (ص) بقصة آدم عليه السلام: ((وختمه بحكاية بدء آدم؛ لأنه دليل الوحدانية))[٣].

وفي قوله ﷻ: ﴿ ... خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾، إقرار من إبليس باختصاص الله ﷻ وحده بالخلق، فالله ﷻ وحده الذي خلقه، وخلق آدم عليه السلام.

وأشارت القصَّة في بعض آياتها إلى قيام الساعة، وهذا ما يتناسب مع مقاصد السُّورة ببعث الناس يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ ... إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ ... إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾.

ومن مقاصد السُّورة الأخرى بيان جزاء المُكذِّبين، وهذا ما أوردته القصَّة في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، يقول الزمخشري مبينًا معناها: ((لأملأن جهنم من المتبوعين، والتَّابعين أجمعين، لا أترك منهم أحدًا، أو لأملأنَّها من الشياطين، وممن تبعهم

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٢٠.

(٢) سنن أبي داود ٧ / ٧٨، رقم الحديث ٤٦٩٣.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٤.

من جميع الناس))[١].

وخلاصة القول نجد أنَّ القصص الخمس الواردة في سورة (ص) تناسبت مع مقاصد السُّورة، ما يدلُّ على قوة تماسك النَّص القرآني الكريم، كما أنَّ ترتيبها ((بما يحويه من أجواء، وظلال، وإيحاءات ... يشكل نصًّا واضحًا لإعجاز النص القرآني)) [٢].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل ٤ / ١٠٨

(٢) الإعجاز البلاغي في القصَّة القرآنية ١٨٦.

الفصل الثالث

مناسبات اللغة

المبحث الأول
تناسب التَّشكيل الصَّوتي

يُعَدُّ التَّشكيل الصَّوتي نوعًا من أنواع النظم، فهو يتناول الحرف، وصفاته، ومخارجه، ويدرس الآية، وما بها من أصوات، ومقاطع، وحركات، وسكنات، وفواصل، فتظهر نغمة مميزة عند تلاوتها[١]، فضلًا عن أنَّ ((مادة الصَّوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنَّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصَّوت، بما يخرجه فيه مدًّا، أو غُنَّةً، أو لينًا، أو شِدَّةً، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها))[٢].

وجدير بالذِّكر أنَّ أثر مخارج الحروف، وصفاتها أُخذ من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، وليس من كلام العرب وفصاحتهم، فتقودنا طريقة نظم تلك الألفاظ، وتآلف حروفها إلى أنواع من المنطق، وصفات من اللهجات لم تكن موجودة عند العرب، فكان ظهورها لأول مرة على لسان الرسول محمد ﷺ[٣]، وعلاقة ((الصَّوت، والدلالة في اللغة العربية أظهر ممَّا في اللغات الأخرى؛ لأنَّ اللغة نظام من الرموز الصَّوتية التي تقوم على مجموعة من العلاقات، والقواعد، والعناصر المتوافقة فيما بينها))[٤].

وتظهر أهمية الصَّوت في القرآن الكريم عند مراعاة المواقف المصوَّرة، ففي سورة البقرة مثلًا يظهر الاختلاف في التَّشكيل الصَّوتي عند الحديث عن المؤمنين، والحديث عن الكافرين، فعند الحديث عن المؤمنين تجد في فواصل الآيات المدَّات مع الحروف السَّهلة وبها وقع خفيف على الأذن، فتعطي الكلام وقعًا لطيفًا خفيفًا مناسبًا للتأثير العاطفي، وتجد عند

---

(١) ينظر: التَّناسب البياني في القرآن ٢٩٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٤٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١٤٧.

(٤) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٣٥، وينظر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتَّاب ٤٠، ودلالات الظاهرة الصَّوتية في القرآن الكريم ٧٣، والسياق والمعنى ١٤– ١٥.

الحديث عن الكافرين الحروف قويَّة في وقعها، شديدة في تأثيرها، كالميم الساكنة عند الحديث عنهم، واستعمال بعض الألفاظ القوية مثل: (صمٌّ، بكمٌ، رعد، برق)، والحركات المتلاحقة ذات الجرس القوي مثل: (صواعق، ظلمات) التي تقرع الآذان بأصداء المشهد المخيف فتشترك بما أحسَّ به الفكر، ووقع في القلب[١].

ويتميز الصَّوت القرآني بأن به حسًّا ينفرد عن أصوات اللغة العربية، على الرغم من التشابه التركيبي بينه، وبين صوت اللغة، فهذا الصَّوت عند استعماله في القرآن الكريم يُضفى عليه حسًّا مغايرًا[٢]، يقول الرافعي واصفًا استعمال الكلمة في القرآن: ((فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصوات الأحرف، والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقًا في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكِّنةً في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة، والرَّوعة))[٣].

ومن أمثلة ذلك نجد صوت الطاء في كلمة ﴿ يَصْطَرِخُونَ ﴾ في سورة فاطر في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يمتلك حسًّا عاليًا، ففي جرسه الصَّوتي ((غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة؛ كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به، أو يلبيه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون))[٤].

بينما يمتلك حرف (الخاء) السهولة، واليسر في كلمة: ﴿ رُخَآءً ﴾، وذلك في قوله ﷻ امتنانًا على نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦]، مع

---

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية ٢٠٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه ١٥٦.

(٤) التصوير الفني في القرآن ٩٢.

ملاحظة المناسبة لما قبل الحرف، وبعده من حروفٍ، وحركاتٍ، فالصوت هو الذي يرسم الحركة في عملية نطق تحاكي الحدث، فالضَّمة على (الرَّاء) تعني انضمام الشَّفتين على حرفٍ ليس من حروف اللِّين، واستدارة الشَّفتين تتطلَّب جهدًا، وفي هذا قوَّة الرِّيح، وبعدها الانتقال من الضَّمِّ إلى الفتح على حرفٍ حلقيٍّ ليدعو إلى تصوُّر بدء سهولة، وتكثر السُّهولة في مدِّ الألف، فليس هناك انقباض، ولا انكماش، ولكن تدرُّج من الصَّعب إلى السَّهل، ممَّا يمثِّل طواعية الرِّيح للنَّبي بأمر الله ﷻ[١]، فهذا الانسجام للحروف، والحركات أعطى هذه الصورة.

ولو أنعمت النظر في ألفاظ القرآن الكريم ((لرأيت حركاتها الصَّرفية، واللغوية تجري في الوضع، والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيُهيَّأُ بعضها لبعض، ويساند بعضًا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي))[٢].

وقد سلك العلماء في دراسة (التَّشكيل الصَّوتي) عدة طرائق، وستكون دراستي موجهةً للظواهر الصَّوتية، كالفاصلة، والدلالة الصَّوتية المفردة، والمركَّبة، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الفاصلة:

هي الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية، وتأتي متَّصلة بمضمون الآية اتِّصالًا وثيقًا[٣]، وقيل: ((هي الكلمة الأخيرة من الفقرة، أو القرينة، والفقرة، أو القرينة بمعنى واحد، وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة))[٤]، ففي سورة القمر يقول ﷻ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾، نجد الفاصلة في الآية الأولى كلمة ﴿ ٱلۡقَمَرُ ﴾، وفي الثانية كلمة ﴿ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾.

أما القرينة، أو الفقرة فهي: ((الآية كلها، كل آية فقرة، أو قرينة، وهذا من خلال الانسجام الصَّوتي، وسياق قرينتها، وجمال نسقها، وترتيبها، حتى إنَّ القارئ يجدها لحمة

---

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية ٣٢ – ٣٣.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٥٦.

(٣) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٨.

(٤) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٢٤١ – ٢٤٢.

واحدة))[١].

ولدراسة الفاصلة القرآنية عدة جوانب، وسأكتفي بدراسة الجانب الذي يتصل بالبحث وهو التَّناسب اللغوي بين الفاصلة، ومضمون الآية؛ إذ تنقسم الفاصلة من حيث علاقتها بمضمون الآية على عدة أقسام، هي:

١- التَّمكين:

ويقصد به: ((ختم الآية بما يناسب أولها في المعنى، وذلك بأن يمهِّد ما قبل الفاصلة للإتيان بها ممكنة في مكانها مستقرة غير نافرة، ولا قلقة، متعلقًا معناها بالسياق، بحيث لو طرحت الفاصلة لاختل النظم، ونقص المعنى المراد))[٢]، قال السيوطي واصفًا طريقة مجيئه: ((يمهد الناثر للقرينة، أو الشاعر للقافية تمهيدًا تأتي به القافية، أو القرينة، متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة، ولا قلقة، متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلُّقًا تامًّا، بحيث لو طرحت لاختل المعنى، واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمَّله السامع بطبعه))[٣].

ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾، فلو اقتصر الكلام على قوله ﷻ: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ ﴾، لأوهم ذلك ضعفاء النفوس، واعتقدوا أن سبب نكوص الكافرين عن القتال هو الرِّيح الشديدة التي حدثت، ولكن جاءت فاصلة الآية لتخبر عن قوة الله، وعزَّته حتى يُعلِّم المؤمنين ويزيدهم إيمانًا ويقينًا، وأنه الغالب، والرِّيح التي هبت هي نوع من أنواع النصر للمؤمنين، فتارة ينصرهم بالقتال، كيوم بدر، وتارةً بالرِّيح، كيوم الأحزاب، وتارةً بالرُّعب، والخوف، كانتصارهم على بني النضير، وقد ينصر عليهم عدوهم، كيوم أحد؛ ليعلمهم أنَّ النصر من عنده ﷻ، وليس بكثرة عددهم، وعدتهم[٤]، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

---

(١) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٢٤٢.

(٢) معجم علوم القرآن ٢١٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٤٦.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٩.

أ- قوله ﷻ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾، فالله ﷻ يأمر نبيه داود عليه السلام في بداية الآية أن يحكم بين الناس بالحق، ولا يتَّبع الهوى؛ لأنَّ ((متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله ﷻ، فتقريره أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات؛ لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر))[١].

فضلًا عن أن سبب الضلال نسيان الحساب يوم القيامة، لأنَّ المرء لو كان متذكِّرًا يوم الحساب لأعد له الزاد، واستعدَّ له، ولم يستغرق في الملذات الفاسدة[٢]، لذلك جاء ختام الآية بفاصلة ﴿ ٱلۡحِسَابِ ﴾ لتمكين المعنى في صدر الآية.

ب- يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ ﴾؛ إذ صُدِّرت الآية بتذكير سيدنا محمد ﷺ بـ((هؤلاء الرسل الذين صبروا، وصابروا، وأبلوا بلاء حسنًا في أداء رسالة ربهم، وتحملوا سفه قومهم، وجهلهم حتى يهتدوا ويكونوا مثلًا صالحة يتأسى بهم سواهم))[٣]، ويحمل هذا التذكير بهم في طياته المدح، والثناء عليهم، وما زاد هذا الإطراء تمكينًا هو ختام الآية في فاصلتها بلفظ ﴿ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ وهو: ((جمع خَيْر أو خَيِّر بالتثقيل والتخفيف))[٤].

ت- قال ﷻ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ ﴾، فنلحظ أن الآية بدأت بدعاء المشركين ربهم أن يضاعف العذاب لمن قام بإغوائهم، وذلك في جملة ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا ﴾، أي: ((ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النَّار مضاعفًا، أي: ذا ضعف، وذلك أن يزيد على عذابه مثله، فيصير ضعفين، كقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٦ – ٣٨٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٨٦ – ٣٨٧.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥١٠.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٣٥.

مِنَ ٱلۡعَذَابِ... ﴾ [الأحزاب: ٦٨]))[١]، ولو اكتفت الآية بالجملة السَّابقة لتمَّ المعنى؛ إذ معلوم أنَّ عذاب يوم القيامة يكون في النَّار، ولكنها أتت بذكر النَّار في الفاصلة لتمكين المعنى.

ث- قال ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ ﴾؛ إذ بيَّنت الآية الكريمة في صدرها مهمة الرسول ﷺ، وهي إنذار الناس، وتحذيرهم من عاقبة الشرك بالله ﷻ، وقررت وحدانيته ﷻ في جملة ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وناسب ذلك أن يختم ﷻ الآية في فاصلتها بلفظ ﴿ ٱلۡوَٰحِدُ ﴾ لتقرير توحيد الألوهية، وبلفظ ﴿ ٱلۡقَهَّارُ ﴾؛ لأنّ صفة الوحدة ملازمة للقهر، أي: لا يمكن أن يكون الاثنان قاهرين متساويين في القهر، فالواحد هو الذي يقهر جميع الأشياء ولا ينازعه في ذلك أحد، وبالمقابل جاءت الفاصلة بلفظ ﴿ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ لتمكين صفة الواحد[٢].

٢- التَّصدير:

وهو ((أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمى أيضًا رد العجز على الصَّدر))[٣]، قال نور الدين عتر: ((أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول صدر الآية، أو في أثنائه، أو في آخره، كقوله ﷻ: ﴿ ... وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، وقوله: ﴿ ... أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]))[٤].

ومن أمثلة التصدير في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾؛ إذ طلب نبي الله سليمان عليه السلام من ربه في بداية الآية أن يهب له ملكًا عظيمًا لم يُعطَ لأحدٍ قبله[٥]، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ ﴾، فنلحظ أنَّ لفظ الهبة مُتقدِّم في الآية، ثم جاءت ((جملة: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ تعليل لما قبلها مما

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٣٣.

(٢) ينظر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ١٥٠ – ١٥١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٥٤، وينظر: أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن ٩١.

(٤) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٨ – ٧٩.

(٥) ينظر: فتح القدير ٤ / ٤٩٧.

طلبه من مغفرة الله له، وهبة الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده))[١]، لذا جاءت الفاصلة بلفظ الهبة.

٣- التَّوشيح:

ويعني: ((أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية))[٢]، أو أن يرد في الآية معنى يدلنا على الفاصلة بحيث نستطيع توقعها، ومعرفتها قبل قراءتها[٣]، كقوله ﷻ في سورة (يس): ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، فتالي السُّورة إذا كان فَطِنًا سيلحظ أنَّ فاصلة الآيات يأتي فيها النون، وسيهديه صدر الآية الوارد فيه انسلاخ النَّهار من الليل إلى أنَّ الفاصلة ستكون ﴿ مُّظۡلِمُونَ ﴾.

وهناك فرق بين التَّوشيح، والتَّصدير، فالتَّوشيح دلالته معنوية، بينما التَّصدير دلالته لفظية[٤]، وسُمِّي بهذا الاسم ((لأن الكلام لمَّا دَلَّ أوله على آخره نَزَّل المعنى منزلة الوشاح، ونُزِّل أول الكلام، وآخره منزلة العاتق، والكشْح اللذين يجول عليهما الوشاح))[٥]، ومن أمثلة التَّوشيح في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾؛ إذ ابتدأت الآية باستغراب المشركين من دعوة سيدنا محمد ﷺ بترك عبادة الأوثان، وتوحيد الله ﷻ في جملة: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾، فكأنما يقولون له: ((أتجعل مئةَ شاهدٍ شاهدًا واحدًا))[٦]، فناسب هذا التعجب والاستغراب من قبل المُكذِّبين مجيء كلمة: ﴿ عُجَابٌ ﴾ في فاصلة الآية؛ إذ تعني: الشيء الغريب والعجيب[٧].

---

(١) فتح القدير ٤ / ٤٩٧.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٣٩.

(٣) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٩.

(٤) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٣٩.

(٥) المصدر نفسه ١ / ٣٩.

(٦) معاني القرآن، للأخفش ٢ / ٤٩٣.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٩.

ب- وفي الآية [٧] يقول الله ﷻ: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾؛ إذ ابتدأت الآية بتكذيب المشركين الرسول ﷺ، وما يدعو له من توحيد الله ﷻ، وذلك في جملة ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ ﴾، أي: ((إنَّ هذا التوحيد الذي أتى به محمد ﷺ ما سمعناه في دين النصارى، أو يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش التي أدركوا آباءهم عليها))[١]، وجاء ختام الآية بلفظ ﴿ ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ مناسبًا لما كان في بداية الآية من تكذيب المشركين لدعوة التوحيد؛ إذ الاختلاق يعني: الكذب، والافتعال[٢].

ت- قال ﷻ في الآية [٩]: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾؛ إذ بيَّن ﷻ في صدر الآية أنَّ المشركين ليسوا بمالكي رحمة الله ﷻ حتى يهبوها لمن يشاؤون، ويمنعونها عمن يشاؤون، وليس بيدهم هبة النبوة لأشرافهم، وصناديدهم، ومنعها من الرسول محمد ﷺ، وإنما من يملك تلك الرحمة، وخزائنها الله ﷻ، وهو الذي يهب النبوة، ويمنحها لمن يختاره، وليس لأحد من خلقه شأنٌ فيها، لذلك كان ختام الآية بفاصلة ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ مناسبًا لما سبقها[٣].

ث- قال ﷻ: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾؛ إذ جاء لفظ ﴿ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ في الفاصلة مناسبًا لما صُدِّرت به الآية من التَّفصيل في هؤلاء الأحزاب، وهم أقوام: (صالح، ولوط، وشعيب) عليهم السلام[٤].

ج- قال ﷻ: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾؛ إذ اُختُتمت الآية بلفظ ﴿ عِقَابِ ﴾، وناسب ذلك ما بدأت به الآية من ذكر تكذيب الأمم السَّابقة لرسلهم[٥]، فكان جزاؤهم العقاب الذي ورد في فاصلة الآية.

ح- وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾، نلحظ أنَّ في صدر الآية أداة استثناء، وهي: ﴿ إِلَّا ﴾، والمستثنى هو: ﴿ عِبَادَكَ ﴾، ولو اكتفت الآية بذلك لاختلَّ المعنى، ولشمل

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٦٩.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٩ – ٤٨٠.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٨.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٣٨.

استثناء الغواية جميع العباد الكافرين، والمتَّقين، ولكن أتت الفاصلة ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ لتبيِّن لنا أنَّ من أخلصه الله ﷻ لعبادته، وعصمه من إضلال إبليس، ولم يجعل له سبيلًا عليه، فلن يقدر على إغوائه(١).

خ- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾، فذكرت الآية في بدايتها أنَّ الجبال تصلِّي مع داود عليه السلام وقت غروب الشمس، ووقت طلوعها(٢)، لذا فإنَّ ختام الآية في فاصلتها بلفظ ﴿ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ تناسب مع اللفظ الذي سبقه وهو ﴿ بِٱلْعَشِيِّ ﴾؛ فهما لفظان متقابلان.

د- وفي الآية [٢٨] يقول ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾، نلحظ وجود مقابلة بين المؤمنين، والمفسدين في صدر الآية ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، وتوجد في ختام الآية مقابلة أخرى بين المتَّقين، والفجَّار ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾، لذلك كان ختام الآية بلفظ ﴿ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ مناسبًا للفظ السَّابق له ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾؛ لوجود المقابلة بينهما.

٤- الإيغال:

عرفه السيوطي بأنه: ((الإمعان، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها))(٣)، وسُمِّي بهذا الاسم؛ ((لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد، يقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم إذا تمَّ معناه، ثم تعدَّاه بزيادة فيه فقد أوغل))(٤)، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿ ... وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ ... ﴾ [النمل: ٨٠]؛ إذ إنَّ معنى الآية هنا تام، ثم تأتي الفاصلة ﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ فزادت المعنى على الحد الذي بلغته الآية، فأوغلت في التعبير عن تولي المشركين، وإعراضهم، ونجد مثل ذلك في

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٤١.

(٢) ينظر: فتح القدير ٤ / ٤٨٧.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٢٤٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١ / ٩٦.

سورة (ص) في:

أ- قوله ﷻ: ﴿ ... وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾، فذكرت الآية أنَّ داود عليه السلام حينما شعر بعصيان ربه ندم على ذلك ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾؛ إذ سجد ((أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لصلاةٍ مكتوبةٍ يقيمها، أو لحاجةٍ لا بد له منها، أو لطعامٍ يتبلغ به))[١]، ولو اكتفت الآية بهذا القول لكان المعنى تامًّا، ولكنها أوغلت في التعبير عن تلك التوبة بلفظ ﴿ وَأَنَابَ ﴾ في فاصلة الآية، أي: ((رجع وتاب))[٢].

ب- وفي قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ جاءت جملة ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ تامَّة المعنى؛ إذ أقسم إبليس ((بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات لهم، وإدخال الشُبَه عليهم حتى يصيروا غاوين))[٣]، ولو اكتفت الآية بذلك لأدَّت الغرض، ولكنها أوغلت في المعنى وأكَّدته من خلال مجيء لفظ ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ في فاصلتها.

ت- وقوله ﷻ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾، نلحظ في صدر الآية توجيه الله ﷻ نبيه أيوب عليه السلام في الطريقة التي من خلالها سَيَبَرُّ قسمه الذي أقسمه بضرب زوجته عند شفائه، ثم امتدحته الآية في جملة ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾، ولو اكتفت الآية بـ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ لكان المعنى تامًّا وواضحًا، ولكنها أوغلت بتعليل هذا المدح بذكر صفته في الفاصلة، وهو أنه أوَّاب، أي: ((رجاع بكُلِّيَّته إلى الله ﷻ على خلاف ما يدعو إليه طبع البشر))[٤].

---

(١) تفسير القرآن العزيز، للإلبيري ٤ / ٨٧.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٨٤.

(٣) فتح القدير ٤ / ٥١٢.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٩١.

ثانيًا: الدلالة الصَّوتية

لم تَنْأَ الدلالة الصَّوتية عن اللغة، ولا سيَّما علم المناسبة، فهي متَّصلة اتصالًا وثيقًا به، فالألفاظ متكوِّنة من عدة حروف، ولكل حرف من هذه الحروف صوت خاص به يميزه من بقية الحروف[١]، وبالمقابل يشكل لفظةً مستقلَّةً صوتيًّا عن غيرها من الألفاظ، وإن اتفقت في المعنى[٢]، أو تشاكلت أصواتها، فعبَّرت عن معنًى متقاربٍ، إلَّا أنَّ لكلِّ صوتٍ معناه، وهذا ما أشار إليه ابن جني حين قال: ((من ذلك قولهم: (خضِمَ، وقَضِمَ)، فـ(الخَضْمُ) لأكل الرَّطْب، كالبطِّيخ والقثَّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرَّطْب، و(القَضْم) للصَّلب اليابس قَضَمَتِ الدابَّة شعيرها)، ونحو ذلك ... فاختاروا (الخاء)؛ لرخاوتها للرطب، و(القاف)؛ لصلابتها لليابس))[٣].

فليست المناسبة بين الصلابة لليابس، والرخاوة للرَّطب مصادفة، وإنما بسبب الاعتناء بمناسبة حروف العربية لمعانيها، ما شكَّل عنايةً جليَّة لدى أهل اللغة من خلال اهتمامهم بالقيمة التَّعبيرية الصَّوتية، ((إذ لم يُعنهم من كلِّ حرفٍ أنّه صوتٌ، وإنّما عناهم من صوت هذا الحرف أنَّه معبِّرٌ عن غرضٍ، وأنَّ الكلمة العربية مركَّبةٌ من هذه المادَّة الصَّوتية التي يمكن حلُّ أجزائها إلى مجموعةٍ من الأحرف الدوالِّ المعبِّرة، فكلُّ حرفٍ منها يستقلُّ ببيان معنًى خاصٍّ، ما دام يستقلُّ بإحداث صوتٍ معين))[٤].

تظهر القيمة التعبيرية الصَّوتية في الصَّوت الواحد، وفي الصَّوت المركَّب (الثُّنائي أو

---

(١) فرَّق ابن جنِّي بين الصَّوت، والحرف في قوله: ((اعلم أنَّ الصَّوت عرضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلًا متَّصلًا، حتَّى يُعرض له في الحلق، والفم، والشَّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، واستطالته، فيُسمَّى المقطع أينما عُرض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها))، سر صناعة الإعراب ١ / ٦.

(٢) ينظر: الصَّوت اللغوي في القرآن ١٦٤.

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٧ – ١٥٨.

(٤) دراسات في فقه اللغة ١٤٢.

الثُّنائي المزيد، أو الثُّلاثي المزيد، أو الرُّباعي، أو الخماسي)[١]، وبالمقابل يتَّضح أن الدلالة الصَّوتية هي ((التي تُستمدُّ من بعض الأصوات))[٢]، وعليه يمكن دراسة الدلالة الصَّوتية في سورة (ص) من جانبين، هما:

١- دلالة الصَّوت المفرد:

ويُقصد به وجود ((مناسبةٍ بين الصَّوت والمعنى، أي: إنَّ كلَّ صوتٍ من الأصوات الهجائية يناسب حالةً من الحالات لا يكاد يخالفها في شيءٍ))[٣].

فمن دلالة الصَّوت المفرد:

أ- دلالة صوت (الشِّين):

مخرج الشين من ((وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى))[٤]، وهو((صوت رخوٌ مهموسٌ، عند النُّطق به يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة، فلا يحرِّك الوترين الصوتيين))[٥]، ويدلُّ (الشِّين) على ((التفشِّي بغير نظام))[٦]، وينتج التفشِّي الذي دلَّ عليه (الشِّين) عن طريقة أدائه المتمثِّلة بـ((بعثرة النّفس [في] أثناء خروج صوت الحرف يماثل الأحداث التي تتمُّ فيها البعثرة، والانتشار، والتخليط ... أمَّا صوته فهو يوحي بإحساس لمسيٍّ بين الجفاف، والتقبُّض))[٧].

جاءت دلالة (الشين) على التفشِّي مناسبةً في استعمالاته في سورة (ص)، ولا سيَّما مفردة ﴿وَشِقَاقٍ﴾، في قوله ﷻ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾، فالشقاق هنا بمعنى

---

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة ١٤٢.

(٢) دلالة الألفاظ ٤٦.

(٣) الدلالة الصَّوتية في اللغة العربية ١٤٤.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٥) الأصوات اللغوية ٧٧، ويسمَّى رخوًا؛ لأنَّه لا يمنع الصَّوت أن يجري فيه لرخاوته، ويسمَّى مهموسًا؛ لأنه حرف أضعفت الاعتماد في موضعه فجرى النَّفَسُ معه، ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤، ومعجم الصوتيات ٩٧ - ٢١٤.

(٦) الصَّوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ١٧.

(٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١١٥.

الاختلاف[١]، ويكون أيضًا بمعنى: ((الخِلافُ والعَداوَةُ .... ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... ﴾ [النساء: ٣٥]، وقوله ﷻ: ﴿ ... فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ... ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله ﷻ: ﴿ ... وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ [الأنفال: ١٣]، أي: صار في شق غير شق أوليائه))[٢]، قال الأزهري: (((الشِّقَاق): العداوة بين فريقين، والخلاف بين اثنين يسمى ذلك شِقاقًا؛ لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شِقًّا، أي: ناحية غير شِقِّ صاحبه))[٣].

من ذلك نلحظ أنَّ دلالة حرف (الشِّين) على معاني (البعثرة، والانتشار) جاء مناسبًا لاستعماله في لفظ ﴿ وَشِقَاقٍ ﴾، التي تدلُّ، كما أسلفت، على الخلاف ما ينجم عنه العداوة، والفرقة، والشتات.

وناسبت دلالة (الشِّين) من حيث التَّفشِّي لفظ ﴿ شَدِيدٌ ﴾ الوارد في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، و(الشَّديد) مأخوذ من (((الشَّد): العَقدُ القوي ... و(الشِّدَّة) تستعمل في العَقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب))[٤].

ففي هذه الآية يخاطب الله ﷻ نبيه داود عليه السلام، ويأمره أن يحكم بين الناس بالعدل، ويتوعد ﷻ كل من يميل عن الحق الذي شرعه لعباده بالعذاب الشديد يوم القيامة[٥]، وعلى الرغم من مخاطبة الله ﷻ في الآية نبيه داود عليه السلام، إلا أنه أريد منها تفشِّي خبر عقوبة الظالمين للناس جميعًا؛ حتى يمتثلوا لأوامر الله ﷻ، ويحكموا بين الناس بميزان الحق والعدل، وناسب ذلك ما يحمله حرف الشين من دلالة التفشِّي، والشيوع، والانتشار.

ب- دلالة صوت (الصَّاد):

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٣.

(٢) تاج العروس ٢٥ / ٥٢٣ (شقق).

(٣) تهذيب اللغة ٨ / ٢٠٥ (باب القاف والشين).

(٤) المفردات في غريب القرآن ٤٤٧.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٨٩.

مخرج الصاد ((ممَّا بين طرف اللسان، وفويق الثنايا))[١]، أي: إنَّه من الأصوات اللثوية[٢]، ويُعدُّ من الأصوات (المهموسة)[٣]، ففيها ((يضعف الصَّوت بها حين جرى النفس معها، فلم يَقْوَ الصَّوت قوته في الجهورة فصار في الصَّوت بها نوع خفاء؛ إذ كان الهمس من صفات الضعف....، فالهمس الصَّوت الخفي، ومنه قوله ﷻ: ﴿ ... فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨]))[٤]، ويُعدُّ صوت (الصَّاد) من أقوى حروف الصفير الثَّلاثة[٥].

من ذلك نلحظ أنَّ دلالة (الصَّاد) على الصَّفير جاءت مناسبةً لمفردة ﴿ صَيْحَةً ﴾ الواردة في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾، فلو وقفنا على أصلها نجدها مأخوذة من مادة (صَيَحَ)، يقول ابن فارس: ((الصاد، والياء، والحاء أصل صحيح، وهو الصَّوت العالي، منه الصِّيَاحُ، والمفردة منه (صَيْحَة)))[٦]، وقال أبو منصور الأزهري الصِيَاحُ هو: ((صوت كل شيء إذا اشتد))[٧].

ت- دلالة صوت (الكاف):

نجد أن مخرج الكاف ((من أسفل من موضع القاف قليلًا، ومما يليه من الحنك الأعلى))[٨]، وهو من الأصوات الشديدة المهموسة[٩]، وله عدة معانٍ، منها:

- التمكُّن في الشيء[١٠].

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٢) ينظر: علم الأصوات ١٨٤.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ٤٤.

(٤) الروضة الندية شرح متن الجزرية ٢٦.

(٥) ((الصفير: وهو صوتٌ زائدٌ، يشبه صوت الطائر، يخرج من بين الشفتين، ملازمًا لأحرفه، وأحرفه ثلاثة هي: الصَّاد، الزَّاي، السِّين))، ينظر: القبس في علم التجويد ١٦٣.

(٦) مقاييس اللغة ٣ / ٣٢٤ (صيَح).

(٧) تهذيب اللغة ٥ / ١٠٨ (باب الحاء والصاد).

(٨) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٩) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤.

(١٠) ينظر: الدلالة الصَّوتية في اللغة العربية ١٥١.

– الاحتكاك، ولا سيَّما ((إذا لفظ صوته ممطوطًا مخفوتًا به قليلًا، ومضغوطًا عليه بعض الشيء، يحاكي صوت احتكاك الخشب بالخشب))[١].

– الشِّدَّة والفعالية[٢].

وشَكَّلت هذه المعاني مناسبةً واضحةً بينها وبين استعمال حرف (الكاف) في سورة (ص)، ولا سيَّما كلمة ﴿كَفَرُواْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾، وقوله: ﴿... ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾، وكلمة ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿... وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾.

فالكفر هو: ((نقيضُ الإيمان، ويُقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي: عصوا وامتنعوا، والكفر: نقيضُ الشكر، كَفَر النِّعْمةَ، أي: لم يَشْكُرْها))[٣]، قال الفيومي: ((كَفَرَ بالله (يَكْفُرُ) (كُفْرًا) و(كُفْرَانًا)، و(كَفَرَ) النعمة، وبالنعمة أيضا جحدها، و(كَفَرَ) بكذا تبرأ منه، وفي التنزيل ﴿...إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ...﴾ [إبراهيم: ٢٢]، و(كَفَرَ) بالصانع: نفاه))[٤].

ونلحظ، كما أسلفت، أنَّ هناك تناسبًا بين معنى الكفر، ودلالة حرف الكاف، ففي الآية [٢] من سورة (ص) نلحظ امتناع المشركين عن توحيد الله ﷻ، ووصفتهم الآية الكريمة بأنهم في ﴿عِزَّةٍ﴾، أي: حميَّة جاهلية وتكبُّر[٥]، وناسب ذلك دلالة الشِّدة التي يحملها حرف الكاف، وتتناسب مع لفظ (الكفر) الذي يفيد الجحود، ونفي الصَّانع، فرفض المشركون توحيد الله ﷻ، وجحدوا وجوده.

ومثل هذا التَّناسب نجده في الآية [٢٧] من سورة (ص)؛ إذ إنَّها تحمل الشِّدة والغلظة على المشركين، وتجلَّى ذلك تحديدًا في قوله ﷻ: ﴿... فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، فالويل هو:

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٧٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٧٠.

(٣) العين ٥ / ٣٥٦ (كفر).

(٤) المصباح المنير ٢ / ٥٣٥.

(٥) ينظر: روح المعاني ٥ / ٢٢٣.

((واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره))[١].

وناسب معنى الآية ما أفاده حرف الكاف من الشِّدَّة، وما أفاده معنى الكفر، وهو عدم الإيمان، فعلى الرغم من تقديم الآية الأدلَّة للمشركين الدّالة على وجود الله ﷻ من خلق السماوات، والأرض، وما بينهما، إلَّا أنَّهم عصوا الله ﷻ، وامتنعوا من توحيده، ولم يؤمنوا بوجوده ﷻ.

وفي الآية [٤] يصف منكرو وحدانية الله ﷻ الرسول محمدًا ﷺ بالسِّحر والكذب، وتناسب ذلك مع معنى الشِّدة الذي دلَّ عليه حرف الكاف في لفظ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وأكَّد معنى الشِّدَّة في الآية استعمال الله ﷻ لفظ ﴿هَٰذَا﴾؛ إذ ((وضِع فيه الظاهر موضع الضمير؛ غضبًا عليهم وإيذانًا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق))[٢].

ث- دلالة صوت (النُّون):

مخرج النون: ((من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثنايا))[٣]، وهو: صوتٌ مجهور به غُنَّة، ومتوسط الشِّدة[٤]، ويدل على التَّعبير عن البطون في الأشياء، والتعبير عن الصَّميمية[٥].

ويختلف دلالة حرف النون بحسب نطقه، يقول حسن عباس: ((على أنَّ صوت النُّون إذا لُفظ مخفَّفًا مرقَّقًا أوحى بالأناقة والرقَّة والاستكانة، وإذا لُفظ مشدَّدًا بعض الشَّيء أوحى بالانبثاق، والخروج من الأشياء، تعبيرًا عن البطون الصحيحة...، أمَّا إذا لُفظ بشيءٍ من الشِّدَّة والتوتُّر، فلا بُدَّ لمؤحياته الصَّوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية إلى النفاذ القسري، والدخول في الأشياء، وإذا لُفِظ بشيءٍ من الخنخنة (إخراج الصَّوت من الأنف)، أوحى بالنتانة

---

(١) الزهد والرقائق، لابن المبارك ٢ / ٩٥.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢١٤.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣، وينظر: علم الأصوات ١٨٧، والقبس في علم التجويد ١٣٤.

(٤) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٦٠، والدلالة الصَّوتية في اللغة العربية ١٥١.

والخِسَّة))[1].

ومن صور نطق حرف النون مخفَّفًا مرقَّقًا في سورة (ص) نجده في مفردة ﴿ نِعْمَ ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾، فدلَّ صوت النون في هذا الموضع على الرِّقة، والأناقة، والاستكانة، ولفظ (نعم) يدل على المبالغة في المدح[2]، ولا شك أنَّ الألفاظ في المدح تكون جميلةً، أنيقةً، ترتاح لها النفس.

ففي الآية [٣٠] ناسب استعمال لفظ ﴿ نِعْمَ ﴾ الذي يحوي حرف النون بصفاته المذكورة مع مقتضى سياق الآية؛ إذ كان نبي الله سليمان عليه السلام توَّابًا إلى الله ﷻ، رجَّاعًا إلى طاعته، وكان كثير الذكر له[3]، فكان من المناسب استعمال لفظٍ يناسب تلك الأفعال، وتمثَّل ذلك في لفظ ﴿ نِعْمَ ﴾.

ودلَّ اللفظ على رضاه ﷻ على نبيه سليمان عليه السلام، وأُكِّد ذلك الرضا بإجابة دعائه، فحين طلب من ربه أن يهب له ملكًا لم يعطَ لأحد غيره في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾، سخَّر له الرِّيح، والشياطين، فقال ﷻ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾.

وجاء استعمال لفظ ﴿ نِعْمَ ﴾ في الآية [٤٤] مناسبًا لسياقها، فالله ﷻ يمتدح نبيه أيوب عليه السلام، فمن قصته أنَّه وهبه المال، والولد، ثم أهلك ماله، وولده، فلما بلغه ذلك صبر وحمد الله ﷻ، وأحسن ظنه به، فظنَّ بأن ماله، وولده يشغلانه عن عبادة ربه؛ لذلك منعهما عنه، وكان إبليس يحسده على كثرة عبادته، وثناء الملائكة عليه.

ثم ظهر البلاء في جسده، واشتدَّ به غاية الشِّدَّة حتى قرح جميع جسده؛ فابتعد عنه قومه، ولم يقربه أحدٌ غير امرأته التي اعتنت به طيلة مدة بلائه، وصبر على ذلك محتسبًا

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٦١.

(٢) ينظر: اللمع في العربية ١٤٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٩١.

الأجر من الله ﷻ[١]، فكان مناسبًا أن تُستعمل عند الحديث عنه ألفاظٌ جميلةٌ وأنيقةٌ تكافئ صبره على بلائه، ولذلك ورد لفظ ﴿ نِعْمَ ﴾ متَّسقًا مع سياق الآية، ووجود حرف النون في اللفظ أضفى عليه تلك الصفات.

٢- دلالة الصَّوت المركَّب:

ويُقصد بها: ((تآلف صوتٍ مع صوتٍ آخرَ، ودخولها في عددٍ من الكلمات، يكون لها معنًى عام))[٢]، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- دلالة ﴿مَسَّ﴾:

وذلك في مفردة ﴿ مَسَّنِيَ ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

نلحظ أنَّ المقطع الصَّوتي: (مسَّ) يتألف من حرفين، هما:

١- الميم: ويخرج من بين الشفتين[٣]، وهو من الأصوات المجهورة، والمتوسَّطة في الشِّدَّة والرخاوة[٤].

٢- السين: ومخرجه من ((طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا))[٥]، وهو صوت مهموس[٦]، ويعد من حروف الصفير[٧]، أي: ((صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق بحروفه))[٨].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٣ / ٣٩٨.

(٢) الدلالة الصَّوتية في اللغة العربية ١٥٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤.

(٥) معاني القراءات، للأزهري ١ / ١١١.

(٦) ينظر: الروضة الندية شرح متن الجزرية ٢٦.

(٧) ينظر: معجم علوم القرآن ١٧٧.

(٨) المصدر نفسه ١٧٧.

وللميم عدَّة دلالات منها: (الانجماع)[١]، أمَّا السين فيدل على (القرب)[٢]، فشكَّلت دلالات الصوتين مناسبة بينهما، وبين الاستعمال اللغوي لـلفظ (مسَّ) فـ((أصل المسِّ: اللصوق، مسسته بيدي، ثم قيل على وجه التمثيل: مسَّه الضر، وقيل: مسَّته النَّار))[٣]، و(المسُّ): كلُّ ما ينال الإنسان من أذى وضرر[٤].

فبيَّنت الآية الكريمة أنَّ الضرر، والأذى قد مسَّ نبي الله أيوب عليه السلام في سائر جسده، وحتى لو مسَّه الأذى في موضعٍ واحدٍ فإن الألم سينتشر في جميع أنحاء جسمه، وتناسب ذلك مع (الانجماع) الذي أفاده صوت الميم.

فضلًا عن أنَّ الأذى الذي أصاب أيوب عليه السلام كان قريبًا منه، ويراه ويحسُّ به؛ لأنه ملتصق بجسده، وتناسب ذلك مع (القرب) الذي دلَّ عليه صوت السِّين.

وأعطى تضعيف صوت السين أزيزًا خاصًّا، ونغمةً رقيقةً، ودلالةً شديدةً، فجمع بين جرس الصَّوت الهادئ، ووقع الألم الشديد، فاللَّفظ رفيق رقيق، ولكن المعنى شديدٌ غليظٌ.

ب- دلالة ﴿خَرَّ﴾:

وذلك في مفردة ﴿ وَخَرَّ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ ...وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

نلحظ أنَّ المقطع الصَّوتي (خَرَّ) يتألف من حرفين، هما:

١- **الخاء**: ومخرجه من أدنى الحلق[٥]، وهو صوت مهموس[٦]، ورخو[٧]، ويُعدُّ من حروف الاستعلاء[٨]؛ إذ يرتفع اللسان عند النطق به إلى جهة الجانب الأعلى من

---

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ٧٢، والصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ١٧.

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٧ / ٢٥٣.

(٣) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري ٤٣٥.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٩٢.

(٥) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٦) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ٤٤، و الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ٩٨.

(٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٣٣.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٤، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٥٩.

الحنك [١].

٢- **الرَّاء:** ومخرجه ((من مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام))[٢]، وهو صوت مجهور[٣].

وللرَّاء عدَّة دلالات منها ((الرِّقة، والنَّضارة، والليونة))[٤]، ويُسمَّى صوت (التِّكرار)[٥]، فتضفي صفة التِّكرار إليه طابع الحركة، لذا نجد هذا الطَّابع في الكثير من الكلمات التي تحوي هذا الحرف، كـ(الرَّقبة، والرُّكبة، والمرفق) من أعضاء جسم الإنسان، وغيرها من المفردات، كـ(ركَضَ، ورَجَع) ، فنلمس طابع الحركة فيها جميعًا[٦].

وتتناسبت دلالة (الرَّاء) من حيث الرِّقة، والنَّضارة، والليونة مع مشهد ركوع الإنسان لربه، فالمشهدُ جميلٌ تُسرُّ به العين، والإنسان حينما يصلي فإنه يخشع لربِّه، ويركع ويسجد في سكينةٍ، وليونةٍ، وهدوءٍ، واطمئنانٍ، وأنَّ الركوع لله ﷻ يتكرَّر عدة مرات في صلاة الإنسان، ويحرك أعضاء جسمه أثناء ركوعه، وتتاسب ذلك مع دلالة التِّكرار.

أمَّا الخرير فهو: ((صوت الماء، والرِّيح ....، خَرَّ يَخِرُّ ويَخُرُّ خَرِيرًا، وخَرْخَر))[٧]، والخَرُّ هو: ((سقوط يسمع منه خرير صوت، نحو: الريح، والماء مما يسقط من علو، ومنه ﴿...وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا...﴾ [يوسف: ١٠٠]))[٨]، وفي عدة استعمالات جاء دالًا على السقوط، والهوي مصحوبًا بصوت الخرير، واستعمال لفظ (الخَرِّ) في الآية جاء مناسبا لذلك؛ إذ نبَّه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصَّوت؛ إذ إنَّ الركوع في الآية قُصد به

---

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع ٦٦.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤ – ٤٣٥.

(٤) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٨١.

(٥) ينظر: علم الأصوات ٢١٣.

(٦) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ٨٣ – ٨٥.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ٤ / ٥٠٨ (خَرَّ).

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف ١٥٤.

السجود[١]، أي: إنَّه كان من الأعلى للأسفل، وهذا ما ناسب دلالة السقوط الذي أفاده الخَر، والركوع يصاحبه التسبيح، وهذا ما ناسب دلالة حصول الصَّوت.

وهكذا تتَّضح المناسبة بين الأصوات المركبة، ومعاني استعمالها في القرآن الكريم عمومًا، وفي سورة (ص) على وجه الخصوص.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٨٥، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٧، وتفسير الماوردي (النكت والعيون) ٥ / ٨٩.

المبحث الثاني
تناسب البنية الصَّرفية

تُعدُّ البنية الصَّرفية إحدى أساسيات النَّظم، ولا سيَّما نظم القرآن الكريم، فالبنية الصَّرفية ليست منفصلة عن مناسبة نظم القرآن، فهي حاضرة في موضعها الخاص بها، والمناسب لسياق الآيات، ومضامينها، فأحيانًا نجد أنَّ للجملة بنًى مختلفة، فنقول: (موسى نَاصِر)، وأحيانًا نقول: (موسى نَصِير)، وتارة نقول: (موسى يَسْتَسلِم)، وتارة أخرى نقول: (موسى مُسْتَسْلِم)[١]، فهذا هو الإطار الذهني الذي تُشكِّله البِنية للكلمة المفردة[٢]، وهو القالب للكلمة التي نريد استعمالها في السِّياق، ولهذا القالب عدَّة أجزاء، وباجتماعها تتشكل البِنية المستعملة في الكلام.

والبِنية مشتقة من (بَنَيَ) التي تدلُّ على البناء، قال ابن فارس: ((الباء، والنُّون، والياء أصلٌ واحدٌ، وهو: بناء الشَّيء بضمِّ بعضه إلى بعض))[٣].

وذكر التهانوي أنَّ مصطلح (البِنية) يطلق على: ((الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار ترتيب الحروف، وحركاتها وسكناتها... وتسمَّى بالصِّيغة والوزن أيضًا))[٤]، وسُميت بالصِّيغة؛ لأنها تمثِّل ((البِنية بحركاتها التي تحدِّد معناها، وتمكِّن من وزنها بأن تُوضَع في قالبٍ من قوالب الأبنية المقرَّرة في اللغة، فإذا لم يكن ذلك اعتبرت الكلمة بِنية، وليست صيغة، وعلى ذلك تشمل الصِّيغة الأسماء المعربة، والأفعال، إذ إنَّ لكلِّ واحدٍ منهما له أوزانه الخاصَّة به))[٥].

وجدير بالذكر أننا لا نلحظ فرقًا كبيرًا في استعمال البِنية، والصِّيغة في موقعهما الخاص، والمناسب لهما في الجملة، ولذلك أتت دراسة البِنية الصَّرفية موزَّعة على بنيتين،

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٩٧.

(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن ٢٩.

(٣) مقاييس اللغة ١ / ٣٠٢ (بَنَيَ).

(٤) موسوعة كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١ / ٣٤٥، وينظر: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ١٧ – ٢٨.

(٥) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٢٥، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٣٦.

هما:

أولًا: بِنية التَّضعيف، ومنها:

(فَعَّلَ): وهو مزيد بحرف نتيجة تضعيف عين الكلمة، ويأتي متعدِّيا، مثل قولك: (سَجَّلْتُه)، و(سَلَّمتُه)، وقد يأتي لازمًا، نحو قولك: (صَرَّحَ)، و(هَلَّلَ)[١]، وتأتي بنية (فَعَّلَ) بعدة معانٍ[٢]، وسأتحدث عن أشهر معانيها التي وردت في سورة (ص)، وهي:

التَّكثير، والمبالغة:

يُعدُّ الغالب في معانيها[٣]، قال الرَّضي: ((الأغلب في (فَعَّلَ) أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل... تقول: (ذَبَحْتُ الشَّاةَ)، ولا تقول: (ذبَّحْتُهَا)، و(أَغْلَقْتُ البَابَ مَرَّةً)، ولا تقول: (غَلَّقْتُ)؛ لعدم تصوُّر معنى التَّكثير في مثله، بل تقول: (ذبَّحْتُ الغَنَمَ)، و(غَلَّقْتُ الأَبْوابَ)))[٤].

ويأتي التَّكثير في (فَعَّلَ)؛ بسبب تكرير الفعل، وهذا الذي أكسبه هذه الصفة، وأشار ابن جني إلى ذلك في قوله: ((اَعْلَمُ أنَّ (فَعَّلت) أكثر ما يكون لتكرير الفعل، نحو: (قَطَّعْت)، و(كَسَّرْت)، إنَّما تُخبِر أنَّ هذا فعلٌ وقع منك شيئًا بعد شيءٍ على تطاول الزمان))[٥].

ربط ابن جني بين (فَعَّلَ)، وما دلَّت عليه من صفة التَّكثير، ورأى أن العرب جعلوا من تكرار العين دليلًا على تكرار الحدث، فقال: ((ومن ذلك أنَّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل، فقالوا: (كَسَّرَ)، و(قَطَّعَ)، و(فَتَّحَ)، و(غَلَّقَ)، وذلك أنَّهم لمَّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يُقابل به قوَّة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام))[٦].

ويكون التَّكثير في (فَعَّلَ) على ثلاثة مستويات، هي:

---

(١) ينظر: المنصف ٩١، والممتع الكبير في التصريف ١٢٩، والمبدع في التصريف ١١٢.

(٢) ذكر هاشم طه شلاش أنَّ لـ(فَعَّلَ) واحدًا وعشرين معنىً، ينظر: أوزان الفعل ومعانيها ٧٤ – ٨٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٤ / ٦٤، ودقائق التصريف ١٦٠.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١ / ٩٢.

(٥) المنصف ٩١.

(٦) الخصائص ٢ / ١٥٥، وينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ٤٩.

١- التَّكثير في الفعل:

ويكون في الفعل المتعدِّي[١]، وأمثلته في سورة (ص): ﴿ **سَخَّرَ** ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾، فناسب استعمال صيغة ﴿ سَخَّرَ ﴾ الدَّالة على الكثرة حال الجبال التي سخرها الله ﷻ لداود عليه السلام؛ حتى تُكثر معه في تسبيح الله ﷻ، وحمده، فكانت تُسَبِّح خالقها من وقت طلوع الضحى إلى آخر النَّهار[٢].

٢- التَّكثير في الفاعل:

ويكون في الفعل المتعدِّي[٣]، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص): ﴿ **كَذَّبَ** ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾، وفي قوله: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾؛ إذ جاءت صيغة ﴿ كَذَّبَ ﴾ الدَّالة على التَّكثير مناسبة لحال هؤلاء القوم مع أنبيائهم، فعلى الرغم من المعجزات التي أيد الله ﷻ بها أنبياءه والتي تُثبت صدقهم، إلا أنَّ قومهم أعرضوا عنهم، وأمعنوا في تكذيبهم، فجاء لفظ ﴿ كَذَّبَ ﴾ مناسبًا لمبالغتهم في إيذاء أنبيائهم.

وذكرت الآيتان [١٢ – ١٣] من السُّورة كثيرًا من الأقوام المُكذِّبين لرسلهم، كقوم: (نوح، وعاد، وفرعون، وثمود، ولوط، وأصحاب الأيكة)، فهذه الكثرة في الأقوام المذكورين تناسبت مع استعمال صيغة ﴿ كَذَّبَ ﴾ الدَّالة على التَّكثير، فضلًا عن أنَّ لفظ ﴿ قَوْمُ ﴾ في حد ذاته يدل على الكثرة.

٣- التَّكثير في المفعول:

ويكون في المتعدِّي[٤]، نحو: (فَتَّحَ)، ومثاله في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾، فالتَّضعيف في لفظ ﴿ مُّفَتَّحَةً ﴾ يدلُّ على المبالغة، ويفيد التَّكثير، وهذا

---

(١) ينظر: الصيغ الفعلية في القرآن الكريم ٥٨٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٩.

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١ / ٩٣، والصيغ الفعلية في القرآن الكريم ٥٨٨.

(٤) ينظر: المصدران أنفسهما.

يتناسب مع كثرة الأبواب التي في الجنَّة؛ إذ يبلغ عددها ثمانية أبواب[١]، ونلحظ هنا أنَّ ﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ جاءت مرفوعة؛ ((لأنَّ المعنى: مفتَّحَةً لَهم أبْوابها، والعربُ تجعل الألف واللام خَلفًا من الإضافة، فيقولون: مررتُ عَلَى رجلٍ حَسَنَةٍ الْعَيْنُ، قَبِيحٍ الأنفُ، والمعنى: حسنةٍ عَيْنُه قَبِيحٍ أنفُه))[٢].

ثانيًا: بِنية المشتقَّات:

ينقسم الاسم على جامدٍ، ومشتقٍ، فالجامد: هو الذي يدل على حدثٍ، أو معنًى من غير ملاحظة صفة، ولم يؤخذ من غيره[٣]، بمعنى: أنه وُضع على صورته الرَّاهنة، وليس له أصل يمكن الرجوع إليه، أو ينتسب له[٤]، كـ(حجرٍ، وشجرٍ، وأسد).

أمَّا المشتق فهو: ((ما أُخذ من غيره، ودلَّ على ذات، مع ملاحظة صفة))[٥]، ويأتي على عدة أقسام، وسأتناول بعضها على وفق ما يتناسب مع معطيات سورة (ص)، ويتَّفق مع علم المناسبة وذلك على النحو الآتي:

١- اسم الفاعل:

وهو: ((ما يجري على يَفْعَلُ من فَعَلَهُ، كـ(ضَارِب، ومُكْرِم، ومُنْطَلِق، ومُسْتَخْرِج، ومُدَحْرِج)، ويعمل عمل الفعل في التقديم والتأخير، والإظهار والإضمار، كقولك: (زَيْدٌ ضَارِبٌ غُلَامُهُ عَمْرًا)))[٦]، أي: إنَّه يدل ((على الحدث، والحدوث، وفاعله))[٧].

قال فاضل السامرائي: ((ويُقصَد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت، فـ(قَائِمٌ)، مثلًا، اسم فاعل يدلُّ على القِيَامِ، وهو الحدث، وعلى الحدوث، أي: التَّغير، فَالقِيَامُ

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٨٧١.

(٢) معاني القرآن، للفراء ٢ / ٤٠٨.

(٣) ينظر: شذا العرف في فن الصرف ٥٦.

(٤) ينظر: النحو الوافي ٣ / ١٨٢.

(٥) شذا العرف في فن الصرف ٥٦.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب ٢٨٥.

(٧) شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١١.

ليس ملازمًا لصاحبه، ويدلُّ على ذات الفاعل، أي: صاحب القيام))[١].

ويكتسب اسم الفاعل دلالته من دلالة الاسم المقترنة بالثبوت، ودلالة الفعل المقترنة بالحدوث[٢]، فتقول: (كَتَبَ مُحَمَّدٌ)، و(مُحَمَّدٌ كَاتِبٌ)؛ إذ أفاد الفعل الماضي (كَتَبَ) حدوث الكتابة، أمَّا اسم الفاعل (كَاتِبٌ) فإنَّه أفاد ثبوت كتابة محمَّد، أي: إنَّ (كَاتِبٌ) أدوم، وأثبت من (كَتَبَ)[٣].

وورد اسم الفاعل في عدَّة مواضع من سورة (ص) هي:

أ- ﴿ **ٱلْفُجَّارِ** ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فـ﴿ ٱلْفُجَّارِ ﴾: ((جمع: (فَاجِرٍ)، وهو المُنْبَعِثُ في المعاصي، والمحارم))[٤]، وهو: ((اسم فاعل من الثلاثي: (فَجَرَ)، وزنه (فَاعِل)))[٥]، وجاء استعمال اسم الفاعل مناسبًا للسِّياق؛ إذ بيَّنت الآيات السَّابقة الأفعال، والمعاصي، والمحارم التي يرتكبها المشركون، كاتِّهامهم الرسول ﷺ بالسِّحر، والكذب في قوله ﷻ: ﴿ ... وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾، وإنكارهم لوحدانية الله في قوله ﷻ: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾، فعلى الرغم من المعجزات التي أتى بها النبي ﷺ، وأثبتت صدق ما يدعو إليه، إلا أنَّ ذلك لم ينفع مع المشركين، فظلُّوا على عنادهم، وتكبُّرهم ورفضهم دعوته، لذا كان استعمال صيغة اسم الفاعل: ﴿ ٱلْفُجَّارِ ﴾ مناسبًا للمقام، وما كان عليه المشركون من عنادٍ وتكذيب.

ب- ﴿ **ٱلصَّٰفِنَٰتُ** ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾.

فـ﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ﴾: ((جمع: (الصَّافِنَة أو الصَّافِن)، اسم فاعل من الثُّلاثي (صَفَنَ الفَرَسُ)، باب (ضَرَبَ)، إذا أقامت على ثلاث قوائم، وأقامت الرابعة على طرف الحافر، وزنه

---

(١) معاني الأبنية في العربية ٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٩ – ١٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٤٣.

(٤) لسان العرب ٥ / ٤٦ (فَجَرَ).

(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٣٠ / ٢٥١.

(فَاعِل)))[١]، و(((الصُّفون) صفة دالة على فضيلة الفرس))[٢]، وتناسب ذلك مع صيغة اسم الفاعل (الصَّافنة أو الصَّافن)؛ إذ إنَّ من عادة الخيل إقامتها على ثلاث قوائم، وتقيم الرابعة على طرف الحافر، ووُصفت بالصُّفون؛ لما تتصف به من أفعال الفضيلة والكمال[٣]، فهذه الأفعال ملازمة للخيل.

وأفعال الخيل، وصفاتها هي من أخَّرت نبي الله سليمان عليه السلام عن صلاة العصر؛ إذ ((كانت هذه الخيل وردت على سليمان من غنيمة جيش كان له، فتشاغل باعتراضها إلى أن غابت الشمس))[٤]، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في السُّورة نفسها: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ت- ﴿ مُّقۡتَحِمُونَ ﴾: في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ﴾.

فـ﴿ مُّقۡتَحِمُونَ ﴾: ((اسم فاعل من الخماسي (اِقْتَحَمَ) وزنه (مُفْتَعِل)، بضم الميم وكسر العين))[٥]، و(((الاقتحام): الدخول على خطر، أو مشقَّة من غير تثبيت))[٦]، وناسب ذلك سياق الآية الوارد فيها، فالمشركون يدخلون نار جهنم بأنفسهم، ولا يعلمون صنوف العذاب التي فيها، فـ((يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفًا؛ من تلك المقامع))[٧]، ولذلك تناسب استعمال اسم الفاعل ﴿ مُّقۡتَحِمُونَ ﴾ مع سياقها؛ إذ دلَّ على الحدث، والحدوث، والفاعل.

٢- اسم المفعول:

هو: ((الجاري على (يُفْعَلُ) من فِعْلِه، نحو: (مَضْرُوب)؛ لأن أصله: (مُفْعَل، ومُكْرَم، ومُنْطَلَقٌ به، ومُسْتَخْرَجٌ، ومُدَحْرَج)))[٨]، قال ابن الحاجب: ((هو ما اشتُقَّ من فِعْلٍ لمن وقع

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٢٣.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٩٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٩٠.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ – ٣٣١.
(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٣٥.
(٦) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٢ / ٥٣١.
(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٤٥.
(٨) المفصل في صنعة الإعراب ٢٩١.

عليه))[١]، وهو ((صفةٌ تُؤخذ من الفعل المجهول؛ للدلالة على حدَثٍ وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث، والتَّجدُّد))[٢]، وله وزنان قياسيَّان، هما:

الأول: وزنه من الثلاثي:

(مَفْعُول)، نحو: (((مَبْيُوع، ومَقْوُول)، فيُعَلُّ حملًا على فعله، فتُنقَل حركة العين إلى الساكن قبل، فيصير (مقُوْوْل) و(مبُيْوْع) فيجتمع ساكنان: واو (مَفْعُول)، والعينُ، فتُحذَف واو (مَفْعُول)، فيُقال: (مَقُولٌ)، في ذوات الواو، وأمَّا (مَبُيْوْعٌ) فإنه إذا حُذِفت واو مَفعول قلبت الضَّمَّة التي قبل العين كسرةً، لِتَصِحَّ الياء، فتقول: (مَبِيعٌ)))[٣].

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- ﴿ **مَهۡزُومٞ** ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾.

فـ﴿ مَهۡزُومٞ ﴾: ((اسم مفعول من الثلاثي (هُزِمَ)، وزنه مَفْعُول))[٤].

وتناسب استعمال اسم المفعول ﴿ مَهۡزُومٞ ﴾ مع سياق الآية؛ لأنَّ صفة الهزيمة مرتبطة بالمشركين، فهم على الرغم من كثرتهم في العدد، والعتاد، إلّا أنَّهم مهزومون أمام المسلمين، وهذه الهزيمة ليست في معركة واحدة، بل هزائم متجدِّدة عبر العصور، فهُزموا في معركة بدر، والخندق، وحنين، وخيبر، وغيرها من الغزوات، فصفة الهزائم المتكررة للمشركين عبر العصور تناسب مع معنى التجدد الذي أفاده اسم المفعول ﴿ مَهۡزُومٞ ﴾.

ب- ﴿ **مَحۡشُورَةً** ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ ﴾.

فـ﴿ مَحۡشُورَةً ﴾: ((اسم مفعول من الثلاثيّ (حُشِرَ)، مُذكَّره (مَحْشُور)، وزنه مَفْعُول))[٥].

نلحظ في سورة (ص) أنه لما أخبرنا الله ﷻ عن تسخير الجبال لداود عليه السلام، وهي أثقل الأشياء، وأثبتها لتسبح الله ﷻ معه في قوله: ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾،

---

(١) الكافية في علم النحو ٤١.

(٢) جامع الدروس العربية ١ / ١٨٢.

(٣) الممتع الكبير في التصريف ٢٩٦.

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٠٧.

(٥) المصدر نفسه ٢٣ / ١١٣.

أتبعها بذكر تسخير الطير له في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ ﴾، والطير هو أخفُّ الأشياء، وأكثرها انتقالًا، وعبَّر عن هذا التسخير باسم المفعول ﴿ مَحۡشُورَةٗ ﴾ الدَّال على أمرين، هما:

- الاجتماع والثبات[١].
- أنَّ مجموعة الطير ((مجموعة إليه كرهًا من كل جانب دفعة واحدة))[٢].

وتناسب ذلك مع استعمال اسم المفعول في السِّياق، وعُبِّر بالاسم دون الفعل؛ لأنه أَدَلُّ على قدرة الله ﷻ[٣].

الثاني: بِناؤُهُ من غيرِ الثُّلاثي[٤]:

ويكون بناؤه من غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وفتح ما قبل الآخر[٥]، نحو: (مُكْرَم، مُنْطَلَق، مُسْتَعْمَل).

ومن أمثلته في سورة (ص):

أ- **﴿ مُغۡتَسَلُۢ ﴾**، في قوله ﷻ: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾.

فـ﴿ مُغۡتَسَلُۢ ﴾: ((اسم مفعول بمعنى: الماء، من الخماسي (اِغْتُسِلَ)، وزنه مُفْتَعَل، بضمِّ الميم، وفتح العين))[٦]، ومعناه: ((تغتسل منه؛ فيزيل الأعراض الظاهرة))[٧].

من ذلك يتبيَّن تناسب استعمال اسم المفعول ﴿ مُغۡتَسَلُۢ ﴾ مع السياق؛ إذ ذكرتُ سابِقًا أنَّ اسم المفعول يدل على حدث يقع في الموصوف على وجه التَّجدد، وهذا ما نلحظه عند استعمال ماء المُغْتَسَل؛ فذاك الماء متجدد، ومتغير باستمرار، وأنَّ هذا المُغْتَسَل قد اغتسل منه أيوب عليه السلام، أي: وقع عليه الفعل؛ لذلك تناسب مع تسميته باسم المفعول.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٧١.

(٢) المصدر نفسه ٦ / ٣٧١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٦ / ٣٧١.

(٤) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف ١٥٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١٥٧.

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٢٨، وينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٠.

(٧) تفسير الشعراوي، الخواطر ١٠ / ٦٠٠٣.

ب- ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾.

فـ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: ((جمع (المُصْطَفَى)، اسم مفعول من الخماسي (اُصْطُفِيَ)، وزنه مُفْتَعَل بضمِّ الميم وفتح العين))[١].

بيَّن الله ﷻ في هذه الآية، وما سبقها في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ أنَّ أنبياء الله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب هم ((الذين اتخذهم الله صفوة، صفَّاهم من الأدناس كلها، وأخلصهم منها))[٢]، فهم لم يُنَصِّبوا أنفسهم دعاة على الناس، بل الله ﷻ اختارهم أنبياء له؛ ليبلغوا دعوته، ويخرجوا الناس من ظلمات الشرك به إلى نور توحيده، لذا تناسب استعمال اسم المفعول ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ مع سياق الآية، ومعناها.

٣- الصِّفة المشبَّهة:

تعريفها: ((هي التي ليست من الصِّفات الجارية، وإنما هي مشبهة بها في أنها تذكَّر، وتؤنَّث، وتثنَّى، وتجمع، نحو: كَرِيْم، وحَسِن، وصَعْب))[٣]، وتدل على ((معنى ثابت، فإن قُصِدَ الحدوث قيل: هو حَاسِن الآن أو غدًا، وكَارِم، وطَائِل))[٤]، وسُمِّيت بذلك؛ ((لأنَّها تشبه اسم الفاعل في أنَّها تدلُّ كما يدلُّ على حدث، ومن قام به، كما أنَّها مثله تُؤنَّث، وتُثنَّى وتُجَمع جمع مذكرٍ سالمٍ؛ ولذلك حملت عليه في العمل))[٥].

وللصِّفة المشبَّهة عدَّة دلالات، منها:

- ما يدلُّ على الاستمرار، والثبوت، أو قريب من ذلك، مثل: (أَصَم، وعَقِيم، وقَصِير، وكَرِيم، وجَوَاد، وبَلِيغ).

- ما لا يدل على الثبوت، والاستمرار، نحو قولك: (ظَمْآن، ورَيَّان)[٦].

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٣١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٦.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب ٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٩٣.

(٥) معجم الأوزان الصرفية ١٢٥.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربية ٦٧.

ولها عدَّة أوزان منها (فَعِيل)، وهذ الوزن يدلُّ على الثبوت في الصِّفات، نحو: (شَرِيف، وخَفِيف)[١].

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- **﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾** في قوله ﷻ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾.

فـ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ ((صفة مشبَّهة لفعل (عَزَّ) الثلاثي... وزنه فَعِيل))[٢]، وهو ((اسم من أسماء الله الحسنى، ويدل على ثبوت صفة العِزَّة له ﷻ))[٣]، فالصِّفة المشبَّهة ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ جاءت مناسبة في موضعها لما تقدَّمها من السياق؛ إذ أثبتت الآية في قوله ﷻ: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾ عزَّة الله ﷻ، وقدرته على إذلال المُكذِّبين، وقهرهم، وإهلاكهم.

وتناسبت الصِّفة المشبَّهة ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ مع الآية في قوله ﷻ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾؛ إذ جاءت لترد على المشركين بأنَّ العزَّة لله وحده، وليس لأحدٍ غيره، وجاءت لترد على استغرابهم لاختيار سيدنا محمد ﷺ للنبوة، وهو ليس أفضل منهم شرفًا، ونسبًا[٤] حسب زعمهم، فقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾، فبيَّنت الصِّفة المشبَّهة أنَّ الله ﷻ عزيز في سلطانه، يهب لمن يشاء خزائن رحمته التي من بينها النبوة[٥].

ب- **﴿شَدِيدٌ﴾**، في قوله ﷻ: ﴿... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾.

فـ﴿شَدِيدُۢ﴾ ((صفة مشبَّهة من (شَدَّ يَشُدُّ) ... وزنه فَعِيل))[٦]، فالشِّدة على المشركين صفة ثابتة في الله ﷻ، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة دالة عليها، فقال ﷻ:

---

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٣٨٧.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم ١٩ / ١٦٥.

(٣) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ٣ / ٩٩٩.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٥٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢١ / ١٥٦.

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢ / ٣٣٠.

- ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤].
- ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ... ﴾ [المائدة: ٩٨].
- ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ [يونس: ٧٠].
- ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ [ق: ٢٦].

وجاءت الصفة المشبهة ﴿ شَدِيدٌ ﴾ في الآية [٢٦] من سورة (ص) مناسبة لِمَا تقدَّمها من السِّياق؛ إذ ورد في الآيات السَّابقة في السُّورة نفسها موقف المشركين تجاه دعوة سيدنا محمد ﷺ، وموقف الفئة الباغية من الأمم السَّابقة من رسلها، تلك المواقف التي تستوجب الغلظة والشدة من الله ﷻ عليهم، فقال ﷻ مبيِّنًا أعمالهم التي استحقوا من خلالها أن يكون العذاب شديدًا عليهم:

- ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ ﴾.
- ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾.
- ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾.
- ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ ... ﴿٦﴾ ﴾.
- ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾.
- ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا ... ﴿٨﴾ ﴾.
- ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾.

لذلك جاءت الصِّفة المُشَبَّهة ﴿ شَدِيدٌ ﴾ مناسبة للمعاني التي وردت في هذه الآيات.

٤- صيغة المبالغة:

تعريفها: هي ((اسم مشتقٌّ من الفعل الثُّلاثي اللازم، أو المتعدِّي؛ للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى، وتقويته، والمبالغة فيه))[١].

وتفيد المبالغة زيادة المعنى على صيغتها، فكل صيغة في العربية تؤدي معنى مُخْتلفًا

---

(١) معجم الأوزان الصرفية ١٢٨ – ١٢٩.

عن الصيغ الأخرى، فمثلًا (فَعُول) تفيد الكثرة، ولكن الكثرة المستفادة من (فَعَّال) أشَدُّ منها[١]، و((زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى، فصيغتا: (فَعَّال، ومِفْعَال) أبلغ من صيغتي: (فَعُول، وفَعِيل)، وأبلغية هذين الأخيرين على (فَعِل)))[٢].

وقسَّمَ فاضل السامرائي أبنية المبالغة على نوعين، فقال: ((منها ما يختلف عن الآخر لتأدية معنًى جديدٍ، نحو قولهم: (رَجُلٌ ذُعَرة)، أي: ذو عيوب، و(امرأةٌ ذَعُور): تُذعر من الرِّيبة، والكلام القبيح، ونحو: (الضَّحَاك والضُّحَكة)، فـ(الضَّحَّاك) مدح، و(الضُّحَكَة) ذمٌّ ... ومنها ما تدُلُّ صيغته على معنى في المبالغة يختلف عن الصيغة الأخرى، فمعنى (فَعَّال) يختلف عن (فَعُول) في المبالغة، وهما يختلفان عن (مِفْعَال)، وهكذا))[٣].

ومن صيغ المبالغة في سورة (ص):

أ- **(فُعَال)**، ومن أمثلة هذه الصيغة: ﴿ عُجَابٌ ﴾، في قوله ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾، فـ﴿ عُجَابٌ ﴾ ((صيغة مبالغة من الثلاثيِّ (عجب)، وزنه فُعَال، بضمِّ الفاء))[٤]، وهي ((أبلغ من (عَجِيب)؛ لأنك تقول في الرجل الذي فيه طول: (هَذَا رَجُلٌ طَوِيلٌ)، بينما تقول في الرجل الذي تجاوز الحد المعقول في الطول: (هَذَا رَجُلٌ طُوَال)))[٥].

من ذلك نلحظ تناسب اللفظ ﴿ عُجَابٌ ﴾ مع سياق الآية، فقد جاء الله ﷻ به للإشعار بأن المشركين يرون ما جاء به النبي محمد ﷺ قد تجاوز الحدَّ في الغرابة، والعجب، وأنَّ ما يدعوهم إليه مخالفٌ لما ورثوه، وألفوه عن آبائهم، وأجدادهم من عبادة الأوثان، ومرد ذلك كله بسبب عنادهم، وجهلهم، وانطماس بصائرهم[٦].

ونجد في سورتي (ق)، وهود ورود لفظ ﴿ عَجِيبٌ ﴾ بدلًا من ﴿ عُجَابٌ ﴾، فقال ﷻ في سورة

---

(١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢ / ٤٤٨، ومعاني الأبنية في العربية ٩٣.

(٢) المصدران أنفسهما.

(٣) معاني الأبنية في العربية ٩٣ – ٩٤، وينظر: العين ٣ / ٥٨ (ضحك)، والمحكم والمحيط الأعظم ٣ /٣٢ (ضحك)، والمخصص ١ / ٢٢٦.

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٠٣.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لسيد طنطاوي ١٢ / ١٣٣.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١٢ / ١٣٣.

(ق): ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾، وفي سورة هود قال ﷻ: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ ﴾.

فلو دخلنا في تفصيل مناسبة ورود لفظ ﴿ عُجَابٌ ﴾ في سورة (ص)، ولفظ ﴿ عَجِيبٌ ﴾ في سورتي (ق)، وهود نجد أنَّه في سورة (ق) تعجَّب المشركون من مجيء منذرٍ منهم فجاءت بلفظ ﴿ عَجِيبٌ ﴾، وفي آية سورة هود كان الاستغراب والتعجُّب من المرأة التي ولدت، وهي عقيمٌ، وعجوز، وزوجها شيخ كبير، والعقيم أصلًا لا تلِد ولو كان رجُلُها فتى، ففيها من دواعي العجب ما هو أكثر من آية سورة (ق)؛ لذا دخل التَّوكيد بـ(إنَّ واللام) تأكيدا للعجب، وبأنه ناتج عن مُثيرٍ أكثر، فجاءت جملة ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ مناسبة لسياقها.

أما في سورة (ص) وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾ فنجد المشركين عجبوا أن جاءهم منذر منهم أولًا، ثم عجِبوا أن جعل الآلهة إلهًا واحدًا، وهم مشركون عريقون في الشِّرك، فصارت دواعي العجب أكثر من سورة (ق) التي تعجَّبوا فيها من أن جاءهم منذر منهم فقط، والعجب أكثر بعد وصفه بأنه ساحر وكذَّاب، لذا جاءت الآية اللاحقة بها صيغة المبالغة ﴿ عُجَابٌ ﴾ متَّصلة بلام التَّوكيد، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾؛ لتناسب السياق الواردة فيه.

ب- (فَعَّال): وهي ((صيغة مبالغة في الفعل، وصيغ المبالغة لها حالتان، حالة إثبات وحالة نفي، فأنت حين تقول: (فُلَانٌ أَكَّال) أَثْبَتَّ له صفة المبالغة في الأكل، أي: كثرة الأكل، ومن باب أولى صفة الأكل مطلقًا، وما دمت قد أثبت له الصفة الأعلى تكون الصفة الأدنى ثابتة ... أما من ناحية النفي، فإذا قلت: إن فلانًا ليس أَكَّالًا تنفي المبالغة، ولكنها لا تنفي أنه يأكل))[1].

ومن أمثلة هذا الوزن في سورة (ص):

أ- (كَـــذَّاب) فـــي قولـــه ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾، فـ﴿ كَذَّابٌ ﴾ ((صيغة مبالغة من الثلاثي (كَذَبَ)، وزنه فَعَّال بفتح الفاء، وتشديد العين

---

(١) تفسير الشعراوي، الخواطر ٨ / ٤٧٥٠.

المفتوحة))[١]، ودَلَّت الصيغة على المبالغة؛ ((لأن المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن يكثر من مزاولة الشيء، فإن من خاط يومًا لا يقال له: خيَّاط، فالمبالغة هاهنا إما في الكثرة بأن يكون كثير الكذب، وإما في الشدة أي: شديد الكذب، يقول ما لا يقبله العقل))[٢].

وتناسبت هذه الصيغة مع سياق الآية؛ إذ اتَّهم المشركون الرسول محمدًا ﷺ زورًا وبهتانًا بالمبالغة في الكذب، وكان هذا الاتهام لعدَّة أسباب تَخُصُّ المشركين، منها:

– تكبُّرهم وغرورهم؛ إذ منعهم من تصديق ما جاء به الرسول محمد ﷺ، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ ﴾.

– كان ظن المشركين أن يكون الرسول مَلِكًا من السماء[٣]، ولما بُعِث من بني جنسهم ((عدُّوا ذلك أمرًا عجيبًا خارجًا عن احتمال الوقوع، وأنكروه أشد الإنكار؛ لأنهم اعتقدوا وقوعه، وتعجَّبوا منه، وأعجب العجب أن ينكروا أن يكون الرسول من البشر، ولا ينكروا أن يكون الإله المعبود لهم من الحجر))[٤]، قال ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ... ۝٤ ﴾.

– كان المشركون يعبدون عدة آلهة منذ زمن آبائهم، وأجدادهم، فلمَّا دعاهم الرسول ﷺ لعبادة الله وحده أنكروا ذلك، وظنوا لقصور تفكيرهم أنَّ الإله الواحد لا يستطيع أن يلبي جميع حاجاتهم[٥]؛ ولذلك اتَّهموه ﷺ بالكذب، يقول ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ ﴾.

– ومن أسباب تكذيبهم الرسول ﷺ أنَّ المشركين لم يسمعوا، بحسب زعمهم ، بدين الإسلام في المِلَّة الآخرة، أي: في مِلَّة اليهود والنصارى[٦]، يقول ﷻ: ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ ﴾.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٤ / ٢٣٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٢٦٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٨.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٧.

(٥) ينظر: بحر العلوم ٣ / ١٥١.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢.

من ذلك يتَبَيَّن لنا مناسبة استعمال صيغة المبالغة ﴿كَذَّابٌ﴾ لسياق الآية [٤] من سورة (ص)، وفي الوقت نفسه تُنفي الأدِلَّة، والبراهين هذه التُّهمة التي ألصقها المشركون في الرسول ﷺ؛ لأنه ((لم يُجَرَّب عليه الكذب قط حتى سُمي الصَّادق الأمين، وكان صدقه أمرًا مسلمًا به للناس جميعًا، وما كان النبي ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله))[١]، وقد ((حكَّمه أشراف قريش قبل ذلك في وضع الحجر الأسود، وارتضوا حكمه، منذ خمسة عشر عامًا))[٢]، فهذه الدلائل كافية لدحض اتِّهام الرسول ﷺ بالكذب، والمبالغة فيه.

ب- ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾، فـ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ ((صيغة مبالغة من (غَفَرَ)، فإذا أُثبت المبالغة فالترتيب اللغوي بالتالي يُثبت الأقل وهو غَافِر))[٣]، ويعني: ((غَافِر لي، وغَافِر لك، وغَافِر لهذا وهذا ... غَافِر لكلِّ الخَلْق، فتكرَّرت مغفرته ﷻ لِخَلْقه))[٤].

وجاءت صيغة المبالغة ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ مناسبة للموضوعات التي وردت في الآيات السَّابقة في السُّورة، فنجد الآية في قوله ﷻ: ﴿... فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ تتحدث عن استغفار داود عليه السلام لربِّه، ولأنَّ من صفات الله ﷻ غفران الذنوب لعباده، فقد غفر له، فقال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ... ﴿٢٥﴾﴾، وفي الآية [٣٥] يدعو نبي الله سليمان عليه السلام ربه أن يغفر له في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ... ﴾.

ومدح الله ﷻ عباده المستغفرين له، والتَّائبين إليه في عدَّة مواضع من السُّورة، فقال ﷻ: ﴿... وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾، وقال: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾، فالأوَّاب يعني: ((كثير الرجوع إلى الله ﷻ من ذنبه))[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٨١.

(٢) في ظلال القرآن ٢ / ١٠٠٥.

(٣) تفسير الشعراوي، الخواطر ١٥ / ٩٣٥٠.

(٤) المصدر نفسه ١٥ / ٩٣٥١.

(٥) تاج العروس ٢ / ٣٥ (أَوَبَ).

وهكذا نجد أن استعمال صيغة المبالغة ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ جاءت مناسبة للسياق الواردة فيه؛ إذ ذكرت الآيات السَّابقة، كما رأينا، غفران الله ﷻ زلَّات عباده، وجاءت بعدها صيغة المبالغة ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ مبيِّنة صفة الله ﷻ التي سوَّغت ذلك الغفران.

المبحث الثالث

تناسب التَّركيب، والنظم

النَّظم في اللغة هو التَّأليف، قال ابن فارس: ((النون، والظاء، والميم أصل يدل على تأليف شيء))[١]، ويُقال: ((نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْمًا ونِظَامًا، ونَظَّمَه فَانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ، ونَظَمَ الأَمْرَ على المَثَلِ بذلِكَ، وكُلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بآخَرَ، أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بَعْضٍ فقد نَظَمْتَه))[٢].

أما في الاصطلاح فقد عرَّفه الشريف الجرجاني بأنه: ((تأليف الكلمات، والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المتَّرتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل))[٣].

ويكون ترتيب الألفاظ والجمل بحسب ما جاء في علم النحو وأصوله، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: ((واعلم أنْ ليس النَّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها؛ وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه))[٤].

ولا يبلغ حسن التَّأليف غايته إلا إذا تلاءمت معاني المفردات بالمعاني التالية لها، وهذا يستوجب وضع المفردة، أو التَّركيب في الموضع المناسب، وهذا هو أصل النَّظم[٥]، ولا سيَّما النَّظم القرآني والذي يُقصدُ به: ((طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها للدلالة على المعاني بأوضح

---

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٤٤٣ (نَظَمَ)، وينظر: لسان العرب ١٢ / ٥٧٨ (نَظَمَ).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٣١ (نَظَمَ).

(٣) التعريفات ٣١٠.

(٤) دلائل الإعجاز ٨١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨٩.

عبارة في أعذب سياق، وأجمل نظم))[١]، ويقوم على الموسيقى المبيِّنة لروح هذا النَّظم، من خلال المفردات، والمعاني المرتبة ترتيبًا يفوق أي نظم آخر من غير القرآن الكريم[٢]، فالنَّظم القرآني ((يتَّحد في الوضع، ويَدُقُّ فيه الصنع))[٣].

يقول الخطابي في بيان قوام النَّظم: ((إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثَّلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه))[٤]، لذا لا يستطيع العرب محاكاة نظم القرآن الكريم لعدة أسباب، منها:

– عدم قدرتهم على الإحاطة بجميع أسماء اللغة العربية، وألفاظها المكونة لظروف المعاني، والحاملة لها.

– جهلهم في استقصاء جميع المعاني التي تحملها تلك الألفاظ.

– عدم قدرتهم على إدراك جميع وجوه النظم التي تسهم في ائتلاف الألفاظ والتراكيب، وارتباط بعضها ببعض[٥].

وأكد الزمخشري أنَّ نظم القرآن الكريم هو أحد أهم معجزاته، فقال: ((هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسِّر))[٦]؛ لأنه يبيِّنُ معاني المفردات المكوِّنة لهذا النَّظم، ولا سيَّما أن للتناسب بين الآيات أثرًا كبيرًا في نظم التراكيب للجمل، والمفردات، فـ((البحث عن التَّناسب المعنوي بين الآيات، ومراعاة وحدة نسق السُّورة يقودنا إلى بيان سرِّ اختيار مفردات تراكيبها، وأبنيتها، وإلى أوجه التَّناسب في اختيار كلِّ عنصر من تلكم العناصر، وفي وضعه في موضعه المقدَّر له في السياق القريب، والبعيد

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ١٣٣، وينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ٥.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن البياني ٣٥١.

(٣) دلائل الإعجاز ٩٣.

(٤) بيان إعجاز القرآن ٢٧، وينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ١٥، والبرهان في علوم القرآن ٢ / ١٠٢.

(٥) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ١٤٢.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل ٣ / ٦٣.

داخل إطار السُّورة، وهيكلها المترابط الأجزاء، وذلك غاية ما يسعى إليه علم المناسبة))[١]، لذلك نجد أنَّ تراكيب سور القرآن تتجه لخدمة هدف السُّورة ومقاصدها، فضلًا عن أنَّ إظهار التَّناسب في الآيات، وما تحمله من صور فنِّيَّة يُخرج لنا العديد من اللطائف التناسبية الفريدة[٢].

من ذلك ستكون دراسة تناسب التَّركيب والنَّظم على النحو الآتي:

أولًا: تناسب التَّركيب النَّحوي:

للتَّركيب النَّحوي عدَّة صور، منها: التَّقديم والتَّأخير، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، والذِّكر والحذف، وغيرها[٣]، وسأُركِّز على صورتين من هذا التركيب في هذا الجانب؛ لصلتهما بعلم المناسبة، هما:

- تناسب الحذف:

ويُقصد بالحذف: ((إسقاط جزء الكلام، أو كله لدليل، وهو خلاف الأصل، لذا فإنه إذا دار الأمر بين الحذف، وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف، وكثرته كان الحمل على قلَّته أولى))[٤]، قال الجرجاني: ((الحذف إسقاط كلمة؛ للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام، والفائدة منه أنه تذهب فيه النفس كل مذهب))[٥].

وهو فنٌ جميلٌ من فنون القول، ومسلكٌ دقيقٌ في التعبير؛ من أجل تأدية المعاني بشكل أوضح، فالترك فيه أفصح من الذِّكر، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة[٦]، ((وقد أشاد البيانيون كثيرًا بفنِّ الحذف، وأفصحوا عن ملامحه الجماليَّة، فقعَّدوا له القواعد، ووضعوا

---

(١) دلالات التَّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٣٢، وينظر: التَّناسب البياني في القرآن ١٧٢، وسورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٨١.

(٢) ينظر: دلالات التَّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٨٣.

(٤) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٣ / ٨١.

(٥) درج الدرر في تفسير الآيِ والسور ٢ / ٣٥.

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز ١٤٦، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٥.

الشروط، وأظهروا المزايا، وكان لظاهر الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته، ورصد حالاته، وكشف أسراره))[١].

- أنواع الحذف:

اختلفت تقسيمات الحذف عند العلماء النحويين، والبلاغيين[٢]، وسأعتمد في الدراسة أحد هذه التقسيمات؛ لدقَّته وتفصيله على النحو الآتي:

١- حذف الحرف:

يحذف الحرف في التَّعبير القرآني في عدَّة مواضع، ويذكر في مواضع أخرى، أو يستبدل بالحركة للدلالة على الحرف المحذوف لـ((غرضٍ بلاغيٍّ تلحظ فيه غاية الفنِّ والجمال))[٣]، ومناسبة تزيد التعبير رونقًا وجمالًا.

ومن أمثلة هذا الحذف في سورة (ص):

حذف حرف الجر (من):

ورد هذا الحذف في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾؛ إذ حُذف حرف الجر (من) قبل المصدر المؤول بالصَّريح، وجاء هذا الحذف لسببين، هما:

- حذف جائز قياسي عند النحويين[٤]؛ لكثرة استعماله.
- وجود مناسبة لفظية على حذفه، وهي استلزام الفعل: (عَجَبَ) لهذا الحرف، بدليل وجوده معه في قوله ﷻ: ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴾ [النجم: ٥٩].

٢- حذف المفردة:

نلحظ تعدُّد حذف المفردة في سورة (ص) على النحو الآتي:

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٥.

(٢) ينظر أقسام الحذف في: الخصائص ٢ / ٣٦٠ – ٣٦١، والمثل السائر ٢ / ٧٧ – ١٠٤، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٢٤١ – ٢٤٤، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٦٩ – ٧٤.

(٣) التعبير القرآني ٩٣.

(٤) ينظر: المفتاح في الصرف ١٠٠.

أ- حذف اسمين متتاليين:

ونجد مثل هذا الحذف في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ ﴾، فالفواق هو: ((الوقت بين الحلبتين، إذا فتحت يدك، وقبضتها، ثم أرسلتها عند الحلب))[١]، فيكون الكلام على تقدير مضافين: (ما لها من توقُّف مقدار فواق)، فحُذف الاسمان (توقُّف)، و(مِقدار).

أما مناسبة حذف الاسمين فهو الاستعجال في دخول الكافرين نار جهنم، فكأنَّ اختصار الآية جاء لِيُسرِّع في دخول الكافر النَّار؛ إذ لا يترك له الفرصة أبدًا بأن يكون في عداد المؤمنين الناجين من النَّار، فإذا مات ((استحال أن يكون في المؤمنين أبدًا .. وكانت الصيحة عليه بالموت، هي المركب الذي يحمله إلى جهنم في غير مهلٍ))[٢]؛ لذلك نلحظ أن سياق الآية يحمل جانب الاستعجال، والسرعة، فجاء الحذف؛ ليتناسب مع مقتضى هذا الحال.

ب- حذف المسند إليه:

حُذف المسند إليه (هم) في قوله ﷻ: ﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾، فالأصل: ((هم جند))[٣]، ويحذف المسند إليه ((عند ما تتقدَّم أخبار، أو أوصاف لصاحبها، ثم يراد الإخبار عنه بما هو إفصاح عن وصف جامع لما مضى، أو أهم في الغرض مما تقدمه))[٤]، ومن ذلك: يُقال بعد ذكر الشخص: ((فتى يفعل ويفعل، وهو من الاستئناف البياني؛ إذ التقدير: إن أردت أن تعرفه فهو كذا))[٥].

بهذا يتَّضح مناسبة حذف المسند إليه (هم)؛ إذ سبقه الحديث عن صفات الجند وهم مشركو قريش[٦]، فالآيات الأولى من سورة (ص) بيَّنت صفات المشركين، وطبيعتهم فقال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ١٠٠، وينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢ / ٧٠٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١٠٥٩.

(٣) روح المعاني ١٢ / ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير ١٩ / ٦٠.

(٥) المصدر نفسه ٢٥ / ٢٨٣.

(٦) ينظر: تفسير مجاهد ٥٧٢.

كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ... ﴿٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾، وقال ﷻ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴿٨﴾ ﴾، فهذه الآيات بيَّنت أوصاف المشركين وطبيعتهم؛ لذلك حُذف المسند إليه (هم) في الآية اللاحقة لتلك الآيات في قوله ﷻ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾؛ لمناسبة ما تقدم.

ت- حذف أحد معمولي (لات):

وهذا الحذف يوجد في قوله ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾، وقد اُختلف في تقدير الحذف، فالمحذوف عند سيبويه اسم (لات)، والموجود ﴿ حِينَ ﴾ هو خبرها، أي: ليس الحين حين هرب(١).

أما عند الأخفش فإنَّ (لات) ((لا تعمل شيئًا، وأنه إن وجد الاسم بعدها منصوبًا فناصبه فعل مضمر، والتقدير: لات أرى حين مناص، وإن وجد مرفوعًا فهو مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: لات حين مناص كائن لهم))(٢)، أي: إنَّ المحذوف عنده هنا هو الخبر، و﴿ حِينَ ﴾: اسم لات، على اعتبار أنَّ لا نافية للجنس، والتاء ((زائدة كما في (ثمَّت)))(٣)، والمعنى: لا حين مناظر (مخاصم) لهم.

وبصرف النظر عن الخلاف في موضع الحذف، فإن الحذف في الآية وقع لمناسبتين، هما:

- التَّخفيف(٤)، فجملة (لات حين مناص) أكثر خفَّة في نطقها من جملة (لات حين مناص كائن لهم)، أو جملة: (لات الحينُ حينَ مناص).

- الإيجاز(٥)، إذ تمَّ الحذف حتى يختصر الكلام باعتبار أنَّ السياقَ واضحٌ ويدل عليه، فسبق الجملة بيان صريح من الله ﷻ بأنه قد أهلك الأمم السَّابقة المكذبة جميعها، ولم ينجُ أحدٌ منهم حين قال: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾، فالعدالة الإلهية تقتضي بأن لا مناص من هلاك

---

(١) ينظر: الكتاب ١ / ٥٧ – ٦٠.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ٣٢١.

(٣) القاموس المحيط ١٦٠ (فصل الميم).

(٤) ينظر: شرح أبيات سيبويه ٢ / ٣٤٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١ / ٦٨.

جميع المُكذِّبين؛ لذلك لا حاجة من ذكر المحذوف طالما السياق يدل عليه.

ث- حذف الحال:

الأصل في الحال أنه يجوز ذكرها وحذفها؛ لأنها فضلة[١]، وإن حذفت فإنما تحذف لقرينة[٢]، فتحذف ((إذا كان قولًا أغنى عنه المقول نحو: ﴿... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ...﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤]، أي: قائلين ذلك، ومثله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ...﴾ [البقرة: ١٢٧]))[٣]، أي: يرفعان القواعد قائلين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[٤].

ونجد في سورة (ص) هذا النوع من الحذف في قوله ﷻ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾، فحُذفت الحال: (قائلين)، فالأصل: (انطلق الملأ منهم قائلين: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾)، ومناسبة هذا الحذف أنَّ الحال مفهومة من الكلام، ودلَّ عليها المقول، قال عباس حسن: ((يجوز حذف الحال إذا دلَّ عليها دليل، وأكثر حذفها حين يكون لفظها مشتقًا من مادَّة القول، ويكون الدليل عليها بعد الحذف هو: المقول))[٥].

ج- حذف المفعول به:

هناك عدة أنواع لحذف المفعول به، ولكنها في جميع الأحوال لا تخرج عن نوعين: ((أحدهما: أن يحذف لفظًا، ويراد معنى وتقديرًا، والثاني: أن يجعل بعد الحذف نسيًا منسيًّا، كأن فعله من جنس الأفعال غير المتعدية كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل به))[٦].

وفي سورة (ص) نجد مثل هذا الحذف في قوله ﷻ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾؛ إذ حُذف مفعول صيغة المبالغة ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾، والتقدير: ((الوَهَّاب النُّبُوَّةَ وَالْإِسْلَامَ

---

(١) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف ١٠٥.

(٢) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤ / ٥٩.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٨٣٠.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣ / ٦٥.

(٥) النحو الوافي ٢ / ٤٠٨.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب ٧٩.

لمُحَمد))[١].

أما مناسبة الحذف فهو رعاية الفاصلة[٢]، فمعظم فواصل سورة (ص) منتهيه بالألف والباء، فلو لم يحذف المفعول به هنا، وانتهت بكلمات مفعول صيغة المبالغة لاختل النِّظام الصَّوتي للفواصل القرآنية في السُّورة.

يقول الرازي في ضبط حذف المفعول به: ((والضابط: أنه متى كانت العناية متوفرة على مجرد إثبات الفعل لا على أن يعلم المفعول، فالأولى أن يحذف المفعول))[٣]، فالعناية في المثال على صيغة المبالغة: ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾، ولا سيَّما أن سياق الحديث في الآية جاء ردًّا على استغراب المشركين من أن تنزل النبوة على رجل من بينهم حين قالوا: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا...﴿٨﴾ ﴾، أي: ((أأنزل على محمد الذكر من بيننا، فخُص به، وليس بأشرف منا حسبًا))[٤]، وهذا الاستغراب بسبب حسدهم الرسول ﷺ[٥]، فردَّت عليهم الآية [٩] بأن النبوة النبوة ((بيد الله العزيز في ملكه الوهَّاب لمن يشاء)) في قوله ﷻ: ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾، لذا ذكرت صيغة المبالغة العاملة عمل الفعل ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾، وحُذف المفعول به؛ لدلالة ما قبله عليه.

ح- حذف ياء المتكلم:

وحُذفت ياء المتكلم في قوله ﷻ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴿٨﴾ ﴾، وقوله: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾، فالأصل إثبات الياء، أي: يُقال: (عَذَابي)، و(عِقَابي)، أما مناسبة حذفها فهي مجيئها ((رأس آية، والكسرة دالَّة عليها))[٦]، قال أبو عبدالله الأصبهاني إن مناسبة ذلك هو: ((إن سورة (ص) مبنيَّة فواصلها

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٤٣.

(٢) ينظر الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٤٥، وروح المعاني ١٥ / ٣١٧.

(٣) نهاية الإيجاز ٢٤٠، وينظر: المناسبة في القرآن ٣٠٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٥٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢.

(٦) إعراب القرآن، للنحاس ٣ / ٤٥٦.

فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف))[١]، فكانت الآيتان من الآيات مختومة الفاصلة بوصف فرعون بذى الأوتاد[٢]، وتعد هذه الياء من ((الياءات المحذوفات من كتاب الله ﷻ اكتفاء بالكسرة منها على غير معنى نداء))[٣].

٣- حذف الجملة:

تحذف الجملة في الكلام إذا كان هناك ما يدل عليها[٤]، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾، فنلحظ أنه لا يمكن أن نفهم علاقة هذه الآية بما قبلها إلا عن طريق جملة محذوفة تقديرها: (ولما سمعوا تهديد الرسول ﷺ بالصَّيحة التي ما لها من فواق، وتأخيره، قالوا: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾، أو تقدير المحذوف: (ما موقف المشركين لما سمعوا تهديد الرسول ﷺ بالصَّيحة وتأخيرها؟ فالإجابة: قالوا: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ من العذاب).

من ذلك نجد أن مناسبة حذف الجملة دلالة السياق عليها، ومن الأمثلة الأخرى لحذف الجملة في سورة (ص):

أ- حذف جملة جواب القسم:

يحذف جواب القسم ((إذا تقدَّم عليه، أو اكتنفه ما يغني عن الجواب))[٥]، كما في قوله ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾، وتقدير المحذوف: (لأعذِّبنَّهم على كفرهم)[٦]، أما مناسبة الحذف فهو:

- العلم به:

فالآيات اللاحقة للقسم في السُّورة بيَّنت أفعال المشركين التي تستوجب أن يكون في

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١١٠٢.

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ٣٨.

(٤) ينظر: شرح المفصل ١ / ٢٣٤.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٨٤٦.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٤ – ٤٥.

جواب القسم المحذوف بيان لعقابهم، وتعذيبهم في الدنيا والآخرة، وقد بيَّنتُ سابقًا تلك الأفعال الموجبة لعقاب المشركين.

- تجنُّب طول الكلام:

إذ اكتنف السُّورة ما يغني عن ذكر الجواب، وذكره سيؤدي لإطالة غير ضرورية في الكلام، وسيخل بالنظام الصَّوتي للفواصل القرآنية[١].

ب- حذف متعلق الوصف:

نجد مثل هذا الحذف في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾، والتقدير: ((هذا ساحر فيما يظهره مما لا نستطيع له مثلًا، كذَّاب فيما يسنده إلى الله ﷻ من الإرسال، والإنزال))[٢].

أما مناسبة الحذف فلأن السياق دلَّ عليه، فتظهر الآيات السَّابقة مدى حقد المشركين على الرسول محمد ﷺ، فهم في عزَّة، واستكبار عن قبول دعوته، فقال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ ﴾، وتعجَّبوا، على سبيل السُّخرية والاستهزاء، من أن يُبعث رسولٌ من بينهم، وذلك كما أوضحه قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾؛ ولذلك حُذفت جملة متعلق الوصف للفظي: ﴿ سَٰحِرٞ ﴾، و﴿ كَذَّابٌ ﴾.

- تناسب التَّوكيد:

يأتي التَّوكيد بصورٍ مختلفةٍ، وذلك بحسب ما يقتضيه معنى السياق، وهو أسلوب يفيد تمكين المؤكَّد في نفس المتلقي، قال الزمخشري: ((وجدوى التأكيد أنك إذا كرَّرت فقد قرَّرت المؤكَّد، وما علق به في نفس السامع، ومكَّنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، أو توهَّمت غفلة، أو ذهابًا عما أنت بصدده فأزلته))[٣]، وقال العلوي: ((اعلم أنَّ التَّأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره))[٤].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٤ – ٤٥.

(٢) روح المعاني ١٢ / ١٥٩.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب ١٤٦.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢ / ٩٤، وينظر: دراسة المتشابه اللفظي ٢٥٥.

وفي سورة (ص) تنوَّعت صور التَّوكيد بتنوُّع المعاني الدَّالة على انسجام النص القرآني، وتناسق، وترابط بعضه ببعض، فمن تلك الصور:

١- التَّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

الأصل في المعنى الذي تفيده ﴿ إِنَّ ﴾ الإثبات، والتَّأكيد[١]؛ إذ تُؤكِّد مضمون الجملة، فضلًا عن أنها تؤكِّد النسبة بين الجزأين، وتنفي الشك عنهما، وفي ذلك يقول خالد الأزهري: ((وهما، أي (إنَّ، وأنَّ) لتوكيد النسبة بين الجزأين، ونفي الشكِّ عنها، ونفي الإنكار لها بحسب العلم بالنسبة، والتردُّد فيها، والإنكار لها، فإن كان المخاطب عالمًا بالنِّسبة فهما لمجرد توكيد النِّسبة، وإذا كان متردِّدًا فيها فهما لنفي الشكِّ عنها، وإن كان مُنكِرًا لها فهما لنفي الإنكار لها، فالتَّوكيد لنفي الشكِّ عنها مستحسن، ولنفي الإنكار واجب، ولغيرها لا، ولا))[٢]، ولها عدة معانٍ فرعية، مثل: (التَّعليل)، و(الرَّبط بين الجمل)، و(أن تكون بمعنى: نعم)[٣].

وما لحظته في سورة (ص) تكرار التَّوكيد بـ(إنَّ، وأنَّ) في ثلاثين موضعًا، وسأعرض شيئا من ذلك على النحو الآتي:

أ- من تناسب التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾ قوله ﷻ: ﴿ ... إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾، فنجد أنه لما تعجَّب المشركون في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾ من مجيء ((منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء))[٤]، جاءت هذه الآية لتخبرنا عن حال المشركين، وهو إنكارهم لدعوة التوحيد فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ... ۝٥ ﴾، فالهمزة في كلمة ﴿ أَجَعَلَ ﴾ حرف استفهام يفيد الإنكار[٥]، ولا شك أنَّ هذا الإنكار يحمل في طيَّاته الاستغراب من دعوة التوحيد؛ إذ كيف يجعل ((مئة شاهدٍ شاهدًا

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٣٠.

(٢) شرح التصريح على التوضيح ١ / ٢٩٤، وينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١١٥.

(٣) ينظر: معاني الحروف ١٢٨ – ١٣٣، ومعاني النحو ١ / ٤٦٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٨.

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢ / ٢٣٣.

واحدًا))[1]، وأكَّدت الآية هذا الاستغراب بـ﴿ إِنَّ ﴾، ولا سيَّما أن الجرس اللفظي فيها يحمل التَّشديد، والثِّقل بما يناسب خبرها عن تعجُّب المشركين، يقول ابن عاشور: ((فلا جرم أن أعقب إنكار إحالتهم ذلك بإقامة الدليل على ثبوته، والخطاب للمشركين، ولذلك أكد الخبر بحروف التَّوكيد))[2].

ب- من تناسب التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾ قوله ﷻ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾، فجيء في الآيات الثَّلاث بـ﴿ إِنَّ ﴾، متَّصلةً بضمير الشأن (الهاء)؛ لتأكيد الخبر، وزيادة تقرير طاعة أنبياء الله: (داود، وسليمان، وأيوب) عليهم السلام لربهم.

٢- التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾، و(اللام):

ومن صور التَّوكيد دخول (اللام) في خبر ﴿ إِنَّ ﴾، فاللام تؤكِّد الخبر تمامًا كما تؤكد ﴿ إِنَّ ﴾ الجملة، مثل قولك: (إنَّ محمدًا جالسٌ)، و(إنَّ محمدًا لجالس)، فحين دخلت اللام على الخبر (جالس) أكَّدت الجلوس، فضلًا عن تأكيد الجملة بـ(إنَّ)، فيجوز دخول اللام على خبرها؛ لأنَّ (إنَّ) تدخل على الجملة الاسمية لتأكيد المبتدأ، والخبر من دون تغيير المعنى، بخلاف الأحرف الباقية، مثل: (كَأَنَّ)، و(لَيْتَ)، و(لَعَلَّ)، و(لَكِنَّ)، التي تحدث التغيير في المعنى على المبتدأ والخبر حين تدخل عليهما، فكأنَّ دخول اللام على خبر (إنَّ)؛ لغرض الزيادة في التأكيد، فإن لم يؤت بها كان التأكيد كافيًا، إلَّا أنَّ لكل سياقٍ ما يناسبه من درجات التَّوكيد[3].

ومن أمثلة تناسب التَّوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾ و(اللام) في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ في الآيتين [٢٥، ٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾؛ إذ أَكَّدت الآيتان باستعمال

---

(١) معانى القرآن، للأخفش ٢ / ٤٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ١١ / ٨٧.

(٣) ينظر: اللامات، للزجاجي ٧٢ – ٧٦.

حرف التَّوكيد ﴿ إِنَّ ﴾ على حسن المرجع، والمآل يوم القيامة لداود وسليمان عليهما السلام[١]، ومجيء (اللام) في خبر (إِنَّ) زاد هذا التَّوكيد.

ب- قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾؛ إذ أكَّدت الآية بأن أنبياء الله المذكورين في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾، هم ((أهل الصَّفوة اصطفاهم الله ﷻ، واختارهم لنفسه، ولرسالته))[٢]، وزاد تأكيد هذا التَّقرير وجود اللام في خبر (إِنَّ)؛ ما أدى إلى تمكين المعنى وتقويته.

ت- أَكَّدَ الله ﷻ الأخبار بـ﴿ إِنَّ ﴾، و(اللام) الواقعة في خبرها في عدَّة مواضع أخرى من سورة (ص)، منها قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا ... ﴿٥٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٣- التَّوكيد بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم:

يعدُّ القسم نوعًا من أنواع التَّأكيد، فهو حثٌّ على تصديق المتكلِّم، قال سيبويه: ((اعلم أنَّ القَسَمَ توكيدٌ لكلامك))[٣]، ولا تتم فائدته إلا بجواب القسم، الذي يسمى (المقسم عليه)[٤]، ويأتي جواب القسم جملةً اسميةً، أو جملةً فعليةً، فالجملة الاسمية يجاب بها في الإثبات باللام المفتوحة، أو(إِنَّ) و(اللام)، أو(إِنَّ) وحدها، كقولك: (واللهِ لَزَيْدٌ فِي الدَّار)، و(واللهِ إِنَّ زَيْدًا لَفِي الدَّار)، و(واللهِ إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّار)[٥].

وإذا جاء جواب القسم جملة فعلية متصدَّرةً بفعل مضارع مثبتٍ، ويدل على الاستقبال فإنه يلزم اللام، أو اللام ونون التَّوكيد الثَّقيلة، أو الخفيفة إن لم يفصل بينهما، وبين اللام بفاصل، فإذا فُصِل امْتنِعت النون، كقوله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: فتح القدير ٣ / ٩٨.

(٢) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٣٧.

(٣) الكتاب ٣ / ١٠٤.

(٤) ينظر: اللامات، للزجاجي ٨٥.

(٥) ينظر: الأصول في النحو ١ / ١٣٥، ومعاني النحو ٤ / ١٥٠.

تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[1]، قال ابن جني: ((والحروف التي يُجاب بها القسم أربعة وهي: (إنَّ واللام)، وكلاهما للإيجاب، و(ما ولا) وكلاهما للنفي، تقول: (وَاللهِ إِنَّكَ قَائِمٌ)، و(وَاللهِ لَتَقُومَنَّ)، و(وَاللهِ لَقَدْ قَامَ)، و(وَاللهِ لزيدٌ أَفْضَلَ مِنْ عَمْرُو)، وتقول: (وَاللهِ مَا قَامَ)، و(وَاللهِ لا يَقُومُ)، وربَّما حُذفت (لا) وهي مرادة))[2].

وإذا كانت الجملة في جواب القسم مبتدئة بفعل ماضٍ متصرِّف، فالأَوْلى أن يجمع بين (اللام)، و(قَدْ) كما في قوله ﷻ في سورة يوسف: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

أما إذا كان غير متصرِّف، كـ(نِعْمَ)، و(بِئْسَ) فالإجابة تكون باللام وحدها، كقولك: (واللهِ لَنِعْمَ الطَّالِبُ أَنْت)، وفي حالة النفي فيجاب القسم بـ: (ما)، أو (لا)، أو (إِنَّ) في الجمل الاسمية، أو الفعلية، كقوله ﷻ في سورة التوبة: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ...﴿٧٤﴾ ﴾، وقوله ﷻ في سورة النحل: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ...﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وقد يأتي القسم ظاهرًا أو مضمرًا، ففي الظاهر يُصرَّح بالمقسم به[4]، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، أي: يقول إبليس: ((أقسم بعزتك لأغوينَّهم أجمعين، أي: ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم))[5]، ومناسبة وروده ظاهرًا؛ لأنَّ القسم وسيلة لتأكيد الكلام، كما أسلفت، ولا سيَّما إذا أريد به أمر من الأمور، والإصرار عليه، ويعد القسم بالله هو الأصل الذي يُقسم به حتى وإن كان صادرًا من كافر كما هو الحال عند إبليس في هذه الآية، فورود القسم ظاهرًا هنا، وتأكيد إبليس قسمه بغواية بني آدم باللام الواردة في جملة

---

(١) ينظر: الكتاب ٣ / ١٠٤، والمقتضب ٢ / ٣٣٤، وشرح المفصَّل ٥ / ١٤٠، وشرح كافية ابن الحاجب، للرضي ٤ / ٣٠٨، ومعاني النحو ٤ / ١٥٠.

(٢) اللمع في العربية ١٨٦.

(٣) ينظر: معاني النحو ٤ / ١٥١ – ١٥٢.

(٤) ينظر: أساليب القسم في اللغة العربية ٣٦١.

(٥) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢٣٨.

جواب القسم يتناسب مع حقد إبليس وحسده على آدم عليه السلام ((على ما أعطاه الله من الكرامة))[١].

ب- قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، فأصل القسم هنا: ((أقسم بالحقِّ لأملأنَّ، وأقول الحق))[٢]، فنلحظ أنَّ الله ﷻ أقسم بقسمٍ ظاهرٍ، وواضحٍ بإدخال إبليس نار جهنم، وأكَّد قسمه بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم، ومناسبة القسم وتأكيده في هذه الآية هو غضب الله ﷻ من إبليس على تكبُّره، ورفضه الإذعان لأوامره ﷻ، وقد بيَّنت الآيات عصيان إبليس ربه في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، فتناسب قسم الله ﷻ بتوعُّد إبليس بالدخول في نار جهنم، وتأكيد القسم باللام مع فعله؛ إذ الجزاء من جنس العمل.

وإذا كان القسم مضمرًا، أي: لا يوجد به مقسم به[٣]، فيُكتفَى بجملة الجواب عنه، فيكون الجواب دليلًا على القسم، ويأتي على عدة أنواع، منها[٤]:

- إذا دلَّت عليه اللام، والنون:

حينما سُئِل سيبويه عن (لَتَفْعَلُنَّ)، قال: ((إذا جاءت مبتدأةً ليس قبلها ما يحلف به؟ فقال: إنما جاءت على نيَّة اليمين، وإن لم يتكلَّم بالمحلوف به))[٥].

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾، فجاء الختام متناسبًا، مع موضوعات السُّورة ((والقضايا التي تعالجها: وهو الإيقاع المدوي العميق، الموحي بضخامة ما سيكون))[٦]، فلما كان المشركون يمعنون في تكذيب الرسول ﷺ وما جاء به، وإنكار البعث بعد ما رأوا الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، جاءت هذه الآية تؤكِّد وقوع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧ / ٢٣٣٦.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٥١٠.

(٣) ينظر: أساليب القسم في اللغة العربية ٣٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٧١.

(٥) الكتاب ٣ / ١٠٦.

(٦) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٩.

البعث، وأكَّدت ذلك باللام، والنون الثقيلة في لفظ ﴿ وَلَنَعْلَمُنَّ ﴾ ، تناسبًا مع عظم تكذيبهم بيوم القيامة، واسْتُغني عن القسم الظاهر لدلالة اللام والنون عليه.

- إذا دلَّت عليه (اللام) و(قَدْ):

من ذلك قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾؛ إذ تصدَّرت الآية بـ(لام القسم)، و(قَدْ) الدّالة على التأكيد[١]، فأَكَّدَت الآية على الفتنة التي تعرض لها نبي الله سليمان عليه السلام، والتي اختَلَفَ العلماء في طبيعتها[٢]، أما مناسبة حذف القسم فهو دلالة (اللام) و(قد) عليه.

٤- التَّوكيد بـ(الحال – الحال المؤكِّدة):

من ضروب التَّوكيد: التَّوكيد بالحال، أو تسمى الحال المؤكِّدة، وهي: ((ما استُفيد معناها من غيرها بدون ذكرها، بأن يكون ما قبلها دالًّا عليها بالوضع، وإنَّما أفادت مجرد التَّوكيد))[٣]، كقوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ ... فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾، فـ﴿ سَٰجِدِينَ ﴾ حال جاءت لتؤكد الفعل (فَقَعَ)، أي: أَكَّدت عاملها[٤].

٥- التَّوكيد اللفظي:

وهو: ((إعادة اللفظ الأول، أو مرادفه))[٥]، والمراد بـ(مرادفه) هو: تقويته بما شاركه في في المعنى، مثل: (جَاءَ قَدِمَ زَيْد)[٦]، فـ(جَاءَ)، و(قَدِمَ) مترادفان يفيدان الحضور.

والتَّوكيد اللفظي ((أوسع استعمالًا من التَّوكيد المعنوي؛ لأنَّه يكون في الأسماء النكرات، والمعارف، ويكون في الأفعال، والحروف، والجمل، بخلاف التَّوكيد المعنوي فإنَّه يكون في الأسماء المعارف فقط))[٧]، نحو: (ذهَبَ مُحَمَّدٌ مُحَمَّد)، (إنَّ زَيْدًا إنَّ زَيْدًا مُتَفَوق)، (إلى إلى

---

(١) ينظر: جامع الدروس العربية ٣ / ٢٦٤.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٢١.

(٣) شرح الحدود النحوية ١١١، وينظر: المفصَّل في صنعة الإعراب ١ / ٩٢.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ / ٢٧٦.

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥ / ٢٠٦.

(٦) ينظر: معاني النحو ٤ / ١٢٩.

(٧) المصدر نفسه ٤ / ١٣٠، وينظر: شرح المفصل ٢ / ٢٢٢.

الحَجِّ ذَاهِب)، فكل من: (محَمَّد)، و(إنَّ زَيْدًا)، و(إلى) توكيد لفظي؛ لتكراره في الكلام.

قد يَتِمُّ الفصل بين التِّكرار إذا كان المكرَّر مستقلًا، أي: (يجوز الابتداء به مع الوقف عليه)[١]، ومثاله في سورة (ص):

قوله ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾، فتكرار الحرف والفعل ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ﴾ أفاد التَّوكيد على الرغم من فصله بجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، ومناسبة التَّوكيد هو بيان استحالة التَّسوية بين المصلحين، والمفسدين، وبين المتَّقين، والفجَّار، قال السيوطي: (((أم) لم يتقدمها استفهام، وقد استؤنف بأم السؤال على جهة الإنكار، والرد ولا يمكن أن يكون مابعدها موجبًا، فليس مثل ما قبلها (و)))[٢].

٦- التَّوكيد المعنوي:

ويأتي على ضربين:

أحدهما: الذي يكون القصد منه رفع التوهم عن السَّامع بأنَّ المتكلم حذف مضافًا، واستبدله بالمضاف إليه، نحو: (قَتَلَ العَدُوَّ زيدٌ نَفْسُه)، فحين ذكر نفسه علم السامع أن (زيدًا) هو من قام بقتل العدو بيده، ولولا ذلك لأمكن اعتقاد أنه آمر بذلك، ولم يمارس الفعل.

الثاني: أن يقصد به رفع توهم السامع من أن يكون المتكلم قد وضع العام مكان الخاص، نحو قولك: (جَاءَ الطُّلابُ جميعُهم)، لم يرد أن يخص بالمجيء بعضًا دون بعض، ولولا ذكر(جميعهم) لأمكن اعتقاد غير ذلك[٣]، قال ابن يعيش في بيان فائدته: ((والتَّأكيد المعنوي إنَّما هو لتمكين معنى الاسم، وتقرير حقيقته، وتمكين ما لم يثبت في النفس محال))[٤].

ويتم التَّوكيد المعنوي بواسطة تسعة أسماء هي: ((نفسه، وعينه، وكله، وأجمع،

---

(١) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب، للرضي ٢ / ٣٨٠.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥ / ٢٤٣.

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد ٣ / ٢٨٩.

(٤) شرح المفصَّل ٢ / ٢٢٧.

وأجمعون، وجمعاء، وجمع، وكلا، وكلتا))[١]، و(كل)، و(أجمع) يشتركان في العموم، والشُّمول[٢] إلَّا أنَّ هناك فرقًا بينهما وهو: ((أنَّ (أجمع) من لفظ الجماعة، والمجموع والاجتماع، و(كل) للدلالة على كل فرد حتى تستغرق جميع الأفراد، فقولك: (رضُوا بِذَلِكَ أَجْمَعُون) يفيد أنَّ مجموعهم رضي بذلك، وأمَّا قولك: (رضُوا بِذلِكَ كُلُّهُم) فيفيد أنَّ أفرادهم رضوا بذلك ... فـ(أجْمَع) تشير إلى العموم ابتداءً، و(كل) تشير إلى الأفراد حتى تستغرقهم، و(كلُّهُمْ أَجْمَعُون) للجمع بين المعنيين، فتكون زيادة في التَّوكيد))[٣]، وفي الجمع بين (كل)، و(أجمع)، قال الوراق: ((أنَّ (أجْمَعِين) يفيد ما لا يفيده (كُلهم)، وذلك أن قول القائل: (جاءني القوم كلهم)، يفيد مجيئهم، والدليل على أنه لم يبق بعضهم، و(أجْمَعُون) يفيد ما أفاد (كُلهم)، ويزيد اجتماعهم في حال المجيء، فلما اختلف معنى التوكيدين، جاز الجمع بينهما))[٤].

ومن تناسب التَّوكيد بـ: (كُل)، و(أَجْمَع) في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾، فجاءت كلمة ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ متضمِّنة معانيها كافَّة المشار إليها، لتناسب تأكيد سجود الملائكة فردًا فردًا لنبي الله آدم عليه السلام، وزاد من تأكيد خبر السجود هو مجيء ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ بعدها، فلو لم تستأنف الآية بقوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ التي استثنت إبليس من السجود لكان ظاهر الآية اتِّفاق جميع الملائكة على السجود لآدم عليه السلام دون استثناء، ولكن الاستثناء أزال اللبس، وما زاد تأكيد استثناء إبليس من السجود هو مجيء ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ بعد ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ فلو اكتفت الآية بالتأكيد بـ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ لشمل السجود الملائكة فردًا فردًا دون استثناء، ولكن رَدْفها بـ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ فتح المجال للاستثناء؛ لأنها تتكلَّم عن العموم.

ثانيًا: تناسب التَّتميم، والبيان:

---

(١) اللمع في العربية ٨٤، وينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ / ٢٠٦ – ٢٠٩، وجامع الدروس العربية ٣ / ٢٣٢.

(٢) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٢٨.

(٣) معاني النحو ٤ / ١٢٦.

(٤) علل النحو ٢٥٩.

يعد التَّتميم أحد أساليب البلاغة الجميلة في تناسب النَّص القرآني، فنجد بعض الآيات تُتَمِّم ما قبلها، فينزاح عنها اللبس، والغموض[١]، وتشكِّل الآيات القرآنية نصًّا متماسكًا ومتلاحمًا بين أجزائه، وحقَّقت فيه المناسبة أثرًا مهمًّا من خلال ربط المعاني السَّابقة باللاحقة؛ لتؤدي مهمة التَّتميم في ((تحقيق التماسك الدلالي من خلال شمولية المعنى، والإحاطة به من كل جانب، وهنا تبرز العلاقة بينه، وبين علم المناسبة كونه أحد القرائن المعنوية التي تؤذن بالربط واتِّصال الكلام بوجه من وجوه المناسبة بين المتناسبين))[٢].

والتَّتميم لغة:

ما دلَّ على التَّمام، والكمال، قال ابن فارس: ((التاء، والميم أصلٌ واحد منقاس، وهو دليل الكمال، يقال: (تمَّ الشيء) إذا كَمَلَ، و(أَتْمَمْتُهُ أَنَا)))[٣].

وفي الاصطلاح:

هو: ((تقييد الكلام بفضلةٍ لقصد المبالغة، أو للصِّيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقديم الوزن))[٤]، ويختلُّ المعنى في حال طُرحت تلك الفضلة[٥]، فغاية التَّتميم قائمة على جودة الكلام، وحسن اختيار المعاني المناسبة[٦]، قال أبو هلال العسكري: ((وهو أن توفِّي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصِّحَّة، ثم لا تغادر معنى يكون تمامه إلا تُوردُه، أو لفظًا يكون فيه توكيده إلا تذكره))[٧].

وهناك فرق بين التَّتميم، والتَّكميل فـ((التتميم يرد على المعنى الناقص ليُتِمَّه، والتَّكميل يرد على المعنى التَّام فيكمِّل أوصافه))[٨]؛ إذ إنَّ الكمال أمرًا زائدًا على التَّمام، وذكر الكفوي

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢ / ٣٣٤.

(٢) دلالات التَّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٢٠.

(٣) مقاييس اللغة ١ / ٣٣٩ (تمم)، وينظر: مختار الصحاح ٤٦ (تمم).

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣ / ٥٧.

(٥) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥٣.

(٦) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٠.

(٧) الصناعتين ٣٨٩، وينظر: نقد الشعر ٤٩.

(٨) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٢٥٣، وينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٢٨١.

أنَّ: ((الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف، والتَّمام: اسم للجزء الذي يتمُّ به الموصوف))[1].

ومن أمثلة التَّتميم في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾؛ إذ ذكرت هذه الآية مقدمة القصَّة التي يودُّ الله ﷻ قصَّها على رسوله محمد ﷺ، فكانت هذه المقدمة عبارة عن سؤال سأله ﷻ نبيَّه؛ ليلفت انتباهه، وكان لا بد لهذا السؤال من جواب يُتمِّمه، إذ لا يَتِمُّ المعنى من دونه، فجاءت الآية التالية مُتَمِّمة لها في قوله ﷻ: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾، فجاء هذا التَّتميم مناسبًا لدرء الالتباس من التوهم بقصة أخرى غير المذكورة في هذا الموضع، وجاءت الآيتان [٢٣ - ٢٤] مُكَمِّلتين للآية [٢١] وزادتا الأمر إيضاحًا.

ب- قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾، هو تتميم لقوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ... ﴿٧٥﴾ ﴾، فحينما خلق الله ﷻ آدم عليه السلام أمر الملائكة أن تسجد له تكريمًا وتعظيمًا، فسجد الملائكة كلهم عدا إبليس، فسأله الله ﷻ في الآية [٧٥] عن سبب رفض السجود لآدم عليه السلام، فجاءت الآية اللاحقة متمِّمة لها، وموضِّحَة السر في عدم سجود إبليس لآدم عليه السلام وهو تكبُّره، وحسده.

أما مناسبة التَّتميم فهي واضحة؛ إذ السؤال يحتاج إلى جواب حتى يُزال اللبس، والغموض من التفكير في إجابةٍ أخرى، أو الاجتهاد في تأويل السر من وراء عدم سجود إبليس.

ت- ومن التَّتميم مجيء جواب القسم في قوله ﷻ: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ متمِّمًا للقسم في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾؛ إذ إنَّ معنى الآية [٨٤] لا يتم إلا عن طريق الآية اللاحقة المتمِّمة لها.

من ذلك نلحظ أنَّ التَّتميم السَّابق أتى بين الآيات المتوالية، وقد يأتي التَّتميم بين عدة

---

(١) الكليات ٢٩٦.

آيات، يفصل بينها فاصل، ومثال ذلك قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾، فالآية وصفت الله ﷻ بـ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾، و﴿ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾، ففي هذين الوصفين ((تتميم، وتقرير للتوحيد، ووعد للموحدين، ووعيد للمشركين، ودفع لتوهم انحصار وصفه بالقهر))[1]، أي: إنَّ هذه الآية أظهرت قوة الله ﷻ، وجبروته، وقدرته على قهر المشركين حينما وصف نفسه بـ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾، وتناسب ذلك مع أفعال المشركين التي ذكرتها الآيات السَّابقة، كوصفهم الرسول محمدًا ﷺ بالسِّحر، والكذب في قوله ﷻ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾، واستنكارهم دعوته توحيد الله ﷻ، وتكذيبهم بما جاء به في قوله ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾، وتَمَسُّكهم بعبادة الأوثان، وتحريض غيرهم على ذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾.

أما مناسبة التَّتميم فهو التأكيد على قهر المشركين، وتعذيبهم سواء في الدنيا كما بيَّنه قوله ﷻ: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ ﴾، أو في الآخرة كما بيَّنته الآيات في قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾، لذلك وصف الله ﷻ نفسه بـ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الذي لا يقهره، ولا يغلبه شيء.

وصف الله ﷻ نفسه في الآية [٦٦] بـ﴿ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾، وهي صيغة تُعدُّ ((من أَبنية المبالغة))[2]، وفي ذلك تتميم لبعض الآيات السَّابقة التي ذكر فيها الاستغفار كما في قوله ﷻ: ﴿ ... فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ ... ﴿٢٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ ... ﴿٢٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي ... ﴿٣٥﴾ ﴾.

ومناسبة التَّتميم هنا بيان رأفة الله ﷻ بعباده المؤمنين، وغفرانه لذنوبهم، فجاءت صفة ﴿ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ مناسبة لما سبق ذكره من غفران الذنوب، فضلًا عن أنَّ صيغة المبالغة تقوي أفعال

---

(١) التفسير المظهري ٨ / ١٩٠.

(٢) لسان العرب ٥ / ٢٥ (غفر).

الغفران.

مما تقدَّم يتضح أنَّ معنى التَّتميم في القرآن الكريم أكثر اتِّساعًا مما هو في الشعر أو النثر، فقد تأتي آية متممةً لما سبقها من آيات، مع الفصل بينها، وقد نجد التَّتميم بين عدة آيات بحسب ما يتطلبه التعبير القرآني، ويتَّضح بأنَّ التتميم لا يسقط معناه، وحسن بيانه لمجرد إسقاط كلمة[١].

ثالثًا: تناسب الإجمال، والتَّفصيل:

من التَّناسب الجميل في الآيات القرآنية أن تجد الإجمال في مواضع، والتَّفصيل في مواضع أخرى، ما يدل على التَّرابط في سياق الخطاب القرآني ((ليتناسب بذلك مقتضى الحال، فتتشكل تعبيراته بين الإطناب والإيجاز، فلكل منهما مقامات تقتضيه، ومواضع تلائمه))[٢].

فالإجمال لغة: قال ابن دريد: (((أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ إِجْمَالًا)، إذا جمعته عن تفرُّقه، وأكثر ما يستعمل ذلك في الكلام الموجز))[٣].

والتَّفصيل في اللغة: ((التَّبيين))[٤].

وفي الاصطلاح:

الإجمال هو: ((إيراد الكلام على وجهٍ يحتمل أُمورًا متعدِّدة، والتَّفصيل: تعيين تلك المحتملات))[٥].

ويُلحظ على الإجمال، والتَّفصيل في القرآن الكريم، تعلُّقه ببيان الجوانب المتعلقة بالقصص القرآني، وبالآيات التي تتضمَّن أحكامًا شرعية، أو بعض ما يتعلَّق بها[٦]،

---

(١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥٣.

(٢) دلالات التَّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٠٠.

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٤٩١ (جلم).

(٤) شمس العلوم ٨ / ٥١٩٩.

(٥) الكليات ٤٢، والتعريفات ٢٥، وينظر: معجم لغة الفقهاء ٤٤، ودستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) ١ / ٣٣، والتعريفات الفقهية ١٧.

(٦) ينظر: دلالات التَّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٠٤.

أو الوعد، والوعيد، وقد يأتي التَّفصيل بعد الإجمال مباشرةً في الآيات، وقد يكون هناك فاصلٌ بينهما، وذلك بحسب ما تتناوله الآيات؛ ليكون وقعه كبيرًا في النفس، وذا معنًى أجل، وأتم.

ومن أمثلة تناسب الإجمال، والتَّفصيل في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ: ﴿ ... لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ ﴾، ففي هذه الآية تهديد للمشركين، ((أي: سيذوقون عذابي))[1]، فأجملت الآية العذاب، ولم تفصِّل فيه، وجاء تفصيل صنوفه في مواضع أخرى من السُّورة، كقوله ﷻ: ﴿ ...فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ ﴾، وقوله: ﴿ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾، ونلحظ أنَّ الآيتين الأخيرتين هما تفصيل كذلك للآية في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ ﴾.

أما مناسبة التَّفصيل في عذاب المشركين فهي لعدة أمور، منها:

- كف المشركين عن أذى النبي ﷺ، فقد أمعنوا في إيذائه بالقول، والفعل.
- ردعهم عن تحريض الناس على التَّمسُك بعبادة الأوثان.
- ترهيبهم من العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة إن لم يتوبوا إلى الله، ويتركوا عبادة الأوثان، فذكر التَّفصيل في العذاب من شأنه أن يعيدهم لصوابهم، ويؤمنوا بعقيدة التوحيد.

ب- قوله ﷻ: ﴿ ... وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ ﴾؛ إذ أشارت الآية إلى ((حسن مرجع))[2] وثواب المتَّقين، ولم تُفصِّل في ذاك الثواب، وجاء تفصيله في قوله ﷻ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴾.

ومناسبة التَّفصيل هنا هو حث المؤمنين على التَّمسك بدينهم، والصَّبر على أذى المشركين؛ من أجل نيل الثواب الحسن يوم القيامة.

ت- قال ﷻ في بداية قصَّة داود عليه السلام: ﴿ ... وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧ ﴾، فوصفته

---

(١) بحر العلوم ٣ / ١٥٢، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٠ / ٦٢٠٦، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢١٦.

(٢) فتح القدير ٣ / ٩٨، وينظر محاسن التأويل ٨ / ٢٦١، والتفسير الواضح ٣ / ٢٤٢.

بأنه: ﴿ أَوَّابٌ ﴾؛ إذ أجملت الآية هذه الصِّفة، ولم تفصِّل سبب وصفه بذلك، فأتت الآيات اللاحقة تفصّل القصَّة التي حدثت مع داود عليه السلام، والخطأ الذي وقع فيه، فقال ﷻ: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ... ﴾، وبعدها ذكر ﷻ في قوله: ﴿ ... وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾، استغفار نبي الله داود عليه السلام ربه وعودته إليه، وهذا ما فسَّر وصفه بالـ﴿ أَوَّابٌ ﴾ في بداية القصَّة.

أمَّا مناسبة التَّفصيل في سبب استغفار نبي الله داود عليه السلام، فهي لحثِّ النبي محمد ﷺ على مداومة الاستغفار لله ﷻ، وهو استغفار شكر لا عن ذنب فعله؛ إذ روي أن النبي ﷺ صلَّى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا(١).

وما يلحظ في بعض القصص الواردة في سورة (ص) أنها تبدأ التمهيد للقصة بالإجمال، ثمَّ يأتي التَّفصيل، ففي قصَّة أيوب عليه السلام يقول ﷻ في بدايتها: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ... ﴿٤١﴾ ﴾، ثم يفصِّل فيها فيقول: ﴿ ... إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

ويبدأ الله ﷻ قصَّة إبراهيم عليه السلام وذريَّته بقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾، ثم يفصِّل فيها بقوله: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾.

أما مناسبة بدأ القصَّة بالإجمال، ثمَّ التَّفصيل فهي:

---

(١) ورد الحديث في: صحيح مسلم ٤ / ٢١٧١، رقم الحديث (٢٨١٩).

– لفت انتباه النبي ﷺ على أنَّ هناك أمرًا مهمًا سيأتي بعد الكلام المجمل يستدعي الاهتمام به.

– جاء التَّفصيل في القصَّتين تسليةً للنبي ﷺ للصَّبر على ما يلاقيه من الأذى.

رابعًا: تناسب الاستئناف البياني:

يعد الاستئناف البياني أحد أساليب التَّناسب القرآني، الذي يزيده جمالًا بلاغيًّا، ويأتي مثل هذا النوع من التَّناسب بين الآيات، أو في الآية الواحدة من حيث تعدُّد جملها، وتنوُّع تراكيبها [١].

الاستئناف في اللغة:

من (أَنِفَ)، قال ابن فارس: ((الهمزة، والنون، والفاء أصلان منهما يتفرع مسائل الباب كلها: أحدهما أخذ الشيء من أوله، والثاني أَنْفُ كُلِّ ذِي أَنْفٍ، وقياسه التحديد))[٢].

فالأصل الأول:

مثل قولهم: (اسْتَأْنَفْتُ الشَّيْء)، إذا ابتدأته، و(اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ، وائْتَنَفْهُ ائْتِنَافًا)، أخذ أوَّله وابتدأه، و(مؤْتَنَفُ الأَمْرِ): مَا يُبْتَدَأُ فِيْهِ، و(فعَلْتُ الشَّيْءَ آنِفًا)، أي: سابقًا[٣]، ومن ذلك قوله ﷻ في سورة محمد: ﴿... قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ... ﴿١٦﴾﴾.

أمَّا الأصل الثاني فهو:

(الأَنْفُ)، ويجمع على: (أُنُفٌ)، و(أُنُوفٌ)[٤].

ويربط الكفوي بين جانبين يدلان على معنى الاستئناف، هما: الجانب الحسيِّ، والجانب المعنوي في قوله: (((الاستئناف): هو من الأَنْفِ، لأنَّ الجواب ذو شرفٍ وارتفاعٍ، أو هو من (أَنْفِ كلَّ شيء)، وهو: أَوَّله، أو من (أنْفِ البَاب)، وهو: طرفه؛ لأنَّ الجواب كلام مبتدأٌ

---

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٧ – ١٤٠، وسورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٢٥٩.

(٢) مقاييس اللغة ١ / ١٤٦ (أنف).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٤٦ (أنف)، والمحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٤٨٣ (أنف).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة ١ / ١٤٦ (أنف).

مستقل، وطرف سؤال))[١]؛ إذ رُبط الاستئناف بالأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس.

أمَّا في الاصطلاح فالاستئناف البياني هو:

((ما وقع جوابًا لسؤالٍ مقدَّرٍ معنًى، كما قال المتكلِّم: (جاءَنِي القَوم)، فكأنَّ قائلًا قال: (ما فَعَلْتَ بِهِم؟)، فقال المتكلِّم مجيبًا عنه: (أَمَّا زَيْدٌ فَأَكْرَمْتُهُ، وَأَمَّا بِشْرٌ فَأَهَنْتُهُ، وَأَمَّا بَكْرٌ فَقَدْ أَعْرَضْتُ عَنْه)))[٢].

فالاستئناف البياني مبني على اتصال المعنى بين الجملة، والجملة السَّابقة لها؛ إذ لا توجد صلة إعرابية بينهما[٣]، وهذا ميزة في الاستئناف البياني لا تجدها في الاستئناف الابتدائي.

وتكمن أهمية الاستئناف البياني في تنبيه السامع على المعاني المختلفة في الجملة، فلا يحدث عنده الخطأ في الفهم، وبالمقابل يغنيه ذلك عن السؤال[٤].

أقسام الاستئناف البياني:

ينقسم الاستئناف البياني على قسمين رئيسين، هما:

أ- ما يكون فيه إعادة اسم من استؤنف الحديث عنه، كقولك: (أَحْسَنْتُ إلى مُحَمَّدٍ؛ مُحَمَّدٌ حَقِيْقٌ بِالإِحْسَان)، فالجملتان غير مرتبطتين نحويًّا، فلكلِّ جملةٍ موقعها الخاص، وإعرابها اللازم فيها، أمَّا معنويًّا فالجملتان متَّصلتان اتصالًا شبه كامل، وهذا ما يقوم عليه الاستئناف البياني.

ب- ما يُبنى على صفة من استؤنف الحديث عنه بتلك الصفة الصَّالحة لبناء الحديث عليه، كما في قولك: (أَثْنَيْتُ عَلَى الطُّلَّابِ، المُتَمَيِّزِونَ جَدِيْرُونَ بِالثَّنَاءِ)، وهذا النوع من الاستئناف أبلغ عند البلاغيين من نظيره المبنيِّ على ذكر الاسم؛ لاشتماله على السَّبب الموجب للحكم الذي تُفصح به جملة الجواب إفصاحًا فنيًّا خاليًا من المباشرة والتقرير[٥].

---

(١) الكليات ١٠٦.

(٢) التعريفات ١٨، وينظر: مفتاح العلوم ٢٥٩، والكليات ١٠٦.

(٣) ينظر: الاستئناف البياني في القرآن الكريم ١٥.

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٥٩، والاستئناف البياني في القرآن الكريم ١٦.

(٥) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٩ – ١٤٠.

قد يرد الاستئناف البياني في آية واحدة، أو في عدة آيات[١]، ومن أمثلة وروده في آية واحدة في سورة (ص):

– قوله ﷻ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٍ ٥١ ﴾، فجملة: ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٍ ﴾، هي استئناف بياني لجملة ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾، وجاء ذلك لمناسبة بيان حال المتَّقين في الجنَّة[٢]، حتى يتمسَّك المسلم بعقيدته، ودينه رغبةً في مثل هذا الحال، والثواب.

– قوله ﷻ: ﴿ ... فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ ﴾، فجملة ﴿ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ استئناف بياني لجملة ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ ﴾، ومعنى الشَّطط هو: ((مجاوزة الحد وتخطِّي الحق))[٣]، فالجملة المستأنف عليها تحمل في طياتها الأمر والنهي، فهي تأمر بالحكم بالحق، والعدل، وتنهى عن المبالغة فيه حتى لا يتجاوز حده ما يؤدي إلى الظلم، أما جملة الاستئناف فتطلب من داود عليه السلام أن يهدي الأخوين إلى ﴿ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾، أي: ((وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل))[٤]، وفي هذا استئناف لبيان أنَّ الخصم هو أخٌ في الدِّين أو الصحبة[٥]، ومناسبة ذلك هو الاستعطاف؛ لأنَّ الخصمين أخوان، وهذا ما أكَّده قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي... ٢٣ ﴾.

وقد يرد الاستئناف البياني، كما أسلفت، في أكثر من آية، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

– قوله ﷻ: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ ﴾، جاءت هذه الآية استئنافًا بيانيًّا لقوله ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ ﴾؛ لأن العزَّة عن قبول الحق، وشقاق الله ورسوله ﷺ يثير في خاطر السامع السؤال عن جزاء من وقع في ذلك، فجاءت الآية [٣] بيانًا لذلك الجزاء، وكان هذا البيان مرفقًا بحجة القياس، والتَّمثيل؛ لأن قوله ﷻ: ﴿ مِن قَبۡلِهِم ﴾ يدل على

---

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٤٠.

(٢) ينظر: التفسير المظهري ٨ / ١٨٦.

(٣) روح البيان ٨ / ١٦.

(٤) المصدر نفسه ٨ / ١٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨ / ١٦.

أنّ السابقين كانوا مثلهم في العزَّة عن قبول الحق، وشقاق الله، ورسوله[١].

ومناسبة هذا الاستئناف هو تحذير مشركي قريش من نزول العذاب عليهم كما نزل على القرون الماضية، وأنَّهم سيجازون على عزَّتهم، وشقاقهم بالهلاك كما أُهلكَت أمم كثيرة من قبلهم، فعليهم الحذر من أن يحق عليهم عذاب الله ﷻ، وعليهم الرجوع لصوابهم، والإيمان بما جاء به محمد ﷺ[٢].

– جاءت الآيات في قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ استئنافًا بيانيًّا لقوله ﷻ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾؛ إذ جاء هذا الاستئناف لغرض التَّعريض بوعيد المُكذِّبين من قريش، وتهديدهم بأنَّ مصيرهم سيكون كمصير أقوام نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وغيرهم ممن حلَّ بهم عذاب الله ﷻ، فأتى هذا الاستئناف للتَّعريض على طريقة قياس المساواة، و((جيء به تهديدًا لما يعقبه، أي: ما كل حزب، وجماعة من أولئك الأحزاب إلا كذَّب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع))[٣]، ومناسبته تسلية النبي محمد ﷺ، ومواساته على ما أصابه من أذى المشركين، ووعد له بالنَّصر عليهم[٤].

– من أمثلة الاستئناف البياني أيضًا قوله ﷻ: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، وهو استئناف لقوله ﷻ: ﴿ ... وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾، فبعد أن أمعن ﷻ في تهديد المشركين؛ نتيجة إعراضهم عن دعوة التوحيد، وبعد أن قدَّم إليهم الأدلَّة على صدق ما يدعوهم إليه الرسول محمد ﷺ، أعرض الله ﷻ عن خطابهم، ووجه خطابه لرسوله ﷺ من خلال الثناء على الكتاب المنزل عليه، وكان هذا القرآن قد أقام عليهم الحجَّة ببطلان اعتقادهم، وأنه إن حرم المشركون أنفسهم من الانتفاع بما جاء به فقد انتفع به المؤمنون، وهذا الاستئناف مناسبته إعادة التنويه بشأن القرآن الكريم؛ حتى يُتمسك بتعاليمه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٣ / ٢٠٦.

(٣) روح البيان ٨ / ٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٢٠.

المبحث الرابع
تناسب المفردة اللغوية

للمفردة القرآنية وضعها الخاص الذي يتناسب مع ما قبلها، وبعدها من المفردات؛ إذ لا يمكن أن نضع مفردة مكان أخرى، حتى لو قاربتها في المعنى؛ لأنَّ ((القرآن شديد الدِّقَّة فيما يختار من لفظٍ يؤدي به المعنى))[١]، فكلُّ مفردةٍ قرآنية تدلُّ على خصوصية الانسجام، والإيحاء في التَّركيب[٢]، وذلك يشكِّل عمود البلاغة، ولا سيَّما البلاغة القرآنية التي تتضمَّنُ ((وضع كل نوعٍ من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص .. الذي إذا أُبدِل مكانه غيرُه جاء منه: إمَّا تبَدُّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرَّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظًا متقاربةً في المعنى يَحسب أكثر النَّاس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبُخل والشُّح))[٣]، وهذا ما يميِّز لغة النصِّ القرآني من غيرها؛ ((لأنَّها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فترفَّ به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدَّلالة اللغوية أو البيانيَّة التي هي طبيعيَّة فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكوِّن بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة))[٤].

وتميزت مفردات القرآن بعدة ميزات جعلتها في إطار الإعجاز البياني، وأهم هذه الميزات هي:

- جمال وقع الكلمة في السَّمع.
- اتِّساقها التَّام مع المعنى.
- اتِّساع الدِّلالة، بما لا يتَّسع لدلالات المفردات الأخرى[٥].

ويلحظ في مفردات النظم القرآني ((أنَّك ترى لفظتين تدُلَّان على معنى واحدٍ، وكلاهما

---

(١) من بلاغة القرآن ٥٢.

(٢) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ١٣٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن ٢٩.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٥٦.

(٥) ينظر: من وحي القرآن ٩٧ – ٩٨.

حسن في الاستعمال، وهما على وزنٍ واحدٍ وعدةٍ واحدةٍ، إلَّا أنَّه لا يحسن استعمال هذه في كلِّ موضعٍ تستعمل فيه هذه، بل يفرَّق بينهما في مواضع السَّبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه، وجلَّ نظره))[١]، وهذا ما لمسته في سورة (ص) من دقَّةٍ في اختيار المفردات والتراكيب، وسأوضح ذلك من خلال بعض الأمثلة على النحو الآتي[٢]:

١- ﴿عِزَّةٍ﴾:

قال ﷻ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾.

جاء التّعبير القرآني باستعمال مفردة ﴿عِزَّةٍ﴾ مناسبة للسياق الواردة فيه؛ إذ لو استبدلت بكلمة أخرى لما تحقق المعنى المُراد، ولم تبرز حينئذٍ المناسبة اللغوية المنشودة، فأصل العِزَّة هو: (((عَزَّ): العين، والزاء أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على شِدَّةٍ وقوَّة))[٣]، قال ابن دريد: إنها تعني ((الصَّلابة والشدَّة))[٤]، ويستعار أحيانا للتعبير عن الحميَّة، والأنفة المذمومة بقول: أخذته العزة بالإثم[٥].

تتناسب هذه المعاني مع حال المشركين، إذ أوضحت الآيات اللاحقة مدى صلابتهم، وقوتهم في الوقوف ضد الحق، واستماتوا في الدِّفاع عن عقيدتهم الباطلة، واتهموا الرسول ﷺ بأبشع التهم، ﴿... وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾، وسخروا من دعوته لتوحيد الله ﷻ، ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾، وقالوا أيضًا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا... ۝٨﴾، وحرَّضوا غيرهم على التمسك بدين الجاهلية، ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ...۝٦﴾، كل هذه الأفعال تناسبت مع استعمال مفردة ﴿عِزَّةٍ﴾ في سياق الآية.

٢- ﴿فَفَزِعَ﴾:

---

(١) المثل السائر ١ / ١٦٤.

(٢) وردت مجموعة من المفردات القرآنية التي تتصل بالمناسبة، وسأذكر قسمًا منها في هذا المبحث على أن أتكلم عن المفردات الأخرى في تناسب المتشابه اللفظي.

(٣) مقاييس اللغة ٤ / ٣٨ (عز).

(٤) الاشتقاق ٤٧.

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٢٤١.

قال ﷻ: ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فالفزع أصله: ((فَزِعَ يَفْزَعُ فَزَعًا، إذا ذُعِر، وأفزَعْتُه أنا))[١]، قال الأزهري: ((فَزَّعْتَ الرَّجُلَ، وأَفْزَعْتَهُ إذا رَوَّعتَهُ))[٢]، ويقال: إنه انقباض في النفس، والقلب ((يعتري الإنسان من الشيء المخيف))[٣].

من ذلك نجد أنَّ مجيء مفردة﴿ فَفَزِعَ ﴾ مناسبة في موضعها الخاص بها، فللفزع الذي أصاب داود عليه السلام عدَّة أسباب، منها:

- أنَّ الملكين دخلا عليه من دون إذن، ولو كان يعلم بمجيئهما لما فزع منهم.
- أنهما لم يدخلا عليه من الباب، قال ﷻ: ﴿ ... إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾.
- كان وقت دخولهم هو الليل[٤]، والليل بظلمته يُخيف الإنسان.
- أنَّ داود عليه السلام كان مشغولًا بعبادة الله ﷻ وتسبيحه وقت دخولهم عليه[٥].

لذلك نجد أنَّ كل هذه الظروف أدَّت إلى خوف داود عليه السلام من الملكين اللذين دخلا عليه، فناسب استعمال لفظ ﴿ فَفَزِعَ ﴾ الموقع الخاص به في السياق.

وقد يأتي شخص فيقول بأنه نبي وهو معصوم من الفزع، والخوف، فرد على ذلك ابن عاشور بقوله: ((الله لم يضمن له العصمة، ولا الأمن من القتل، وكان يخاف منهما، وقد قال الله لموسى: لا تخف، وقبله قيل للوط))[٦].

٣-﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾:

قال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

---

(١) مقاييس اللغة ٤ / ٥٠١ (فزع).
(٢) تهذيب اللغة ٢ / ٨٧ (باب العين والزاي مع الباء).
(٣) تاج العروس ٢١ / ٤٩٧ (فزع).
(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٠٥.
(٥) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٩.
(٦) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٣٢.

ذكر ابن منظور أنَّ ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ ((من صفاتِ الله المُنعِمُ على العباد، والله ﷻ الوهَّابُ الواهِبُ، وكلُّ ما وُهِبَ لك من ولَد وغيره فهو مَوهُوب))[١]، وهو المعطي لخلقه ما يشاء[٢]، وهو الذي ((يفيض على جهة التَّفضُّل ما يشاء على من يريد، وله صفة الإفاضة متكررة الآثار على الدوام، فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى))[٣].

من ذلك نلحظ أنَّ مفردة ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ في الآية جاءت متناسبة مع ما تحمله قصَّة داود، وابنه سليمان عليهما السلام من ذكر الهبات التي أنعمها الله ﷻ عليهما، مثل:

– تسخير الجبال، والطير لداود عليه السلام حتى تسبِّح معه، والإنعام عليه بالملك، والحكمة، وفصل الخطاب فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾.

– استخلاف داود عليه السلام في الأرض حتى يقيم العدل بين الناس، قال ﷻ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٦﴾ ﴾.

– إنعام الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام بالولد الصالح في قوله ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾.

– تسخير الخيل لنبي الله سليمان عليه السلام، قال ﷻ: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾، وسُخِّرت له الريح، والشياطين؛ ليقوموا بأعماله، قال ﷻ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾.

وجاءت مفردة ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ متناسبة مع النعم التي أنعم الله ﷻ بها على نبيه أيوب عليه السلام، ومن بينها:

– ابتلاه الله ﷻ بالمرض؛ حتى يناله الأجر والثواب؛ لصبره عليه.

– استجاب الله ﷻ لدعائه، وشفاه من مرضه، و((ردَّ عليه أهله، وأولاده الذين أهلكهم

---

(١) لسان العرب ١ / ٨٠٣ (وهب).

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٧.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٦٤.

بأعيانهم))[1]، قال ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

هذه النعم الكثيرة التي أنعم بها الله ﷻ على أنبيائه داود وسليمان وأيوب عليهم السلام لا بد أن يكون مصدرها ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ الذي يهب لخلقه ما يشاء، لذا جاء استعمال مفردة ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ مناسبة للسياق الواردة فيه.

٤- ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾:

قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

ذكر الخليل أنَّ أصل (الذَّوْق) هو: ((ذَاقَ يَذُوقُ ذَوْقًا، ومَذَاقَةً ومَذَاقًا وذَوَاقًا، وذَوَاقُه ومَذَاقُه طيِّب أي: طَعْمُه))[2]، قال السمين الحلبي: (((الذَّوْقُ): وجود الطعم بالفم، ويعبَّر به عن الأكل، وقيل: (الذَّوْقُ): مس الشيء باللسان، أو بالفم))[3].

من ذلك نلحظ أن (التَّذَوُّق) عادةً يكون للشيء الطَّيِّب، قال ﷻ في سورة يونس: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ..﴿٢١﴾ ﴾، وفي سورة هود: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ..﴿١٠﴾ ﴾، وقوله في سورة الشورى: ﴿ ...وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا... ﴿٤٨﴾ ﴾.

وقد يستعمل هذا اللفظ على سبيل التَّهكم، والسُّخرية، وأمثلة ذلك عديدة في القرآن الكريم، كقوله ﷻ في سورة الحج: ﴿ ...وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾، وقوله في سورة الفرقان: ﴿ ... وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾، وفي سورة سبأ: ﴿ ... وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾، وقوله في سورة فصلت: ﴿ ...وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

وفي سورة (ص) جاءت مفردة ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ مناسبةً السياق الواردة فيه؛ لسببين، هما:

- قالها الله ﷻ للمشركين على سبيل التَّهكم عليهم، والاستهزاء بهم، وفي ذلك ردٌّ على

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٤٦.

(٢) العين ٥ / ٢٠١ (ذوق)، وينظر: البارع في اللغة ٤٩٦.

(٣) الدر المصون ٥ / ٢٨٢، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٦١.

سخريتهم، واستهزائهم بهذا اليوم حين قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾.

– جاءت المفردة تأكيدًا لوعيد الله ﷻ للمشركين بإذاقتهم العذاب الأليم يوم القيامة حين قال ﷻ: ﴿ ... بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾.

٥-﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾:

قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾.

فـ﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾: ((الغَلاَّبُ، والشديدُ الغَضَبِ، لـه جَلَبَةٌ من شِدَّةِ غَضَبِه))[١]، قال ابن فارس: ((القَافُ وَالهَاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى غَلَبَةٍ، وَعُلُوٍّ، يُقال: قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا، وَالْقَاهِرُ: الغَالِبُ، وَأُقْهِرَ الرَّجُلُ، إِذَا صُيِّرَ فِي حَالٍ يُذَلُّ فِيهَا ... وَقُهِرَ إِذَا غُلِبَ))[٢]، فالله ﷻ بيده أن ((يَقْهَرَ خَلْقَه بسلطانه وقدرته، ويُصَرِّفهم على ما أَراد طوعًا وكرهًا، والقَهَّار للمبالغة))[٣]، قال الأصفهاني: ((القَهْرُ: الغلبة، والتَّذليل معًا، ويستعمل في كل واحد منهما، قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]))[٤].

من ذلك نلحظ أن بعض الآيات في سورة (ص) ورد فيها المعاني الدَّالة على قدرة الله ﷻ على القهر، ولذلك جاء استعمال لفظ ﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾ مناسبا السياق الوارد فيه، ففي الآية [٢] بيَّن الله ﷻ قدرته على البطش، والقهر من خلال إهلاك الأمم السَّابقة المكذِّبة لرسله فقال: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾، وتَوَعَّد ﷻ المشركين بالعذاب الأليم يوم القيامة وذلك في عدة مواضع من السُّورة فقال ﷻ: ﴿ ... بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ ...فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾، وقال: ﴿ ...لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾، وقال: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾، وجمع بينهم، وبين إبليس في دخول نار جهنم فقال: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

---

(١) القاموس المحيط ٦٦٦ (فصل الخاء).

(٢) مقاييس اللغة ٥ / ٣٥ (قهر).

(٣) لسان العرب ٥ / ١٢٠ (قهر).

(٤) المفردات في غريب القرآن ٦٨٧.

وهكذا من خلال ما سبق نجد مناسبة استعمال مفردة ﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾ للسياق الواردة فيه.

٦-﴿ رَجِيمٌ ﴾:

قال ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

الرَّجْمُ هو: ((اسم لما يُرجمُ به الشيء، والجميع (الرُّجُوم)، وهي: الحِجارةُ، و(الرُّجُوم): التي تُرمى بها الشَّياطين، والشَّيطانُ رَجِيمٌ مَرْجُومٌ ملعُون))[١]، وَوُصف الشيطان بـ﴿ رَّجِيمٍ ﴾؛ لأنه مطرود من رحمة الله ﷻ[٢]، قال الزحيلي: (((الرَّجِيم): أي: المبعد من الخير، المُهان، المرمي باللعن والسَّب))[٣].

من ذلك نجد أنَّ بعض الآيات في السُّورة جاءت لِتُبَيِّن أن مفردة ﴿ رَجِيمٌ ﴾ تناسبت مع السياق الواردة فيه، فأفعال إبليس جعلته مستحقًا لهذا الوصف، فمن أفعاله:

- وسوسته لنبي الله أيوب عليه السلام، و((تذكيره بما كان فيه من نعمة، وما صار إليه من محنة))[٤]؛ حتى يضيق ذرعًا بما أصابه، ويكفر بربه، قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

- استكباره، ورفضه الامتثال لأمر الله ﷻ حين أمره بالسجود لنبيه آدم عليه السلام، قال ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقال: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

- توعُّده بالانتقام من بني آدم وغوايتهم، قال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

وبَيَّن ﷻ طرد إبليس من رحمته في الآيتين [٧٨، ٨٥] من السُّورة في تأكيدٍ واضحٍ؛ لتناسب المفردة اللغوية ﴿ رَجِيمٌ ﴾ مع السياق الواردة فيه.

---

(١) العين ٦ / ١١٩ (رجم).

(٢) ينظر: شمس العلوم ٤ / ٢٤٢٨، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٧.

(٣) التفسير المنير ١ / ٤٤.

(٤) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ٥ / ١٠١.

المبحث الخامس
تناسب المتشابه اللفظي

المتشابه في اللغة:

يعني: المتماثل، وهو مأخوذ من (الشِّبْه)، قال ابن فارس: ((الشين، والباء، والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء، وتشاكله لونًا، وَوَصْفًا، يقال: (شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيه)، وَالشَّبَهُ مِنَ الجَوَاهِرِ: الذي يشبه الذهب، وَالمُشَبِّهَاتُ مِنَ الأُمُورِ: المُشْكِلَاتُ، وَاشْتَبَهَ الأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا))[1]، وقال ابن منظور: ((الشِّبْهُ، والشَّبَهُ، والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع: أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ، وفي المَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم، وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه: وذلك إذا عَجَزَ، وضَعُف))[2]، وقال الجوهري: (((والمُشْتَبِهَاتُ مِنَ الأُمُور): المشكلات، و(المُتَشَابِهَات): المتماثلات))[3].

وقال ابن قتيبة: ((وأصل التَّشابه أن يُشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله ﷻ في وصف ثمر الجنَّة: ﴿... وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ...﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: متَّفق المناظر، مختلف الطُّعوم ...، ومنه يقال: (اشْتَبَهَ عَلَيَّ الأَمْر)، إذا أشبه غيره؛ فلم تكد تُفَرِّق بينهما))[4].

المتشابه في الاصطلاح:

وينقسم هذا النوع على قسمين، هما:

الأول: المقابل للمحكم، وهو: ((ما أُمرت أن تؤمن به، وتكل علمه إلى عالمه...، وقيل: ما لا يُدرى إلا بالتَّأويل، ولا بد من صرفه إليه...، وقيل: ما يحتمل وجوهًا...، وقيل: ما لا يستقلُّ بنفسه إلا برده إلى غيره))[5].

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ٢٤٣ (شبه).

(٢) لسان العرب ١٣ / ٥٠٣ (شبه).

(٣) مختار الصحاح ١٦١ (شبه).

(٤) تأويل مشكل القرآن ٧٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٦٩ – ٧٠، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣ – ٤.

والثاني: المتشابه اللفظي: وهو: ((إيراد القصَّة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة))[١]، وعُرِّف أيضًا بأنه: ((تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ، والمعاني، بحيث يكون ثَمَّ تغاير طفيف بين آية، وآية، وفق ما يقتضيه السِّياق، والتَّعبير))[٢]، أو: ((ما تكرَّر من القرآن لفظًا، أو مع اختلافٍ في العبارة والتَّركيب بأي صورةٍ من الصُّور، كالتَّقديم، والتَّأخير، والزِّيادة، والنُّقصان، وإبدال حرفٍ بآخر، أو كلمةٍ بأخرى، وغير ذلك))[٣]، وما يهمُّنا في دراستنا هو هذا النوع من المتشابه.

أهمية المتشابه اللفظي:

يعد البحث في المتشابه اللفظي من البحوث المهمة التي تكشف إعجاز القرآن الكريم، فالمتشابه اللفظي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم المناسبة؛ إذ للسياق الأثر البارز في توجيهه وبيان مناسبته مع مقام الآيات[٤]، وبما أنَّه يبرز إعجاز القرآن الكريم، فثمَّةَ أسباب، ودواعٍ للاهتمام بهذا البحث الدقيق، أبرزها:

١- الرَّد على الطَّاعنين في كتاب الله ﷻ، فهناك العديد من آيات الله الحكيم المتشابهة في اللفظ، ما أعطى الفرصة لأولئك الذين يتربَّصون بكتاب الله للقدح، والتَّشكيك فيه، قال ابن الزبير الغرناطي: ((وإنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوي الزيغ، والارتياب ممن يتعلق بما تشابه منه طعنًا في الدين، واتباعًا لسبيل الملحدين، وشأن هؤلاء التَّعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك))[٥].

٢- على الرغم من أنَّ هدف البحث في المتشابه اللفظي هو إثبات إعجاز القرآن الكريم، إلَّا أنَّ الأمر تعدى إلى دراسة اللغة دراسةً دقيقة في مستوياتها المختلفة: الصَّوتية، والصَّرفية، والنَّحوية، والدَّلالية، فضلًا عن تتبع معاني النحو الدَّقيقة، وبيان اختلافها في سياق الكلام، ما

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ١١٢، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٩٠.

(٢) معجم علوم القرآن ٢٤١.

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ٢٤٥ – ٢٤٦.

(٤) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٤٧.

(٥) ملاك التأويل ١ / ٥٤.

يستدعي أن يكون الباحث فيه فطنًا، يستطيع إخراج خفاياه[١].

٣- تبرُز أهمية المتشابه اللفظي في أنه معين لحفظ كتاب الله الحكيم بصورةٍ دقيقةٍ دون التباس في المتشابه من الآيات، فحينما يحفظ القارئ آيةً فيها متشابه لفظي يشدُّ تركيزه على المواطن المتشابهة بصورة مضبوطة، ودقيقة دونما اختلاف.

بين المتشابه اللفظي، والمشترك اللفظي:

يلحظ القارئ في البداية أنَّ هناك تشابهًا بين المصطلحين، ولا سيَّما تقارب المفردتين رسمًا، إلَّا أنَّ الأمر ليس كذلك، فهما يختلفان في الدلالة اللغوية والاصطلاحية، وفي وظيفتهما الكلاميَّة، وثمَّة فروق جوهرية بين المصطلحين من الضروري تمييزها، أبرزها:

١- اختلاف مدلولهما اللغوي، فالمتشابه يعني: (التَّماثل والإشكال)[٢]، والمشترك يعني: ((المقارنة، وخلاف المنفرد، وبمعنى: الممتدُّ، والمستقيم))[٣]، وكذلك اختلاف مدلولهما الاصطلاحي، فالمتشابه سبق تعريفه بأنَّه: ((إيراد القصَّة الواحدة في صورٍ شتَّى، وفواصل مختلفة))[٤]، أمَّا المشترك اللفظي فهو: ((اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة))[٥].

٢- يُعنى المتشابه اللفظي بدراسة علاقة بعض الألفاظ ببعض، بينما المشترك اللفظي يدرس علاقة الألفاظ بالمعاني، قال ابن فارس: ((يسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام، كـ(رجُل وفَرَس)، وتُسمَّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: (عيْن المَاء)، و(عيْن المَال)، و(عيْن السَّحَاب)، ويُسمَّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: (السَّيْف، والمُهَنَّد، والحُسَام)))[٦].

---

(١) ينظر: دلالات التراكيب ٣٤٧ – ٣٤٨، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم ٣٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٣ / ٢٤٣، (شبه).

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٢٦٥، (شرك).

(٤) البرهان في علوم القرآن ١ / ١١٢، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٩٠.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٣٦٩، وينظر: إسفار الفصيح ١ / ١٧٩، والصاحبي في فقه اللغة ٤٧٠.

(٦) الصاحبي في فقه اللغة ١١٩، وينظر: الكتاب ١ / ٢٤.

٣- لا يُشترط في المتشابه اختلاف اللفظين المتشابهين، نحو قولك: (جاءَ، وأتى) خلافًا للمشترك، فلا بُدَّ أن يكون دالًّا على معنيين فأكثر، وإلاَّ لا تَصحُّ تسميته مشتركًا[١].

٤- من شروط المتشابه اللفظي أن يكون بين لفظين، أو أكثر، سواء أكان هذا اللفظ مفردًا أم غير مفرد، ويكون بين التراكيب، ولا يُسمَّى متشابهًا لفظيًّا إلا إذا كان مشابهًا للفظٍ، أو تركيبٍ آخرين، أمَّا المشترك اللفظي فلا يكون إلَّا لفظًا مفردًا واحدًا من دون التراكيب[٢].

هذا ما يتعلق بجانب الفروقات بين المتشابه اللفظي، والمشترك اللفظي، أما منهجية دراسة المتشابه فقد اختلفت طرائقها قديمًا وحديثًا بحسب طريقة كل مؤلف، ولكن في الغالب يعتمد المؤلفون القدامى على طريقة تناول كل سورة على حده وموازنتها، مع مقارنتها بمثيلاتها في السُّور الأخرى، أما الدِّراسات الحديثة فتعتمد على تقسيم المتشابه اللفظي بحسب الموضوعات، كالتَّقديم والتَّأخير، والحذف، والزِّيادة، وإبدال كلمةٍ بأخرى، وغيرها، وسأتناول تناسب المتشابه اللفظي في سورة (ص) على النحو الآتي:

المتشابه المختلف في التركيب:

ورد هذ النوع من المتشابه في عدة مواضع من سورة (ص)، والسور الأخرى في القرآن الكريم، فنجد الجملة تحمل المعنى نفسه وبتركيبٍ مختلف، ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾، وقوله في سورة (ق): ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾.

فنجد أنَّ التركيب المتشابه في السورتين هو: ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾، و﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾.

فنلحظ في آيات السورتين الاختلاف في ترتيب ذكر الرسل، وأقوامهم، ومناسبة ذلك أنَّ هذه القصص وردت لتسلية الرسول ﷺ عمَّا كان يكابده من عتاة قريش، وكفَّار العرب،

---

(١) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ١ / ٦٩.

(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠، والصاحبي في فقه اللغة ٤٧٠.

وبالمقابل جُرِّد في السورتين ذكر هؤلاء العتاة، ولا حاجة إلى ترتيبهم، فلو كان القصد من ذكر قصص الرسل مع قومهم تثبيت فؤاد النبي ﷺ لوجب التَّرتيب كما ورد في سور الأعراف، وهود، والشعراء، إذ ذكرت أنباؤهم على التَّرتيب بحسب زمان إرسال الرسل(١).

ب- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ﴾، وفي موضعٍ آخر من القرآن الكريم قال ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣١].

نلحظ أنه ﷻ ذكر السجود في آية سورة الحجر، ولم يذكرها في آية سورة (ص)، ومناسبة ذلك أنَّ موضوع السجود في سورة الحجر شائع أكثر من سورة (ص)، ففي قصَّة الحجر ورد السجود ست مرات فقال ﷻ:

- ﴿ ... فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ ﴾.
- ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ ﴾.
- ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ ﴾.
- ﴿ ... مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ ﴾.
- ﴿ .. لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ ...٣٣ ﴾.
- ﴿ ... وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ ﴾.

في حين ورد ذكر السجود في ثلاثة مواضع فقط من سورة (ص)، فقال ﷻ:

- ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾.
- ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ ﴾.
- ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ...٧٥ ﴾.

وحتى إنَّه عند التَّعرُّض لذكر خبر توبة نبي الله داود عليه السلام لربه لم يذكر في السُّورة لفظ السجود، بل ذكر الرُّكوع، فقال ﷻ: ﴿ ... وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤ ﴾، كل ذلك يفسِّر مناسبة ذكر السُّجود في آية سورة الحجر، وعدم ذكره في آية سورة (ص).

ت- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ ... مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ ...٧٥ ﴾، وفي موضعين آخرين قال ﷻ:

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٥.

﴿ .. مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ... ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال: ﴿ ... مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٢].

نلحظ أن هذه الآيات متَّفقة في المعنى، ومختلفة في التَّركيب، مع أنها تقع في قصَّة واحدة، وهي قصَّة إبليس مع ربه حينما تكبَّر على أمره، وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام، وهذا الاختلاف في التَّركيب يجوز؛ لأن ((اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعنى، فإن الألفاظ إذا اختلفت، وأدَّت المعنى المقصود كان اختلافها، واتفاقها سواء))(١).

المتشابه المختلف في الإبدال:

نجد الإبدال في هذا النوع من المتشابه في الاسم، أو الفعل، أو الحرف، أو شبه الجملة وسأتناول دراسة ذلك على النحو الآتي:

١- الإبدال بين اسمين مختلفين:

ومن صور التَّناسب اللغوي إبدال اسم مكان اسم، من ذلك:

أ- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾، وفي مواضع أخرى قبلها قال ﷻ: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢]، وقال: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢].

نلحظ أنه ﷻ ذكر في سورة (ق): ﴿ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾، وفي سورة هود قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾، وفي سورة (ص) قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾، فعدل من ﴿ عَجِيبٌ ﴾ إلى ﴿ عُجَابٌ ﴾، فتدرج في العجب بحسب قوته، ففي سورة (ق) تعجَّب المشركون من أن يأتيهم رسولٌ منهم فقالوا: ﴿ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾، وفي سورة هود كان العجب أكبر؛ إذ من غير المعتاد أن تلد العجوز، وزاد من العجب أنها عقيم، وزد على ذلك أنَّ زوجها شيخٌ كبير، فاجتماع كل هذه الظروف تجعل الحمل والولادة أمرًا بعيدًا جدًّا، لذا أُكِّد العجب بـ(إنَّ واللام)، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾، بخلاف آية (ق) التي لم تؤكد العجب.

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ٢ / ٥٧٢، وينظر: أسرار التّكرار في القرآن ١١٨.

وأما في سورة (ص) فكان العجب أكبر؛ إذ اعتاد المشركون عبادة الأصنام من زمن آبائهم، وأجدادهم، وهذه العبادة جزء من عاداتهم، وتقاليدهم التي من غير الممكن التَّفريط فيها، وحين جاء الإسلام وأمرهم بتوحيد الله ﷻ، وترك عبادة الأوثان كان عجبهم كبيرًا، فقالوا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾، فأُكِّد العجب بـ(إنَّ، واللام)، وعُدِل من ﴿ عَجِيبٌ ﴾ إلى ﴿ عُجَابٌ ﴾؛ لأنَّ (فُعَالًا) أبلغ من (فَعِيل) عند العرب، فإذا قلت: (هو رَجُلٌ طَوِيل) فهو الطول يكون مثله، فإذا زاد الطول عن المعتاد قلت: (رَجُلٌ طُوَال)، ومثله (كَرِيمٌ وكُرَامٌ)(١).

ب- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ ... كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٤]، فالآيتان اختلفتا في خاتمتهما، ففي سورة (ص) ورد: ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾، وفي سورة (ق): ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾.

ومناسبة هذا الاختلاف أنَّ سورة (ص) مبنية على ختام فواصلها بالباء، فناسب ذلك اللفظ الذي انتهت به وهو ﴿ عِقَابِ ﴾، والآية [١٤] تقع ضمن الآيات الأولى التي وصفت فرعون بـ﴿ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾(٢)، قال الكرماني: ((بنيت فواصلها على ردف أواخرها بالباء، والواو، فقال في هذه السُّورة: ﴿ ٱلْأَوْتَادِ ﴾، ﴿ ٱلْأَحْزَابُ ﴾، ﴿ عِقَابِ ﴾))(٣).

ومناسبة مجيء لفظ ﴿ وَعِيدِ ﴾ في سورة (ق) هو مراعاة فواصل السُّورة، فقال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾، وورد في فواصل الآيات التي أتت بعدها قوله ﷻ: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ إلى عدة آيات جرت في مقاطعها على ما ذكر، فناسب ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾، وجاء كلٌّ على ما يناسب

---

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السَّامرائي، http://shamela.ws/index.php/book/1445

(٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٢.

(٣) أسرار التِّكرار في القرآن ٢١٧.

السياق[1].

ت- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ..﴿٣٦﴾ ﴾، وقال ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ...﴿٨١﴾ ﴾، فوُصفت الريح في آية سورة (ص) بـ(الرُخاء)، وتعني: الرخاوة، أي: ((إنَّها كانت رخوة طيِّبة في نفسها، عاصفة في مرورها كما قال ﷻ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ... ﴾ [سبأ: ١٢]، أو إن ذلك كان باعتبار حالين على حسب ما يأمرها سليمان عليه السلام))[2]، وفي آية سورة الأنبياء وُصفت الريح بأنها عبارة عن عاصفة شديدة، وذلك يعني أنها وُصفت في الآيتين بالوصف نفسه، وبلفظين مختلفين.

ث- قال ﷻ في سورة (ص):﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾، وفي سورة الصَّافَّات قال ﷻ: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

فاختتمت الآية في سورة (ص) بلفظ ﴿ أَتْرَابٌ ﴾، لتتناسب مع فواصل آيات المقطع الذي توجد فيه؛ إذ قال ﷻ قبلها: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾، وقال ﷻ بعدها: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾، فتناسب استعمال اللفظ في الآيات مع سياق مختتم الآيات السَّابقة لها، واللاحقة.

وجاء لفظ ﴿ عِينٌ ﴾ في سورة الصَّافَّات؛ ((لأن فواصل الآيات التي في السُّورة مردفة أواخرها بالياء، أو بالواو، والقصد التوفقة بين الألفاظ مع صِحَّة المعاني))[3].

ج- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾، وفي موضع آخر قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [البقرة: ٣٠].

ففي آية سورة (ص) ورد لفظ ﴿ خَٰلِقٌۢ ﴾؛ لأنَّ الخلق واحد لا يتجدَّد عبر الزمان، فحين يخلق الله ﷻ هذا الإنسان يبقى يحمل مكوناته الجسدية من رأس، وبطن، وأطراف، وغيره، لا

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٩.

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٧٥.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٣ – ١١٠٤.

تتبدل عبر الزمان، فناسب ذلك استعمال لفظ ﴿ خَلِقٌ ﴾ في هذا السياق.

أما في آية سورة البقرة فاستعمل لفظ ﴿ جَاعِلٌ ﴾؛ ليتناسب مع لفظ ﴿ خَلِيفَةً ﴾؛ لأنَّ الخلفاء يتغيَّرون، ويتجدَّدون، ويخلف بعضهم بعضًا عبر الزمن(١).

٢- الإبدال بين فعلين مختلفين:

ومن صُور التَّناسب اللغوي إبدال فعل مكان فعل، من ذلك:

أ- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴿٨﴾ ﴾، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴾ [القمر: ٢٥].

نلحظ أن آية سورة (ص) استعملت لفظ ﴿ أُنزِلَ ﴾؛ لأنها تقصُّ علينا حكاية كفار قريش، فحين قرأ عليهم الرسول محمد ﷺ قوله ﷻ: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ... ﴾ [النحل: ٤٤]، ومثله قوله ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ... ﴾ [الفرقان: ١]، أجابوا بالوارد في قوله ﷻ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴾(٢).

بينما في سورة القمر هو ((حكاية عن قوم صالح، وكان يأتي الأنبياء يومئذ صحف مكتوبة، وألواح مسطورة، كما جاء إبراهيم، وموسى، فلهذا قالوا ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ... ﴾، مع أن لفظ الإلقاء يستعمل لما يستعمل له الإنزال))(٣).

ب- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾، وقال في موضعٍ آخر: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[إبراهيم: ٥٢]، فاختُصت الآية في سورة (ص) بلفظ ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ ﴾ بتاء التفعيل، بينما اختصت الآية في سورة إبراهيم بلفظ ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾، ومناسبة ذلك أنه في آية سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ﴾ يوجد حرفان من الحروف الشديدة، وهما: الباء، والدال، وثانيهما

---

(١) ينظر: أسرار التّكرار في القرآن ١٥٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه ٢١٦.

مضعَّف، وجاء قوله ﷻ: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ ﴾ على النسق نفسه، فيه حرفان من حروف الشدة، وهما: الكاف والتاء، وثانيهما مضعَّف(١).

أما الآية في سورة إبراهيم، فقد ورد بها قوله ﷻ: ﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ ﴾؛ إذ تكونت الكلمتان من أحرف جميعها رخوة، وهي ضد الشديدة، وناسب ذلك ورود لفظ ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾ في الآية نفسها؛ إذ تكوَّن من الحروف الرخوة، وليس به من الحروف الشديدة غير الكاف(٢).

ت- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣١]، فورد في آية سورة (ص) لفظ (الاستكبار)، وفي آية سورة الحجر لفظ (الإباء)، وهما لفظان مختلفان في المعنى، فـ(الإباء) يعني: الرفض والامتناع، بينما (الاستكبار) يعني: أن يرى الشخص نفسه خيرًا من الآخرين(٣).

وتناسب لفظ (الاستكبار) في آية سورة (ص) مع سياق بقية الآيات، فقال ﷻ في سؤال إبليس: ﴿ ... أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، ثم قال ﷻ في بيان جواب إبليس عن السؤال: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾، ويحمل هذا الجواب تكبُّر إبليس واستعلاءه على أمر ربه، بدليل أنّ ربَّ العزة ردَّ عليه في سورة الأعراف فقال: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ... ﴿١٣﴾ ﴾.

فضلًا عن أنَّ موضوع السُّورة يدل على الاستكبار، والعلو، فقد ذكر ﷻ في أولها أن حال الكافرين في عزَّة، وشقاق دائميْن فقال: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، فهم في استكبار دائم عن اتباع الحق.

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٢٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢ / ٢٨٨.

(٣) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السَّامرائي،

http://shamela.ws/index.php/book/1445

ثم ذكر ﷻ قصَّة الخصمين اللذين بغى أحدهما على صاحبه، واستكبر عليه، والباغي ظالم، مستعلٍ، متكبر، وذكر ﷻ الطَّاغين، وعذابهم يوم القيامة فقال: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾، والطاغي مستكبر، ظالم، لا يبالي بعاقبته، وذكرت السُّورة موقف المشركين حينما كانوا يسخرون من الناس ويستحقرونهم، فقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، ولا يسخر من الناس إلا المتكبِّر، ومن ذلك نجد أنَّ استعمال الفعل ﴿ ٱسْتَكْبَرْتَ ﴾في الآية جاء مناسبًا لسياقها، والموضوع العام للسورة.

واستعمل في آية سورة الحجر الفعل ﴿ أَبَىٰٓ ﴾، ولم يُستعمل الفعل ﴿ ٱسْتَكْبَرْتَ ﴾، وهذا يتناسب مع سياق السُّورة، فحينما سأل الحقُّ ﷻ إبليس عن السبب في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، رد عليه: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾، وهذا مناسب للفعل ﴿ أَبَىٰٓ ﴾؛ لأنه يدل على الامتناع، والرَّفض، لكنه لا يدل على الاستكبار، فحينما يقول القائل: (لم أكن لأفعل كذا)، لم يُفد قوله الاستكبار عن فعله، بل أفاد امتناعه عنه.

وموضوع السُّورة بشكل عام يدل على الامتناع، والرَّفض، والأمثلة على ذلك عديدة، فقد ذكرت السُّورة أنَّ قسمًا من الكفار يرفضون الهداية، ولو جئت بالأسباب جميعًا، فقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾، وذكرت أنَّ نبي الله لوطًا عليه السلام طلب من قومه عدم التعرُّض لضيفه، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾، فامتنعوا عن إجابة طلبه، وقالوا: ﴿ ... أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾، وورد فيها أنَّ أصحاب الحجر رفضوا الآيات التي جاء بها نبيهم، وأعرضوا عنها، فقال ﷻ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

من ذلك نجد أنَّ الفعل ﴿ أَبَىٰٓ ﴾ تناسب مع الموضوع العام للسورة.

ث- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا... ﴿٧٧﴾ ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا... ﴿١٣﴾ ﴾، فتضمَّنت الآيتان تعبيرين مختلفين، هما: الخروج، والهبوط، ففي سورة الأعراف

أمر ﷻ آدم عليه السلام بالهبوط من الجنَّة، ولم يقصد تعنيفه، بينما أَمْر إبليس بالخروج منها أمرًا يوحي بالتَّعنيف، فبعد أن تكبَّر إبليس على ربه، ورفض ما أُمر به، غضب الله ﷻ عليه غضبًا شديدًا، وطرده من الجنَّة، وأمره بالخروج، فقال ﷻ: ﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾، فناسب تعبير الخروج غضب الله ﷻ على إبليس، بينما ناسب تعبير الهبوط رضا الله ﷻ عن نبيه آدم عليه السلام(١).

ج- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، وفي سورة الحجر: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾، فذكر ﷻ لفظ الاتِّباع مخففًا في سورة (ص) (تَبِعَ)، ولكن التحذير من اتِّباع إبليس شديد للغاية ﴿ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾، وجاء لفظ الاتِّباع مشدَّدًا في سورة الحجر (اتَّبَعَ)، ولكن بصورة أقل حدَّة من وروده في سورة (ص) ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾، ومناسبة ذلك أنه لما قال ﷻ بعد القصَّة في سورة الحجر: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾، ناسب ذلك أن يخفف على عباده، ويرحمهم بأن لا يدخل النَّار إلا من بالغ في اتِّباع إبليس، وطاعته، فلم يرد ذلك في سورة (ص) كان التحذير شديدًا.

فضلًا عن أنَّ جو سورة الحجر يوحي بالتَّخفيف، ومثال ذلك: مجيء قصَّة آدم عليه السلام في سورة الحجر بعد ذكر الله ﷻ نعمه على عباده في قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾، فناسب ذلك ورود فعل الاتِّباع مخففًا.

بينما الجو العام في سورة (ص) يوحي بالتَّشديد؛ إذ وردت قصَّة آدم عليه السلام بعد ذكر عقوبات الكافرين في الآيات [٥٥ – ٦٤]، فناسب ذلك مجيء التعبير عن الاتِّباع بالتَّشديد، فكل تعبير ناسب السياق الوارد فيه.

٣- إبدال حرف من حرف:

ومن صور التَّناسب اللغوي في المتشابه اللفظي إبدال حرف مكان حرف، ومثال ذلك:

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٧٨.

قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾.

وقوله في سورة (ق): ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾.

فالتَّركيب المتشابه في السورتين هو قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، وقوله في سورة (ق): ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، فنلحظ أنَّ الفعل الماضي: (قال) ارتبط بواو النسق في سورة (ص)، بينما ارتبط بـ(فاء) التعقيب في سورة (ق)، ومناسبة ذلك أنَّ آية (ص) تخبرنا عن بعض ما ارتكبه كفار قريش من أفعال وأقوال ضد الرسول ﷺ، وأنَّهم في عزَّة، وشقاق، وأنهم عجبوا أن بعث منهم رسولًا، وأنهم اتهموه بالسِّحر والكذب، وتعجَّبوا من جعله الآلهة إلها واحدًا، إلى آخر ما ذكرته السُّورة من أخبارهم، فلما قُصد هنا الإخبار عن جملة مرتكباتهم من الأفعال، والأقوال جاءت بعضها منسوقًا على بعض بالواو التي لا تقضي ترتيبًا، ولا تعقيبًا[١]، قال الكرماني: ((لأنَّ اتصاله بما قبله في هذه السُّورة معنوي، وهو أنهم عجبوا من مجيء المنذر، وقالوا: هذا المنذر ساحر كذاب))[٢]، قال أبو عبدالله الكناني: ((ما قبل سورة (ص) لا يصلح أن يكون سببا لقولهم:﴿ سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾، فجاء بالواو العاطفة))[٣].

وقُصد في آية (ق) التَّعريف بتعجُّب الكافرين من البعث، واستبعادهم له، فالسورة أقامت الدلالة عليهم باعتبار خلق السماوات، وما فيها من نجوم، وإحكام صنعها، وخلق الأرض، وتثبيتها بالجبال، وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء، وضروب الحبوب، والنَّخل الباسقات ذات الطلع النضيد، ثم قال ﷻ: ﴿ ... كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ ﴾، فلما كان قولهم: ﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ مبنيًّا على ما جاءهم به ﷺ، معلمًا لهم البعث بعد الموت جعل مجيئه مخبرًا بذلك، سببًا في تعجيزهم، فربط فيه بالفاء، وكأنَّ القول هو: عجبوا من البعث بعد الموت فقالوا كذا[٤]، قال الكرماني في بيان سبب اتصال الفعل بالفاء في آية (ق): ((واتِّصاله في (ق)

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٤.

(٢) أسرار التِّكرار في القرآن ٢١٦.

(٣) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٣١٠.

(٤) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٤ – ٤١٥.

معنـوي، ولفظـي، وهـو أنَّهـم عجبـوا فقـالوا: ﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾، فراعـى المطابقـة، والعجـز، والصدر، وختم بما بدأ به، وهو النهاية في البلاغة))[١]، و((ما قبل سورة (ق) يصلح سببًا لما قالوا بعده، فجاء بالفاء))[٢].

وتخبرنا الآية في سورة (ق) عن تعجُّب الكافرين في أنفسهم، واتِّصال قولهم به، فقال ﷻ: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾، فجاء آخر الكلام مرتبطًا بأوله، وراجعًا إليه؛ فهو يخبر عن حصول العجب في ضميرهم حينما قالوا بعد ذلك: ﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾، فكان لزامًا استعمال الفاء في مقام الآية[٣].

٤- إبدال شبه الجملة:

ومن صور التناسب اللغوي الإبدال بين شبه الجملة، من ذلك:

أ- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا ... ٤٣ ﴾.

وفي سورة الأنبياء يقول ﷻ: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ... ٨٤ ﴾.

نلحظ أنه في آية سورة (ص) ورد قوله ﷻ: ﴿ رَحۡمَةٗ مِّنَّا ﴾، وفي آية سورة الأنبياء ورد: ﴿ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾، ومناسبة ذلك أنَّه لما أخبر ﷻ في سورة (ص) عن النبي أيوب عليه السلام في قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ﴾؛ إذ شكا إلى ربه أذى الشيطان، ووسوسته حتى يضيق صدره، وينقص حمده، فصبر، وهان عليه المرض حتى لا يخل بالطاعات كرَّمه الله ﷻ بأن أغاثه برحمة منه، مضافة إليه، مختصَّة بإرادته، فقال ﷻ: ﴿ رَحۡمَةٗ مِّنَّا ﴾؛ إذ إنَّ هناك بعض الأفعال التي يختصها ﷻ لنفسه، ويضيفها إليه، كما في قوله: ﴿ ...أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ... ﴾ [ص: ٧٥]، وبعضها يأمر بها ملائكته مع أنها من فعله جلَّ شأنه، كقوله: ﴿ ... فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ... ﴾ [الأنبياء: ٩١].

---

(١) أسرار التِّكرار في القرآن ٢١٦.

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٣١٠.

(٣) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٠.

ولأنَّ المصيبة التي أُصيب بها أيوب عليه السلام عظيمة فقد رحمه الله ﷻ رحمة من عنده، وأنعم عليه نعمة لا مثيل لها، فاختصَّه بفعله، ولم يولِّه أحدًا من ملائكته، وبه غاية الرحمة لنبيه أيوب عليه السلام (١)، ولهذا تناسب قوله ﷻ: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ مع سياق الآية.

وفي سورة الأنبياء قال ﷻ: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾، ولم يقل: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ كما في سورة (ص)، ففيها أخبر الله ﷻ عن أيوب عليه السلام أنه نادى ربه، واشتكى له من سوء حاله بعد أن بلغ فيه المرض مبلغه فقال: ﴿ ...مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ...﴿٨٣﴾ ﴾ فقد طالت أيام المرض حتى تساقط لحمه، وتآكل جسمه، وأصيب بالفقر، فكأنه بهذا النداء يقول لربه: مسَّني من عندك يا رب ما تعلم، وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله ﷻ لدعائه فقال: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾، ومعنى ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ أي: من حيث لا يقدر عليه العباد، فكل شيء يختصُّ بقدرة الله وحده يطلق عليه: (عند الله)، فكما كان الضُّر من عند الله، كان كشفه من عنده ﷻ (٢).

ب- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ ... وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾، وقال في موضعٍ آخر من القرآن الكريم: ﴿ ...وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، فناسب ذكر العابدين في سورة الأنبياء ما قبلها من ذكر عبادة أيوب عليه السلام لربه، بينما أُبدلت الكلمة في آية سورة (ص) بلفظ (أولي الألباب) مع أنَّ ما قبل الآية يُتحدث فيه عن صبر أيوب عليه السلام وعبادته لربه بهذا الصَّبر، ومناسبة ذلك هو أنَّ ((أولي الألباب يورثهم مقام العابدين، وهو أسنى مقام، وكل ذلك بعد مقامات عَلِيَّةٍ، وأوال جليلةٍ، وقد جرى مع كل مقام ما يناسبه، ووضح أن كلا من هذه المبينات على ما قبلها لا يناسبه غير ما بني عليه))(٣).

المتشابه المختلف في أحوال الاسم:

ترد في القرآن الكريم آيات متشابهات في المعنى، ولكنها تختلف في حال الاسم من حيث:

أ- المفرد، والجمع:

قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾، وفي سورة

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٩٠٩ – ٩١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١ / ٩٠٧ – ٩١١.

(٣) ملاك التأويل ٢ / ٣٥١.

(طه) يقول ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

فنلحظ في شبه الجملة ﴿ مِّن قَرْنٍ ﴾ الواردة في سورة (ص) مجيء الاسم بصيغة المفرد، ومناسبة ذلك أنَّ القرن معروف، وهو الذي يسبق القوم المتحدث عنهم ووضَّحتهم السورة في في قوله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ... ﴿١٣﴾ ﴾، بينما في سورة (طه) جاء الاسم في شبه الجملة ﴿ مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ بصيغة الجمع؛ لأنَّ الأقوام المذكورين غير معروفين بأعيانهم(١).

ب- التعريف بالإضافة، وبـ(أل):

جاء في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وفي سورة الحجر قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾.

فاللعن يعني شيئًا واحدًا، ولكنه أتى بتعريفين مختلفين، فجاء في سورة (ص) معرَّفًا بالإضافة، وفي سورة الحجر معرَّفًا بـ(ال)، ومناسبة ذلك أنَّ القصَّة في سورة الحجر ابتدأت بذكر خلق الله ﷻ الإنسان، والجان، وهما معرَّفان بـ(ال)، فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾، فاستحق إبليس من الجزاء بترك السجود اللفظ الذي ابتدأت به القصَّة، وهو اسم الجنس المعرَّف بالألف واللام.

بينما الأمر في سورة (ص) مختلف؛ لأنَّ القصَّة ابتدأت بقوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾، فهي لم تُفتتح بذكر الصنفين من الإنس، والجن باللفظ المعرف بالألف واللام كما في سورة الحجر، وجاء لفظ ﴿ أَن تَسْجُدَ ﴾ بدلًا عن ﴿ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ الوارد في سورة

---

(١) ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٦٧.

الحجر[١]، ثم قال ﷻ: ((﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فخصَّصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بقلعه، أجري لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة، كما قال: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾، فقال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، فكان الاختيار في التوفقة بين الألفاظ التي افتتحت بها الآية، واستمرت إلى آخرها هذا))[٢].

المتشابه المختلف في الذِّكر، والحذف:

قد يأتي تركيبان أو أكثر متشابهين في المعنى، ولكنهما مختلفان في ذكر بعض الألفاظ وحذفها، ومن أمثلة ذلك:

أ- الذكر، والحذف في الاسم:

قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ... ﴿٧٩﴾ ﴾، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ... ﴿١٤﴾ ﴾.

نلحظ في آية سورة (ص) ذكر الاسم: ﴿ رَبِّ ﴾؛ لأنَّ ذلك يتناسب مع السؤال الذي سُئِل به إبليس وتضمَّن ذكر الاسم في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... ﴿٧٥﴾ ﴾، بينما حُذف الاسم من آية سورة الأعراف؛ لأنَّ السؤال كذلك حذف الاسم منه في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ... ﴿١٢﴾ ﴾، فتناسب الذكر، والحذف في السؤال مع الذِّكر، والحذف في الجواب[٣].

ب- الذكر، والحذف في الفعل:

قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، وقال في سورة الحجر: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

نلحظ أن لفظ التزيين ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ ﴾ ذُكر في آية سورة الحجر، ولم يذكر في آية سورة (ص)، ومناسبة ذلك أنَّ الزينة ورد ذكرها في سورة الحجر في الآيات السَّابقة، فقال ﷻ:

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ٢ / ٨١٦ – ٨١٧.

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٨١٧.

(٣) ينظر: أسرار التّكرار في القرآن ١١٧.

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾، وقال ﷻ في موضعٍ آخر من السُّورة: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾، وهذا من التزيين في الأرض، بينما لم يذكر ذلك في سورة (ص)، ولهذا ناسب ذكر فعل التزيين في آية سورة الحجر دون آية سورة (ص)[1].

ت- الذكر، والحذف في الحرف:

١- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾، وقال في سورة مريم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾، وفي سورة (طه): ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

فالتركيب المتشابه في الذكر، والحذف في السُّور الثَّلاث هو قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾، وقوله في سورة مريم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾، وقوله في سورة (طه): ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾.

من ذلك نلحظ أنَّه يوجد فرق في التَّراكيب الثَّلاثة، فنجد في سورة (ص) لفظ ﴿ قَبْلِهِم ﴾ مجرورة بـ﴿ مِن ﴾ الزائدة، بينما لا نجد هذه الزيادة في الآيتين الأخريين من سورتي مريم، و(طه)، ومناسبة ذلك أنَّ ﴿ مِن ﴾ تُزاد من أجل التَّغليظ في الوعيد، والتَّهديد، وشدة التخويف[2]، وهذا مناسبٌ لمقتضى وجودها في آية سورة (ص)؛ إذ إنَّ من مقاصد سورة (ص) بيان جزاء المُكذِّبين وعاقبتهم، وإثبات وحدانية الله ﷻ، فلاقى ذلك صدًّا من المشركين، وأمعنوا في إيذاء النبي محمد ﷺ، وحذَّرتهم السُّورة من أن يحل عليهم الهلاك، والعذاب كما أُهلكت الأمم السَّابقة المكذبة لرسلها، وآية سورة (ص) جاءت تالية لآيتين تحملان الشِّدة، والغلظة على الكافرين في قوله ﷻ : ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾، وارتفعت حدَّتها في هذه الآية ما ناسب استعمال لفظ ﴿ مِن ﴾ تماشيًا مع توالي ذلك الوعيد،

---

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السَّامرائي، http://shamela.ws/index.php/book/1445

(٢) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٤٣.

والتهديد.

أما آية سورة مريم، فلا يوجد فيها، أو فيما سبقها من الآيات القريبة منها ما يحمل التَّهديد، والوعيد، وبالمقابل لم تذكر ﴿ مِن ﴾؛ لأن وجودها لا يتناسب مع توازن الآية بما سبقها من آيات.

ولم تذكر ﴿ مِن ﴾ في آية سورة (طه)؛ لأنَّ الآية توحي بالرَّجاء، وعظيم الحلم، والرِّفق وليس الوعيد، والتَّهديد، فابتدأت بقوله ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، وانتهت بقوله ﷻ: ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾، وهذا يدل على انتظام المعاني في الآية(١).

فضلًا عن أنَّ ((القائل إذا قال: (كم أهلكنا قبلهم) فكأنه قال: في الزمن المتقدِّم على زمانهم، وإذا قال: (من قبلهم) فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذي قبل زمانهم، والزَّمان من أوله إلى أخره ظرف للإهلاك، لا يختص به بعضه دون بعض))(٢).

٢- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾، وتكرَّر هذا التركيب في الآيتين [٣٦ - ٣٧] من سورة الحجر، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾.

نلحظ في هذه التراكيب زيادة حرف الفاء في الألفاظ: ﴿ فَأَنظِرْنِيٓ ﴾، و﴿ فَإِنَّكَ ﴾ من آيتي (ص)، والحجر وكذلك زيادة النداء بـ﴿ رَبِّ ﴾، ولم يرد ذلك في آية الأعراف، وسبب ذلك هو مناسبة الإسهاب، والإيجاز، والتَّأكيد، فنجد في سورة الأعراف مجموع الكلام منذ ابتداء قصَّة خلق آدم عليه السلام، ورفض إبليس السجود له في قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [٤٣] كلمة، والوارد في سورة الحجر من قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٧٤] كلمة، وفي سورة (ص) من قوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ إلى قوله ﷻ:

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٤٣.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٨٩٨.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ ﴾ [٦٦] كلمة، من ذلك يتَّضح ما قُصد في سورة الأعراف من إيجاز في الإخبار عن القصَّة، وما في سورتي الحجر و(ص) من الإطناب، والإسهاب، وزاد ذلك ما ورد فيهما من التأكيد بـ(كل، وأجمع) في الآية [٣٠] من سورة الحجر، والآية [٧٣] من سورة (ص)، فقال ﷻ: ﴿ ... كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾، ولم يرد مثل ذلك في سورة الأعراف، فتناسب ذلك مع الإطناب، والتَّأكيد، وناسب ما ورد من الزيادة(١).

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٧٨ – ١٧٩.

الخاتمة

الخاتمة

يكشف البحث في ميدان الدراسات القرآنية بديع نظم القرآن الكريم، ودقَّته في اختيار صيغ مفرداته، وروعة أسلوبه، فضلًا عن الوقع الموسيقي الذي يتركه في نفس القارئ، إذ يعبَّر عن الصيغة أحيانًا باسم الفاعل، وتارةً بالصِّفة المشبَّهة، أو صيغة المبالغة، ومن خلال ذلك يظهر أثر علم المناسبة في إبراز أسرار الآيات، ومكنوناتها، وعلاقة الآية بما قبلها ضمن مقطع من الآيات، وعلاقة هذا المقطع مع المقاطع الأخرى في السُّورة، وينتهي الأمر بإثبات تناسب السُّورة مع ما قبلها وما بعدها ضمن ترتيب النُّزول، والترتيب المصحفي، وتناسبها من خلال العلاقات الدَّاخلية المتنوِّعة في السُّورة نفسها، وعلاقاتها ببعض الآيات في السُّور الأخرى من القرآن الكريم.

وكان البحث في سورة (ص) تطبيقًا لما تقدم، وخرج بمجموعةٍ من النتائج، هي:

١- نلحظ تناسب سور (القمر، و(ص)، والأعراف) ضمن ترتيب النُّزول، وظهر هذا التَّناسب من خلال الوحدة الموضوعية في فواتحها، وموضوعاتها، إذ افتتحت السُّور الثَّلاث بالمعجزات، فقال ﷻ في سورة القمر: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾، وقال في سورة ص: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾.

ومن حيث الموضوعات تناسبت السُّور الثَّلاث في عدَّة جوانب، منها:

أ- بيان ثواب المتَّقين، كقوله سبحانه في سورة القمر: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ۝٥٥ ﴾، وقوله في سورة (ص): ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ ﴾، وفي سورة الأعراف يقول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

ب- بيان جزاء المشركين، كقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ

فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾، وفي سورة (ص): ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فضلًا عن التَّناسب في أحوال الأمم مع أنبيائهم، وقصص الأنبياء.

٢- نلحظ تناسب سور (الصَّافَّات، و(ص)، والزُّمَر) ضمن الترتيب المصحفي، وذلك من خلال تناسب الوحدة الموضوعية في فواتحها، وموضوعاتها، إذ افتتحت السُّور الثَّلاث بالحديث عن عقيدة التوحيد، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾، وفي سورة الزُّمَر: ﴿ ...فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ... ﴾.

وتناسبت السُّور الثَّلاث في الموضوعات من عدة جوانب، أبرزها:

أ- الحديث عن أحوال الأمم مع أنبيائهم، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ ﴾، وفي سورة ص قال ﷻ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾، وأشارت سورة الزُّمَر إلى سخرية المشركين، واستهزائهم بأنبيائهم من خلال بيان حالهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨ ﴾.

ب- إثبات البعث يوم القيامة، فقال ﷻ في سورة الصَّافَّات: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥ ﴾، وفي سورة الزُّمَر: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١ ﴾.

ت- وَصفُ الجنَّة، ففي سورة الصَّافَّات يقول ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ

أَتْرَابٌ ﴾، وفي سورة الزُّمَر قال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

٣- مناسبة سورة (ص) لمقاصدها، فمن مقاصدها التَّأكيد على وحدانية الله، فقال ﷻ : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾، والتَّأكيد على نُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، فقال ﷻ: ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾، والتَّأكيد على جانب البعث، وبيان ثواب المتَّقين، وجزاء المشركين، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾، وقال: ﴿ ..وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٤- تناسب تسلسل قصص (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم وذريته، وآدم وتكبُّر إبليس) الواردة في سورة (ص) مع الحال الذي كان عليه الرسول ﷺ.

٥- استعمال التَّشكيل الصَّوتي الدَّقيق الذي أَظْهَرَ علاقة الفاصلة بمضمون الآيات، ومناسبة استعمال الحرف في موضعه، من ذلك: صوت الشِّين في (شِقَاق)، في قوله ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، إذ دلَّ على التَّفشي، أي: تَفشِّي الخلاف، والعداوة، والشِّقاق بين المشركين، وكذلك مناسبة استعمال الصَّوت المركَّب.

٦- لحظت تناسب التَّكثير والمبالغة في السورة مع المعاني والدلالات التي تحملها، فمثلًا صيغة ﴿ كَذَّابٌ ﴾ ناسبت إمعان المشركين في إيذاء النبي ﷺ وتسفيه ما جاء به.

٧- لحظت تنوعًا في استعمال أسلوب التَّوكيد، مثل (التَّوكيد بـ(إنَّ)، والتَّوكيد بـ(إنَّ) واللام، والتَّوكيد باللام الواقعة في جواب القسم، والتَّوكيد بالحال، والتَّوكيد اللفظي، والتَّوكيد المعنوي) ناسب مقام سورة (ص) التي كان مقصودها يتَّسم بالتأكيد على وحدانية الله ﷻ، ونبوة محمد ﷺ، ووقوع البعث، أي إنَّ جو السُّورة يتصف بذلك.

٨- يُعدُّ المتشابه اللَّفظي فنًّا دقيقًا، وهو من ركائز علم المناسبة، فلا يكون اختلاف الصِّيغ فيه جُزافًا، وإنما له مناسبات معينة، فمثلًا ذِكْرُ السجود في آية سورة الحجر في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ

﴿ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾، وعدم ذكره في آية سورة (ص) في قوله ﷻ : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾؛ لأنَّ موضوع السجود في سورة الحجر شائع أكثر، إذ ورد في ستة مواضع، بينما في سورة (ص) ورد ذكره في ثلاثة مواضع.

٩- لم يكن الحذف في السورة جُزافًا، وإنَّما حمل مناسباتٍ معيَّنة، فمثلًا حذف مفعول صيغة المبالغة ﴿ ٱلۡوَهَّابِ ﴾ في قوله ﷻ ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ جاء لرعاية الفاصلة؛ إذ إنَّ معظم فواصل السُّورة منتهية بالألف والباء.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المطبوعة.

١. القرآن الكريم.

{ أ }

١. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، الدكتورة نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣. أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتَّاب والإذاعيين، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٤. أساليب القسم في اللغة العربية، الدكتور كاظم فتحي الراوي، منشورات الجامعة المستنصرية، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.

٥. أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٦. أسرار التّكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر برهان الدين الكرماني (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧. إسفار الفصيح، أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (ت: ٤٣٣هـ)، تحقيق: أحمد ابن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨م.

٩. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو مصرية، مصر، ط٤، ١٩٧١م.

١٠. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق:

الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
١١. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٢. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
١٣. إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، الدكتور حنفي محمد شرف، منشورات اللجنة العامة للقرآن والسنة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٠م.
١٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٥. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ط١، ١٩٨١م.
١٦. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤١م.
١٧. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
١٨. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ط٤، ١٤١٥هـ.
١٩. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٠. الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمَّان، ط١، ٢٠٠١م.
٢١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٢. أوزان الفعل ومعانيها، الدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

٢٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
٢٤. إيجاز البيان عن معاني القرآن، أبو القاسم نجم الدين محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري (ت: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠٣م.
٢٦. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.

{ ب }

٢٧. البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن سلمان القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
٢٨. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٢٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٠. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي الإدريسي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
٣١. البديع في نقد الشعر، أبو المظفر أسامة بن منقذ الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، منشورات الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
٣٢. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

الحلبي وشركائه، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.
٣٣. البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية، عماد عبد يحيى، دار دجلة، عمَّان، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٤. بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
٣٥. البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠١٥م.
٣٦. البيان في روائع القرآن، الدكتور تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
٣٧. البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠١٦م.

{ ت }

٣٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ط٢.
٣٩. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.
٤٠. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٤م.
٤١. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
٤٢. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (ت: ٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط١، ١٩٧٩م.
٤٣. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٧.
٤٤. التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٤٥. التعريفات، الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٤٦. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت: ١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٧. تفسير ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق: عاطف ابن كامل بن صالح بخاري، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م (من أول سورة الأحزاب – آخر سورة غافر).
٤٨. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٩. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الهرري، مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٥١. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٥٢. تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.
٥٣. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٤. تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٥٥. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
٥٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٥٧. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري (ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.
٥٩. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.
٦٠. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.
٦١. تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٦٢. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٣. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٩٨٩م.
٦٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٤٦م.
٦٥. التفسير المظهري، مولوي محمد ثناء الله الفاني النقشبندي المظهري (ت: ١٢٢٥هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، ط١، ١٤١٢هـ.
٦٦. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٦٨. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٦٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ط١، ١٩٩٣م.
٧٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٧١. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٧٢. التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٢م.
٧٣. التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
٧٤. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٧٥. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٧٦. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٧٧. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٧٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٧٩. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

{ ج }

٨٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٨١. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٨، ١٩٩٣م.

٨٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

٨٣. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٦٤هـ)، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ.

٨٤. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.

٨٥. جمهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٨٦. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الاستقامة، مسقط، ط١، ١٩٨٨م.

{ ح }

٨٧. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، مصر.

٨٨. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

{ خ }

٨٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٩٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٩١. خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب،

دمشق، ١٩٩٨م.

{ د }

٩٢. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
٩٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٩٤. دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
٩٥. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، السعودية، ط١، ٢٠٠١م.
٩٦. درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمَّان، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٧. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق١٢هـ)، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٩٨. دقائق التصريف، القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت: ٢٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد ناجي القيسي، وحاتم الضامن، وحسين تورال، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
٩٩. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م.
١٠٠. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
١٠١. دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، زهراء خالد سعد الله العبيدي، مؤسسة الواحة، الموصل، ط٢، ٢٠١٢م.

١٠٢. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، عمَّان، ط١، ٢٠٠٦م.
١٠٣. دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
١٠٤. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، الدكتور صالح سليم عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.

{ ر }

١٠٥. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
١٠٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٠٧. الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام بن محمد العبد، صحَّحَه: السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

{ ز }

١٠٨. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٠٩. الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
١١٠. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م.

{ س }

١١١. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢ هـ)، تحقيق: الدكتور حسن

هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
١١٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١١٣. السياق والمعنى، عرفات فيصل المنَّاع، مؤسسة السياب، لندن، ط١، ٢٠١٣م.

{ ش }

١١٤. شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.
١١٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل العقيلي (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، مصر للطباعة، ط٢٠، ١٩٨٠م.
١١٦. شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤م.
١١٧. شرح تسهيل الفوائد، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١١٨. شرح التصريح على التوضيح والتصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١١٩. شرح الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: زكي فهمي الآلوسي، منشورات بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.
١٢٠. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
١٢١. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن

عمر، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
١٢٢. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٢٣. شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت: ٧٤١هـ)، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
١٢٤. شعر محمد مهدي الجواهري، دراسة نحوية نصية، صالح الشاعر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠م.
١٢٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

{ ص }

١٢٦. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
١٢٧. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٨. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٢٩. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٣٠. الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣١. الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، محمد فريد عبدالله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

{ ط }

١٣٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

{ ع }

١٣٣. علل النحو، ابن الوراق محمد بن عبد الله بن العباس (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

١٣٤. علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣٥. علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، نور الدين عتر، مطبعة الغوثاني، دمشق، ط٢، ٢٠١٦م.

١٣٦. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

{ غ }

١٣٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ، وقيل: ٨٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

{ ف }

١٣٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣٩. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الدكتور فتحي أحمد عامر، منشورات لجنة القرآن والسنة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٥م.

١٤٠. الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم (ت: ١١٧٦هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

١٤١. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

{ ق }

١٤٢. القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

١٤٣. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٤٤. القبس في علم التجويد، عبد الله بن سعيد القنوبي، مكتبة وتسجيلات البدر، سلطنة عمان، ط٩، ٢٠١٣م.

١٤٥. قصص القرآن الكريم، الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس، عمَّان، ط٣، ٢٠١٠م.

١٤٦. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

{ ك }

١٤٧. الكافية في علم النحو، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٤٨. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن عقيل المغربي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

١٤٩. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٥١. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الحموي (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م.
١٥٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

{ ل }

١٥٣. اللامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.
١٥٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٥٥. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١٥٦. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٥٧. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.
١٥٨. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.
١٥٩. اللمع في العربية، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق : فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.

{ م }

١٦٠. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٥م.
١٦١. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٥م.

١٦٢. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
١٦٣. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م.
١٦٤. المبدع في التصريف، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٣م.
١٦٥. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد محمود القاضي، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
١٦٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.
١٦٧. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٦٨. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٩٤م.
١٦٩. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدَّة، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٧٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
١٧٢. المخصَّص، أبو الحسن ابن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٧٣. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، ط١،

٢٠٠٥م.
١٧٤. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم، مكتبه السنة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م.
١٧٥. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٧٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣.
١٧٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
١٧٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
١٧٩. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى)، إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.
١٨٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ط٢.
١٨١. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٩٩٧م.
١٨٢. معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمَّان، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٨٣. معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: أعرفان ابن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٨٤. معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عيد مصطفى درويش، وعوض القوزي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩١م.
١٨٥. معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاسعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١٨٦. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.
١٨٧. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨٨. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٨٩. معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، عمَّان، ط٢، ٢٠٠٣م.
١٩٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٩١. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٣م.
١٩٢. معجم الأوزان الصرفية، الدكتور إميل بديع يعقوب، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٩٣. معجم الصوتيات، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، العراق، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩٤. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
١٩٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
١٩٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
١٩٧. مفاتيح الغيب التفسير الكبير (تفسير الرازي)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٩٨. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
١٩٩. المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٠٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
٢٠١. المفصَّل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٢٠٢. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٠٣. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٠٤. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٢٠٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢٠٦. الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت،

ط١، ١٩٩٦م.
٢٠٧. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٠٨. من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٠٩. من وحي القرآن، الدكتور إبراهيم السامرائي، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٨١م.
٢١٠. المناسبات القرآنية، دراسة لغوية بيانية، عقيد خالد العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠١٦م.
٢١١. المناسبة في القرآن، الدكتور مصطفى شعبان عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.
٢١٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٣.
٢١٣. المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.
٢١٤. المنهاج المختصر في عِلمي النَّحو والصَّرف، عبد الله بن يوسف العنزي، مؤسسة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢١٥. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الإبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.
٢١٦. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ٢٠٠٢م.
٢١٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

{ ن }

٢١٨. الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت: ٤١٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٢١٩. النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، ط١٥.
٢٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٢٢١. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
٢٢٢. نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.
٢٢٣. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

{ هـ }

٢٢٤. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٩م.

{ و }

٢٢٦. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٢٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.

ثانيًا: الرسائل والأطروحات الجامعية.

٢٢٨. أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، مقبولة علي مسلم الحصيني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٢٩. الاستئناف البياني في القران الكريم (دراسة في تفسير ابن عاشور)، يونس فرج سبهان الجبوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف: الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٣٠. أسماء سور القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية، باسل خلف محمود، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، بإشراف الدكتور عبد يحيى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٣١. الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين، عدنان مهدي سلطان الدليمي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور عبد الستار فاضل خضر النعيمي، ٢٠٠٨م.

٢٣٢. سورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، ماجد بن عبدالله بن سليمان الجهضمي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٢٣٣. سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، هشام ستار مهدي السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة سامراء، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٣٤. الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتًا وأبنيةً ودلالةً، ثريا عبد الله عثمان إدريس، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، بإشراف: الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٣٥. المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة (لقمان، السجدة، (يس)، الصَّافات، (ص))، فاطمة محمد شلدان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، بإشراف الدكتور محمود هاشم عنبر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ثالثًا: الدوريات، والمجلات.

٢٣٦. أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن، الدكتور نور الدين عتر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، العدد (١٣)، السنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٣٧. أضواء على ظهور علم المناسبة، الدكتور عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٣٨. ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون، يحيى ابن علي المباركي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٠، ٢٠٠٣م.
٢٣٩. علم المناسبات في القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضري، مجلة البيان، الأردن، العدد (١٤٦)، ٢٠٠٠م.
٢٤٠. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٩، ١٤٢٥هـ.
٢٤١. مناسبات السُّور والآيات، الدكتور أحمد حسن فرحات، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (٩).
٢٤٢. وحدة النسق في السور القرآنية، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات الإسلامية، جدَّة، العدد الثالث، ١٤٢٨هـ.

رابعًا: المواقع الإلكترونية.

٢٤٣. http://shamela.ws/index.php/book/1445